أبواب الفرج

وعلاج الهموم بدعاء علام الغيوب

إعداد
أبو مالك عدنان المقطري
عفا الله عنه







اسم الكتاب: أبوب الفرج وعلاج الهموم بدعاء علام الغيوب

إعداد الشيخ : أبو مالك عدنان المقطري

رقم الإيداع: ١٦٧٧٠/٢٠١٨.

نوع الطباعة: لون واحد.

عدد الصفحات: ٣٢٤.

القياس: ١٧X٢٤.

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ / يسري حسن.

٢٠١٩



دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة

مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥






الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

فإن من سُنن الله الكونية، وقضاءه القدري حلول الهموم، والأحزان، والغموم والكروب، على الإنسان، وهي جبلة في حياته الدنيا، ترافقه في حله وترحاله، وتزوره بين الفينة والأخرى.

وهذه سُنَّة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في خلقه، وحكمته في عباده جرت على المسلم والكافر، والبر والفاجر، والعزيز والشريف، والذكر والأنثى: أن الحياة الدنيا إنما هي دار نكد،وتعب وكد. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾

(البلد: ٤).

معناه: لقد خلقنا ابن آدم في شدّة، وعناء، ونصب.

قال ابن عباس- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا - :«في نصب». وقال قتادة:«حين خُلِق في مشقة لا يُلَقى ابن آدم إلَّا مكابد أمر الدنيا والآخرة».

وقال سعيد بن أبي الحسن: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ (البلد: ٤)، قال:«يكابد مصائب الدنيا، وشدائد الآخرة».

وعن ابن عباس- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا - قال:«يعني: حمله وولادته، ورضاعه وفصاله، ونبت أسنانه، وحياته، ومعاشه، كل ذلك شدة » [١].

و قال ابن القيم رحمه الله تعالى : (إن الإنسان مخلوق في شدة بكونه في

(١) انظر تفسير الطبري: (٢٤/ ٤٣٣- ٤٣٤).

الرحم ثم في القماط، والرباط ثم هو على خطر عظيم عند بلوغه حال التكليف، ومكابدة المعيشة، والأمر والنهي، ثم مكابدة الموت وما بعده في البرزخ، وموقف القيامة ثم مكابدة العذاب في النار، ولا راحة له إلا في الجنة) [١].

وهذا هو حكم الله تعالى الذي يجب علينا تجاهه التسليم والرضا. ﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ (الرعد: ٤١).

وإن من رحمة الله تعالى أن ميز أهل الإيمان، وأهداهم طرقًا، وهداهم سبلًا، وجعل لهم أسبابًا تنفك بها الكرب، وتحل بها الهموم، وتنفرج معها الغموم.

وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

قال ابن عباس: أنه قرأ: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾. قال: جعلها الله لهذه الأمة.

قال أبو بكر الهذلي: فلما نزلت: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾، قال إبليس: أنا من « الشيء » ! فنزعها الله من إبليس، قال: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾، فقال اليهود: نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا! فنزعها الله من اليهود فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾(الأعراف: ١٥٧)، قال: نزعها الله عن إبليس، وعن اليهود، وجعلها لهذه الأمة.[٢]

وبما أن كل إنسان يسعى لفكاك أسره من همومه، وزوال أغلال كروبه، فلا علاج أنفع، ولا دواء أنجع للمسلم من الاسترشاد بكتاب الله، وسُنَّة رسول الله ﷺ.

فالله الذي خلقنا، والذي هو أعلم بحالنا هو من دلنا على ما ينفعنا، وما فيه

---

(١) التبيان في أقسام القرآن: (ص:٤٢-٤٣).
(٢) انظر تفسير الطبري: (١٣/ ١٥٨).



خلاصنا، وعليه مرتكز سعادتنا في الدنيا والآخرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الملك: ١٤).

وعليه فقد عقدت العزم، وشمرت عن ساعدي في جمع مادة من كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ بها إحياء الموات، وإنقاذ الهلكى، وإرشاد الحيارى، وإيناس المستوحشين، وتسلية المنكوبين مُنطلقًا من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الأنفال: ٢٤).

تاركًا فلسفة المتفلسفين، واختراعات المخدوعين، وخزعبلات المبتدعين. إذ لا حياة إلا بالنورين، والضيائين العظيمين. كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ .

راجيًا من الله تعالى أن يغفر زلتي، ويفرج كربتي، ويكشف همومي وغمومي، بسعي من خلال هذا الكتاب لتفريج هموم المسلمين.

على أمل ألا ينساني الإخوة القراء من دعوة صالحة في ظهر الغيب.

ولا أنسى أنا بدوري الأخ الحبيب، والشيخ المثابر (يسري محمد عبد الله) في نشر العلم، وعون طلابه على نفع الناس، وهدايتهم إلى الخير من خلال مطبعته المباركة « دار الإيمان » في الإسكندرية (مصر).

والله أسأل أن يجعلها ذخرًا للإسلام والمسلمين، أن يجزي صاحبها خيري الدنيا والآخرة.

وكتبهُ

أبو مالك عدنان المقطري
عفا الله عنه

أسباب وقوع الكرب بالإنسان والحكمة من ذلك



حلول الكرب، ونزوله في ساحة الإنسان، له أسبابه التي بينها الشرع، وأوضحها بجلاء وهو لا يخلو من الفوائد الدينية، والدنيوية :

السبب الأول: ابتلاء الله عَزَّوَجَلَّ **للمسلم، وعرضه للامتحان حتى يعلم مدى قرب عبده منه، وتعلقه به:**

قال تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ ﴾(تبارك ١-٢).

وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾

(العنكبوت ١-٣).

ولذلك مدح تعالى الصنف الذي صدق، وصبر على ابتلاء الله له بالكروب والخطوب: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ۝١٧٧ ﴾

(البقرة:١٧٧).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى [(١)]: «من رحمته: أن نغص عليهم الدنيا وكدرها لئلا يسكنوا إليها، ولا يطمئنوا إليها ويرغبوا في النعيم المقيم في داره وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء،والامتحان فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليحييهم».

---

(١) إغاثة اللهفان: (٢ / ١٧٥).

السبب الثاني: رفع الدرجات، وعلو المنزلة، وتكفير السيئات:

فالبلاء بالكروب، والخطوب من أعظم أسباب رفع الدرجات، وعلو المنازل في الآخرة.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ الدوسي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، ولا هم، وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»[1].

وعن سعيد قَالَ: كُنْتُ مَعَ سَلْمَانَ- وَعَادَ مَرِيضًا فِي كِنْدَةَ - فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: «أَبْشِرْ؛ فَإِنَّ مَرَضَ الْمُؤْمِنِ يَجْعَلُهُ اللهُ لَهُ كَفَّارَةً وَمُسْتَعْتَبًا، وَإِنَّ مَرَضَ الْفَاجِرِ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ، ثُمَّ أَرْسَلُوهُ، فَلَا يَدْرِي لِمَ عُقِلَ وَلِمَ أُرْسِلَ »[2].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «**لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ، فِي جَسَدِهِ، وَأَهْلِهِ، وَمَالِهِ حَتَّى يلقى الله وما عليه خطيئة** »[3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**هَلْ أَخَذَتْكَ أُمُّ مِلْدَم**[4] ؟». قَالَ: وَمَا أُمُّ مِلْدَم؟ قَالَ: «**حَرٌّ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْم**». قَالَ: لَا. قَالَ: «**فَهَلْ صُدِعْتَ؟** » قَالَ: وَمَا الصُّدَاعُ؟ **قَالَ:** «**رِيحٌ تَعْتَرِضُ فِي الرَّأْسِ، تَضْرِبُ الْعُرُوقَ**». قَالَ: لَا. قَالَ: فَلَمَّا قَامَ قَالَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ** » أَيْ: فَلْيَنْظُرْهُ.[5]

---

(١) رواه البخاري: (٥٦٤١)، ومسلم: (٢٥٧٣).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد: (٤٩٣) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد: (٣٧٩).

(٣) رواه أحمد: (٩٨١١)، و الترمذي: (٢٣٩٩).

(٤) جاء تفسيرها في رواية أحمد: (٨٧٩٤): (وَأَيُّ شَيْءٍ أُمُّ مِلْدَمٍ؟ قَالَ: «الْحُمَّى».

(٥) أخرجه أحمد (٨٣٩٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٥)، والبزار (٧٧٨- كشف الأستار)، والنسائي في «الكبرى» (٧٤٩١)، وابن حبان (٢٩١٦)، والحاكم ١/ ٣٤٧، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩٠٧) انظر مسند أحمد ط الرسالة بتحقيق الأرناؤوط وغيره: (١٤ / ١٢٤) وقال: إسناده حسن.



وفي حديث آخر يبين النبي ﷺ كفارة الحمى للذنوب والخطايا، وأثرها في ذلك، فعَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ، قَالَتْ: عَادَنِي رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَأَنَا مَرِيضَةٌ، فَقَالَ: «**أَبْشِرِي يَا أُمَّ الْعَلَاءِ، فَإِنَّ مَرَضَ الْمُسْلِمِ يُذْهِبُ اللهُ بِهِ خَطَايَاهُ، كَمَا تُذْهِبُ النَّارُ خَبَثَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ**» [١].

وعَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-ﷺ-: «**مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا**» [٢].

وعَنْ جَابِرٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «**يَوَدُّ أَهْلُ العَافِيَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ البَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالمَقَارِيضِ**». [٣]

وعَنْ صُهَيْبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ** »[٤].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (أن ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته، أو نقصت ثوابه وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويستعد به لتمام الأجر، وعلو المنزلة. ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه كما قال النبيﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرًا له وليس ذلك إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له** ».

فهذا الابتلاء والامتحان من تمام نصره، وعزه، وعافيته ولهذا كان « **أشد الناس**

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٩٢).
(٢) رواه البخاري: (٥٦٤٠)، ومسلم: ((٢٥٧٢).
(٣) رواه الترمذي (٢٤٠٢).
(٤) رواه مسلم: (٢٩٩٩).

بلاء الأنبياء ثم الأقرب إليهم فالأقرب يبتلى المرء على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة شدد عليه البلاء، وإن كان في دينه رقة خفف عنه»، « ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على وجه الأرض وليس عليه خطيئة » [١].

السبب الثالث: استخراج عبودية الخلق له، وذلهم، وانكسارهم بين يديه، وافتقارهم إليه، وسؤالهم إياه، وسماع شكواهم له:

فالآدمي بطبعه لابد أن يكون له ما يُذكره بين الفترة، والأخرى بضعفه وحاجته لمولاه، وإن الله عَزَّوَجَلَّ يجعل الخطوب تلم بالإنسان ليوقن أن له ربًا يقضي الحوائج، ويفرج الكروب، ويجيب المضطر، ويتعلق بخالقه، ولو كان دائمًا في عافية، وبعد عن الكروب لأصابه الغرور، وتمكن منه البطر، والأشر، لكن الحقيقة التي يتعالى عنها المتكبرون هي أنهم فقراء إلى الله وإن اغتنوا، محتاجون إليه وإن ملكوا، لا يغنيهم سؤاله، والتضرع بين يديه وإن سألهم الناس، ووقفوا على عتبات أبوابهم، فمن عرف قدر نفسه، وأنَّه مهما بلغ في الجاه، والسلطان، والمال فهو عاجز ضعيف لا يملك لنفسه صرفًا، ولا عدلا ؛ تصاغرت نفسه، وذهب كبرياؤه، وذلَّت جوارحه، وعظم افتقاره لمولاه، والتجاؤه إليه، وتضرعه بين يديه، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (الطارق: ٥ ١٠).

وفقر الخليقة إلى الله حاجة ملحة، ومسألة اضطرارية قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ ﴾ (فاطر: ١٥- ١٧).

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى في معرض تفسيره لهذه الآية[٢]:

---

(١) إغاثة اللهفان: (٢ / ١٨٩).
(٢) تيسير الكريم الرحمن: (ص: ٦٨٧).



(يخاطب تعالى جميع الناس، ويخبرهم بحالهم ووصفهم، وأنهم فقراء إلى الله من جميع الوجوه:

* فقراء في إيجادهم، فلولا إيجاده إياهم، لم يوجدوا.

* فقراء في إعدادهم بالقوى، والأعضاء، والجوارح، التي لولا إعداده إياهم بها لما استعدوا لأي عمل كان.

* فقراء في إمدادهم بالأقوات، والأرزاق، والنعم الظاهرة والباطنة، فلولا فضله، وإحسانه، وتيسيره الأمور، لما حصل لهم من الرزق، والنعم شيء.

* فقراء في صرف النقم عنهم، ودفع المكاره، وإزالة الكروب، والشدائد. فلولا دفعه عنهم، وتفريجه لكرباتهم، وإزالته لعسرهم، لاستمرت عليهم المكاره والشدائد.

* فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية، وأجناس التدبير.

* فقراء إليه، في تألههم له، وحبهم له، وتعبدهم، وإخلاص العبادة له تعالى، فلو لم يوفقهم لذلك، لهلكوا، وفسدت أرواحهم، وقلوبهم، وأحوالهم.

* فقراء إليه، في تعليمهم ما لا يعلمون، وعملهم بما يصلحهم، فلولا تعليمه، لم يتعلموا، ولولا توفيقه، لم يصلحوا.

* فهم فقراء بالذات إليه، بكل معنى، وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا، ولكن الموفق منهم، الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه ودنياه، ويتضرع له، ويسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن يعينه على جميع أموره، ويستصحب هذا المعنى في كل وقت، فهذا أحرى بالإعانة التامة من ربه وإلهه، الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها.

﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾(فاطر:١٥).أي: الذي له الغنى التام من جميع

الوجوه، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه خلقه، ولا يفتقر إلى شيء مما يفتقر إليه الخلق، وذلك لكمال صفاته، وكونها كلها، صفات كمال، ونعوت وجلال.

ومن غناه تعالى، أن أغنى الخلق في الدنيا والآخرة، الحميد في ذاته، وأسمائه، لأنها حسنى، وأوصافه، لكونها عليا، وأفعاله لأنها فضل، وإحسان، وعدل، وحكمة، ورحمة، وفي أوامره ونواهيه، فهو الحميد على ما فيه، وعلى ما منه، وهو الحميد في غناه، الغني في حمده).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:[1] (بيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم، لا ينفك عنهم، كما أن كونه غنيًا حميدًا ذاتي فغناه وحمده ثابت له لذاته: لا لأمر أوجبه. وفقر من سواه إليه ثابت له لذاته، لا لأمر أوجبه فلا يعلل هذا الفقر بحدوث ولا إمكان بل هو ذاتي للفقير. فحاجة العبد إلى ربه لذاته لا لعلة أوجبت تلك الحاجة. كما أن غنى الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لذاته لا لأمر أوجب غناه.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والفقر لي وصف ذات لازم أبدًا ∴ كما أن الغنى أبدًا وصف له ذاتي

وقال تعالى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٢٤﴾ (القصص: ٢٤).

جاء في تفسير الطبري[2] عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَمَّا هَرَبَ مُوسَى مِنْ فِرْعَوْنَ أَصَابَهُ جُوعٌ شَدِيدٌ، حَتَّى كَانَتْ تُرَى أَمْعَاؤُهُ مِنْ ظَاهِر الصِّفَاق؛ فَلَمَّا سَقَى لِلْمَرْأَتَيْنِ، وَأَوَى إِلَى الظِّلِّ، قَالَ: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾».

فهاهو كليم الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام يرفع شكواه،

(١) التفسير القيم: (ص: ٤٣٧).
(٢) تفسير الطبري: (١٨ / ٢١٦).



ويعرض بلواه على رب العالمين، وهذه سُنَّة الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم من الصالحين.

وقد أثنى الله عَزَّوَجَلَّ على أنبيائه بسؤالهم إياه كشف ما بهم من ضر:

فأثنى على يونس عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾(الأنبياء-٨٧-٨٨) .

وكذلك أثنى على أيوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بقوله: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾(الأنبياء: ٨٣ ٨٤).

وعلى يعقوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بقوله: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (يوسف: ٨٦).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : (فالشكوى إليه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لا تنافى الصبر الجميل، بل إعراض عبده عن الشكوى إلى غيره جملة، وجعل الشكوى إليه وحده: هو الصبر.

والله تعالى يبتلي عبده ليسمع شكواه، وتضرعه ودعاءه. وقد ذم الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ من لم يتضرع إليه. ولم يستكن له وقت البلاء كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾(المؤمنون: ٧٦).

والعبد أضعف من أن يتجلد على ربه والرب تعالى لم يرد من عبده أن يتجلد عليه، بل أراد منه أن يستكين له ويتضرع إليه، وهو تعالى يمقت من يشكوه إلى خلقه، ويحب من يشكو ما به إليه ، وقيل لبعضهم: كيف تشتكي إليه ما ليس يخفى

عليه؟ فقال: ربي يرضى ذل العبد إليه)[١].

أنـا الفقير إلى رب البريات ∴ أنـا المسكين في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي ∴ والخير إن يأتنا من عنده يأتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعة ∴ ولا عن النفس لي دفع المضراتي
وليس لي دونـه مـولى يدبرني ∴ ولا شفيع إذا حاطت خطيئاتي
إلا بـإذن من الرحمن خالقنا ∴ إلى الشفيع كما قد جاء في الآياتي
ولست أملك شيئا دونـه أبدا ∴ ولا شريك أنا في بعض ذراتي
ولا ظهير لـه كـي يستعين به ∴ كـما يكون لأربـاب الـولايـاتي
والفقر لي وصف ذات لازم أبدا ∴ كما الغنى أبـدا وصف له ذاتي
وهذه الحال حال الخلق أجمعهم ∴ وكـلـهـم عـنـده عـبـد لـه آتي
فمن بغى مطلبا من غير خالقه ∴ فهو الجهول الظلوم المشرك العاتي
والحمد لله ملأ الكون أجمعه ∴ ما كان منه وما من بعد قد ياتي[١]

السبب الرابع : الذنوب والمعاصي:

إن الذنوب والمعاصي من أعظم الأسباب التي تجلب الكروب، والهموم، والمصائب على المسلم، وهذا يؤكد بقوة أنه لا سعادة، ولا اطمئنان للعصاة، والمسرفين في جنب الله تعالى.

يخبرنا الله - عَزَّوَجَلَّ- في كتابه الكريم قائلًا : ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ

(١) التفسير القيم: (ص: ٥٥٣).
(٢) نقلها العلامة ابن القيم في كتابه مدارج السالكين : (٢ / ٥٢٤) عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمهما الله تعالى - حيث قال : (وبعث إليَّ في آخر عمره « قاعدة» في التفسير بخطه، وعلى ظهرها أبيات بخطه من نظمه...) ثم ذكر الأبيات .

بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ١٢٧ ﴾ (طه ١٢٣-١٢٧).

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾(الشورى: ٣٠).

﴿ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ (البقرة: ٥٩).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :«فما ينبغي أن يعلم أن الذنوب والمعاصي تضر ولا شك أن ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر وهل في الدنيا والآخرة شرور وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم، والبهجة، والسرور إلى دار الآلام، والأحزان، والمصائب وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده، ولعنه، ومسخ ظاهره وباطنه فجعلت صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبدل بالقرب بعدًا، وبالرحمة لعنةً وبالجمال قبحًا، وبالجنة نارًا تلظى، وبالإيمان كفرًا، وبموالات الولي الحميد أعظم عداوة ومشاقة، وبزجل التسبيح، والتقديس، والتهليل زجل الكفر، والشرك، والكذب، والزور، والفحش، وبلباس الإيمان لباس الكفر، والفسوق، والعصيان فهان على الله غاية الهوان، وسقط من عينه غاية السقوط، وحل عليه غضب الرب تعالى.

فأهواه ومقته أكبر المقت، فأرداه فصار قوادًا لكل فاسق، ومجرم رضي لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة، والسيادة فعياذًا بك اللهم من مخالفة أمرك

وارتكاب نهيك، وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رأس الجبال، وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتي على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية ودمرت مامر عليه من ديارهم، وحروثهم، وزروعهم، ودوابهم حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن آخرهم، وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها فأهلكم جميعًا، ثم أتبعهم حجارة من سجيل السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم، ولإخوانهم أمثالها وما هي من الظالمين ببعيد، وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارًا تلظى، وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم. فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق، وما الذي خسف بقارون، وداره، وماله، وأهله.

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات، ودمرها تدميرًا . وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم، وما الذي بعث على بني إسرائيل قومًا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار، وقتلوا الرجال، وسبوا الذراري، والنساء. وأحرقوا الديار، ونهبوا الأموال ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فاهلكوا ما قدروا عليه، وتبروا ما علو تتبيرا.

وما الذي سلط عليهم بأنواع العذاب والعقوبات مرة بالقتل، والسبي، وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب.

قال الإمام أحمد: ثنا الوليد بن مسلم ثنا صفوان بن عمر وحدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: لما فتحت قبرص فرق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعض فرأيت أبا الدرداء جالسًا وحده يبكى، فقلت: يا أبا الدرداء



ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله. فقال: ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله -عَزَّوَجَلَّ- إذا أضاعوا أمره بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى » . [١]

ويذكر رحمه الله تعالى في موطن آخر ثمار ترك المعاصي، وفوائد طاعة الله تعالى فيقول:«لو لم يكن في ترك الذنوب والمعاصي إلا إقامة المروءة، وصون العرض، وحفظ الجاه، وصيانة المال الذي جعله الله قوامًا لمصالح الدنيا والآخرة، ومحبة الخلق، وجواز القول بينهم، وصلاح المعاش، وراحة البدن، وقوة القلب، وطيب النفس، ونعيم القلب، وانشراح الصدر، والأمن من مخاوف الفساق والفجار، وقلة الهم، والغم، والحزن، وعز النفس عن احتمال الذل، وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصية، وحصول المخرج له مما ضاق على الفساق والفجار، وتيسير عليه الرزق من حيث لا يحتسب، وتيسير ما عسر على أرباب الفسوق والمعاصي، وتسهيل الطاعات عليه، وتيسير العلم، والثناء الحسن في الناس، وكثرة الدعاء له، والحلاوة التي يكتسبها وجهه، والمهابة التي تلقى له في قلوب الناس، وانتصارهم وحميتهم له إذا أوذي وظلم، وذبهم عن عرضه إذا اغتابه مغتاب، وسرعة إجابة دعائه، وزوال الوحشة التي بينه وبين الله، وقرب الملائكة منه، وبعد شياطين الأنس والجن منه، وتنافس الناس على خدمته وقضاء حوائجه، وخطبتهم لمودته وصحبته، وعدم خوفه من الموت، بل يفرح به لقدومه على ربه ولقائه له ومصيره إليه، وصغر الدنيا في قلبه، وكبر الآخرة عنده، وحرصه على الملك الكبير والفوز العظيم فيها، وذوق حلاوة الطاعة، ووجد حلاوة الإيمان، ودعاء حملة العرش ومن حوله من الملائكة له، وفرح الكاتبين به ودعاؤهم له كل وقت، والزيادة في عقله، وفهمه، وإيمانه، ومعرفته، وحصول محبة الله له وإقباله عليه، وفرحه بتوبته، وهكذا يجازيه بفرح وسرور لا نسبة له إلى فرحه وسروره بالمعصية بوجه من الوجوه.

(١) الجواب الكافي: (ص:٢٦- ٢٧).

فهذه بعض آثار ترك المعاصي في الدنيا، فإذا مات تلقته الملائكة بالبشرى من ربه بالجنة، وبأنه لا خوف عليه ولا حزن، وينتقل من سجن الدنيا وضيقها إلى روضة من رياض الجنة ينعم فيها إلى يوم القيامة.

فإذا كان يوم القيامة كان الناس في الحر والعرق، وهو في ظل العرش، فإذا انصرفوا بين يدي الله أخذ به ذات اليمين مع أوليائه المتقين، وحزبه المفلحين ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الحديد ٢١).[١]

السبب الخامس: الانكباب على الدنيا:

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: **«مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»** [٢].

عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، يَقُولُ: **«مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ الْمَعَادِ، كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ»** [٣].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا وَقَدْ رَفَعَهُ، قَالَ يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: **«يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي، أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ»**[٤].

« فَالْحَاصِلُ أَنَّ مَا كُتِبَ لِلْعَبْدِ مِنَ الرِّزْقِ يَأْتِيهِ لَا مَحَالَةَ إِلَّا أَنَّهُ مَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ يَأْتِيهِ بِلَا تَعَبٍ، وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا يَأْتِيهِ بِتَعَبٍ وَشِدَّةٍ، فَطَالِبُ الْآخِرَةِ

---

(١) الفوائد لابن القيم: (ص: ١٦٤).
(٢) رواه ابن ماجهْ: (٤١٠٥) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١/ ٨).
(٣) رواه ابن ماجهْ: (٢٥٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٣١٧١).
(٤) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (١٣٥٩).

قَدْ جَمَعَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة فَإِنَّ الْمَطْلُوبَ مِنْ جمع الْمَال الرَّاحَةَ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ حَصلَتْ لطَالب الْآخرَة، وَطَالبُ الدُّنْيَا قَدْ خَسرَ الدُّنْيَا وَالْآخرَةَ؛ لأَنَّهُ فِي الدُّنْيَا فِي التَّعَبِ الشَّدِيدِ فِي طَلَبِهَا فَأَيُّ فَائِدَةٍ لَهُ فِي الْمَال إِذَا فَاتَتِ الرَّاحَةُ » [١].

عَنْ سهل بن سعْد السَّاعديِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: جاءَ رجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ- فقال: يا رَسولَ الله دُلَّني على عَمَلٍ إذا عَملْتُهُ أَحبَّني الله، وأَحبَّني النَّاسُ، فقال: « **ازهَدْ في الدُّنيا يُحبَّكَ الله، وازهَدْ فيما في أَيدي النَّاسِ يُحبَّكَ النَّاسُ** » [٢].

فضيلة الزُّهد في الدُّنيا:

قد كثُر في القُرآن الإشارة إلى مدحه، وإلى ذمّ الرغبة في الدُّنيا، قال تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ (الأعلى: ١٦ – ١٧).

وقال تعالى: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ (الأنفال: ٦٧)، وقال تعالى في قصة قارون: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (القصص: ٧٩ – ٨٣)، وقال تعالى: ﴿ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الرعد: ٢٦).وقال جل في علاه: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾

(النساء: ٧٧).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حاكيًا عن مؤمن آل فرعون أنَّه قال لقومه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (غافر: ٣٨ – ٣٩).

(١) حاشية السندي على سُنن ابن ماجه:(٢ / ٥٢٥).
(٢) رواه ابن ماجهْ: (١٠٥٢٣)، وهو في السلسلة الصحيحة: (٩٤٤).

والأحاديث في ذمّ الدُّنيا وحقارتها عند الله كثيرةٌ جدًا ومنها:

عن جابر- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- **مرَّ بالسُّوق والنَّاسُ كَنَفَيْه، فمرَّ بجديٍّ أسكَّ ميِّت، فتناوله، فأخذ بأذنه، فقال:«أيُّكم يُحبُّ أنَّ هذا له بدرهم ؟»، فقالوا: ما نحبُّ أنَّه لنا بشيء، وما نصنع به ؟ قال:«أتحبُّون أنَّه لكم؟ » قالوا: والله لو كان حيًا كان عيبًا فيه ؛ لأنَّه أسكُّ، فكيف وهو ميت ؟ فقال:«والله للدُّنيا أهونُ على الله من هذا عليكم »**[1].

و عن المستورد الفهري، عن رَسُولُ الله - ﷺ - « **وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ - فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ** »[2].

وسهل بن سعد- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، عن النَّبِيِّ - ﷺ -، قال:« **لو كانتِ الدُّنيا تعدِلُ عندَ الله جناحَ بعوضةٍ، ما سقى كافرًا منها شربةً** »[3].

وهذه النصوص الكريمة، من الكتاب والسُّنَّة، تفضح بجلاء للمغترين ببهرج الدنيا حقيقة لا بد من أن يدركوها، وقد جرت سُنَّة الله تعالى أن الحياة الدنيا إنما هي دار نكد، وكد. قال تعالى:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ (البلد: ٤)، معناه: لقد خلقنا ابن آدم في شدّة، وعناء، ونصب.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :«في نصب». وقال قتادة:« حين خُلِق في مشقة لا يُلقى ابن آدم إلا مكابد أمر الدنيا والآخرة ».

وقال سعيد بن أبي الحسن: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾، قال:«يكابد مصائب الدنيا، وشدائد الآخرة ».

---

(١) رواه مسلم: (٢٩٥٧)، وفي شرح النووي على مسلم: (١٨ / ٩٣): قَوْلُهُ: (وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ) وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ كَنَفَتَيْهِ مَعْنَى الْأَوَّلِ جَانِبَهُ وَالثَّانِي جَانِبَيْهِ. قَوْلُهُ: (جَدْيٍ أَسَكَّ) أَيْ صَغِيرُ الأذنين.
(٢) رواه مسلم: (٢٨٥٨).
(٣) رواه الترمذي: (٢٣٢٠)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة: (٦٨٦).

وعن ابن عباس – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قال: «يعني: حمله وولادته، ورضاعه وفصاله، ونبت أسنانه، وحياته، ومعاشه، كل ذلك شدة »[١].

و قال ابن القيم رحمه الله تعالى :(إن الإنسان مخلوق في شدة بكونه في الرحم ثم في القماط، والرباط ثم هو على خطر عظيم عند بلوغه حال التكليف، ومكابدة المعيشة، والأمر والنهي، ثم مكابدة الموت وما بعده في البرزخ، وموقف القيامة ثم مكابدة العذاب في النار، ولا راحة له إلا في الجنة)[٢].

السبب السادس: التوبة والرجوع إليه تعالى.

ومن الحكم العظيمة في ابتلاء العبد بالمصائب والكروب، رجوع العبد إلى ربه، وانطراحه على بابه، واللوذ بجنابه، والتوبة من ذنوبه.

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

(الأعراف: ١٦٨).

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى :«واختبرناهم بالرخاء في العيش، والخفض في الدنيا والدعة، والسعة في الرزق، وهي « الحسنات » التي ذكرها جل ثناؤه ويعني بـ « السيئات»، الشدة في العيش، والشظف فيه، والمصائب والرزايا في الأموال»، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ يقول: ليرجعوا إلى طاعة ربهم وينيبوا إليها، ويتوبوا من معاصيه »[٣].

وقال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (الروم: ٤١).

عن قَتادة قوله: ﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾: «لعلّ راجعًا أن

---

(١) انظر تفسير الطبري: (٢٤/ ٤٣٣- ٤٣٤).
(٢) التبيان في أقسام القرآن: (ص:٤٢-٤٣).
(٣) تفسير الطبري: (١٣/ ٢٠٩).

يرجع، لعل تائبًا أن يتوب، لعلّ مستعتبًا أن يستعتب »[١].

وإذا نظرنا أخرى في القرآن الكريم وما ذكره الله تعالى عن الأنبياء نجد أنّ طلبهم التوبة والاستغفار من أهم الأولويات، وأولى المهمات فبها تذلل الصعاب، وينكشف العذاب.

فعن الأبوين عليهما السلام، لما أهبطا إلى الأرض بسبب أكلهما من الشجرة المحرمة عليهما: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾(الأعراف: ٢٣).

و نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو من أولى العزم من الرسل، قد بذل في دعوة الله كل جهد صابرًا محتسبًا ولم يؤمن معه إلاّ قليل، وكان ابنه ممّن أعرض عن دعوته: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾(المؤمنون: ٢٧)، تاقت نفسه بأن يكون ابنه معه وعلل عاطفة الأبوة الفطرية كوالد رحيم على ولده: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ هود: ٤٥)، فقال الله له: ﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾(هود: ٤٦)، فامتثل وبادر بسرعة عالية على مكانته وقدره: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾(هود: ٤٧) .

وموسى الكليم – عليه الصلاة و السلام – لما قتل الفرعوني من غير قصد، حيث قال لفرعون مبينًا أنّه ما قتله متعمدًا: ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾(الشعراء: ٢٠)، أي: من المخطئين غير عامد للقتل، وكانت إنابته لله سريعة: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا ﴾(القصص:٣٣).

(١) تفسير الطبري: (٢٠/ ١١٠).

وقال في معرض إنكاره على قومه لما عبدوا العجل، وغضبته الشديدة عليهم وعلى أخيه هارون ظنًا منه التقصير، وكانت بيده الألواح فألقاها من يده مع أنّ الله كتب التوراة بيده، وناوله إيّاه من يده إلى يده، أناب بسرعة لهذا الظن الخاطئ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ﴾(الأعراف: ١٥١)، ثم لما ذهب معتذرًا مع السبعين من خيار قومه وحصل ما حصل لهم من العقوبة قال: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٥).

وأمّا داود عليه الصلاة و السلام فقد بادر إلى الاستغفار بسبب أمره في الحكم بين المتخاصمين: ﴿ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾(ص: ٢٤)، تداركًا لما صدر منه ممّا كان الأولى تركه، أوّلًا، وشكرًا وتعظيمًا لنعمة التنبّه الذي نال به فورًا بعد الزلّة.

قال السعدي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ (ص: ٢٥)، ﴿ لَزُلْفَىٰ ﴾ عالية وقربة منا ﴿ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ والفائدة ما قصه الله علينا من لطفه به، وتوبته، وإنابته وأنه ارتفع محله فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها».

وأمّا خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله الصادق الأمين عليه الصلاة والتسليم يَقُولُ: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ؛ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»[(١)].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **يُكْثِرُ** مِنْ قَوْلِ: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**» **قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟** » ،

---

(١) رواه البخاري : (٦٣٠٧) عن أبي هريرة- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - .

فَقَالَ: «خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي ، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَــوْلِ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ ، فَقَـدْ رَأَيْتُهَا ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ (النصر: ١)، فَتْحُ مَكَّةَ، **﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾** (النصر: ٣) »[١] .

و عَنْ أَبِي بُرْدَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قَالَ: سَمِعْتُ الْأَغَرَّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يُحَدِّثُ ابْنَ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ، مَرَّةٍ»**[٢] .

قال العلامة ابن بطال رحمه الله تعالى :«أولى العباد بالاجتهاد في العبادة الأنبياء، عليهم السلام، لما حباهم الله به من معرفته، فهم دائبون في شكر ربهم معترفون له بالتقصير »[٣].

ومن رحمة الله بالعبد أن يهيأ له أسبابًا، ويدله على طريق الرجوع إليه في حين هروبه، ويسلك به سبيل القرب حين بعده عنه.

ورغم تأديب الله عَزَّوَجَلَّ لعباده بالكروب، ليعودوا إليه إلا أنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يحب توبة عبده، ويفرح برجوعه إليه.

فعن أَنَسِ بْنِ مَالك- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :«للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا،**

(١) رواه مسلم: (٤٨٤).
(٢) رواه مسلم: (٢٧٠٢).
(٣) شرح صحيح البخاري: (١٠/ ٧٧).

قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ ». [١]

وبين عَزَّوَجَلَّ أنّه يريد التوبة من عباده ويحبها كما قال تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ٢٧** ﴾ (النساء: ٢٧)، وقال: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

والله – عَزَّوَجَلَّ – له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى التي سمى، ووصف بها نفسه ما يجعل العبد ينيب، ويرجع إليه. فسمى نفسه تعالى بالغفور الرحيم فقال: ﴿ **وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧** ﴾ (يونس: ١٠٧).

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾ (يوسف: ٩٨). وقال عزو جل: ﴿ **نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩** ﴾ (الحجر: ٤٩). وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥** ﴾ (الشورى: ٥).

و يقول تعالى: ﴿ **حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ٣** ﴾

(غافر: ١-٣).

ففي هذه الآيات وغيرها كثير في معناها دعوة لكل مذنب أن يعلم أن له ربًا يغفر الذنب، ويقبل التوبة فعليه أن يرجع إليه.



(١) رواه مسلم: (٢٧٤٧).

1 أسباب تفريج الكروب
تحقيق التوحيد لله عَزَّوَجَلَّ

التّوحيد هو أعظم القربات، وأجلّ ما يُسأل به الله تعالى، تأمّل دعوة ذي النّون عليه الصّلاة والسّلام الذي تغشّته الكربات ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ (الأنبياء: ٨٧).

فلما كان يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أهل التوحيد، ونادى الله عَزَّوَجَلَّ بكلمة التوحيد، ونزه الله تعالى عما ينافي حقيقة التوحيد استجاب له ربّه الواحد الأحد: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٨).

فهذه الآية نص بأن التمسك بحقيقة التوحيد، والسير على منهج رب العبيد، سبب عظيم، بل هو أعظم الأسباب في تفريج كروب العباد.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى (١): «التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها، فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون، وأما أولياؤه فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها، ولذلك فزع إليه يونس، فنجاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة، ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق له لم ينفعه لأن الإيمان عند المعاينة لا يقبل هذه سُنَّة الله في عباده فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد فلا يُلقي في الكرب

(١) الفوائد: (٥٣).

العظام إلا الشرك، ولا يُنجي منها إلا التوحيد فهو مفزع الخليقة وملجؤها، وحصنها، وغياثها وبالله التوفيق ».

ومن هنا نال التوحيد الأهمية العظمى، والمنزلة الكبرى، وكان الغاية من خلق الله تعالى للعباد، وإيجادهم على وجه هذه البسيطة. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾(الذاريات: ٥٦).

والتوحيد هو ما أرسل الله به الرسل، وبعث به الأنبياء: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأنبياء: ٥٢).

وهو دين الأنبياء، وأصل دعوتهم قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(الزخرف: ٤٥).

ويؤكد عَزَّوَجَلَّ أهمية هذه الوظيفة في حياة الأنبياء، والمرسلين بقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ ﴾(النحل: ٣٦).

وفي خطاب أنبياء الله ومرسليه، وحديث كل نبي مع قومه، ودعوته إياهم توثيق للوظيفة التي أمروا بها، وأرسلوا من أجلها:

نوح عليه الصلاة والسلام إذ قال لقومه: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾

(الأعراف: ٥٩).

وقال عليه الصلاة والسلام ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ (نوح: ٣ – ٤).

وأما الخليل إمام الحنفاء، وأمة التوحيد: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

(العنكبوت: ١٦ – ١٧).

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الأعراف: ٦٥).

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

(هود: ٥٠ – ٥٢).

ومن خطاب نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًاۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (هود: ٦١).

وخطيب الأنبياء شعيب عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الأعراف: ٨٥ – ٨٧).



وفي قصة يوسف عليه الصلاة والسلام في السجن كان أول ما بدأ حديثه مع المستفتيين للرؤيا هي دعوة التوحيد: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (يوسف: ٣٧ – ٤٠).

وعيسى المسيح عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ (المائدة: ٧٢).

وفي حوار المسيح مع ربه: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

(المائدة: ١١٦ – ١١٨).

وكانت النتيجة كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ

عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (النحل: ٣٦).

ولقد كانت أول وصايه ﷺ لأصحابه حين يرسلهم دعاة إلى الناس أن يدعو الناس إلى توحيد الله وحده، وأمرهم أن يكون ذلك أول عمل يقومون به، وفي مقدمة مهامهم العظيمة، فالتوحيد أول واجب على العبد: فعندما بعث النبي ﷺ معاذًا لدعوة أهل اليمن، وتبليغهم دين رب العالمين، ورسالة محمد الأمين كانت أول ما أمر بتبليغه إياهم التوحيد:

فعن عبد الله بْنَ عَبَّاس –رَضي الله عَنْهُمَا – يَقُولُ: لَمَّا بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَل نَحْوَ الْيَمَنِ فَقَالَ: **«إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْم منْ أَهْلِ الْكتَاب فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلك فَأَخْبرْهُمْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَد افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَات في يَوْمهمْ وَلَيْلَتهمْ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخبرْهُمْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَد افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً في أَمْوَالهِمْ تُؤْخَذُ منْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالهِمْ»**.(١)

وفي وصيته ﷺ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رَضيَ اللهُ عَنْهُ– أمره أن يدعوا أهل خيبر قبل قتالهم أن يكونوا من أهل التوحيد فعن سَهْلَ بْنَ سَعْد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ سَمعْتُ رَسُولَ الله – ﷺ – يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ: **«لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْه»**. فَبَاتَ النَّاسُ يَذْكُرُونَ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُول الله ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَالب؟»**. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَهُ **فَأَرْسَلَ إِلَيْه فَبَصَقَ فِي عَيْنه وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى لَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ به شيء فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أُقَاتلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مثْلَنَا قَالَ: «عَلَى رِسْلكَ انْفُذْ حَتَّى تَنْزلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ وَأَخْبرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فِيه مِنَ الْحَقِّ، فَوَاللهِ**

(١) رواه البخاري: (١٣٨٩)، ومسلم: (١٩).

لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ الرَّجُلَ الْوَاحِدَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ »[1].

والتوحيد هو فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها إذا أن الفطرة تستلزم معرفة الله ومحبته:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

(الروم: ٣٠ – ٣١).

ولقد كان كفار قريش، ومشركو العرب يدركون حقيقة هذه الفطرة، وهي في قلوبهم، وعقولهم عند اضطرارهم رغم إشراكهم مع الله تعالى غيره: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

(الأنعام: ٤٤ – ٤٧).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣).

فهذه الآية تدلُّ على أن الإنسان مجبولٌ بفطرته على شهادته بوجود الله وربوبيته،وهذا هو ما ركب الله –تعالى– في فِطَرِهم من الإقرار به.

---

(١) رواه البخاري: (٢٩٤٢)، ومسلم: (٢٤٠٦).

وفي سُنَّة النبي ﷺ ما يعضد الآية، ويؤكد معناها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: **«كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ»**.

ثم يقول أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: واقرؤوا إن شئتم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (الروم: ٣٠).[1]

عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: **«أَلَا إِنَّ رَبِّي أمرني أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا علمني يومي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وإني خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»**.[2]

ومن أجل التوحيد أنزل الله الكتب، قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ (هود١-٢).

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى[3]: (هذه الآية الكريمة فيها الدلالة الواضحة على أن الحكمة العظمى التي أُنزل القرآن من أجلها هي: أن يُعبد الله جَلَّ وَعَلَا وحده، ولا يُشرك به في عبادته شيء؛ لأن قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ (فصلت:١-٣)، صريح في أن آيات هذا الكتاب فصِّلت من عند الحكيم الخبير؛ لأجل أن يُعبد الله وحده).

(١) رواه البخاري: (١٣٨٥)، ومسلم: (٢٦٥٨).
(٢) رواه مسلم: (٢٨٦٥).
(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:(٢/ ٦).

و شرع الله الجهاد من أجل التوحيد:

قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الأنفال: ٣٩).

فهذا المقصود من القتال، والجهاد لأعداء الدين، أن يدفع شرَّهم عن الدين، وأن يَذُبَّ عن التوحيد الذي خلق الله الخلق لأجله، حتى يكون هو العالي على سائر الأديان.

قال ابن جريج:[١] ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ (الأنفال: ٣٩). أي: لا يفتُر مؤمن عن دينه، ويكون التوحيد لله خالصًا ليس فيه شركٌ، ويخلع ما دونه من الأنداد.

« فدلَّ على أنه إذا وُجد الشرك فالقتال باق بحاله ؛ كما قال – تعالى–: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ ﴾ (التوبة: ٣٦)، وقال – تعالى–: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ (التوبة: ٥).

فأمر بقتالهم على فعل التوحيد، وترك الشرك، وإقامة شعائر الدين الظاهرة، فإذا فعلوها خلَّى سبيلهم، ومتى أَبَوْا عن فعلها، أو فعل شيء منها فالقتال باقٍ بحاله إجماعًا ».[٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فالمقصود بالجهاد ألا يعبد غير الله، فلا يدعو غيرَه، ولا يُصلِّي لغيره، ولا يسجد لغيره، ولا يعتمر ولا يحج إلا إلى بيته، ولا يذبح القرابين إلا له، ولا ينذر إلا له، ولا يتوكَّل إلا عليه،

(١) تفسير الطبري: (الأنفال: ٣٩).
(٢) تيسير العزيز الحميد: (ص١٧٤).

ولا يخاف إلا إياه »[١].

ويصير الإنسان حرام الدم، والمال ما كان على التوحيد، ومقرًا به، وهو ما جاء في حديث النبي ﷺ عنْ ابْنِ عُمَرَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: « **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ** »[٢].

النصر والتمكين للمجتمعات مشروط بالتوحيد:

إن الناظر في حال المسلمين، وما وصلوا إليه من الذل، والمهانة في هذا الزمان ليتساءل، وقلبه يعتصر حرقة، ويفيض ألمًا ما هو السبب الذي تأخرنا من أجله عن النصر، ونُزع منا التمكين في الأرض ؟.

وإذا التفتنا قليلًا، وبحثنا عن الإجابة لا نجدها إلا في مُحكم التنزيل، وآيات الذكر الحكيم حيث قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾(النور: ٥٥).

فالآية واضحة الدلالة، صريحة المبنى أن التوحيد، وإخلاص العبادة لله تعالى السبب الأعظم في النصرة، والتمكين.

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآية، في كلام نفيس، وقيم أنقله بطوله لأهميته:

« هذا وعدٌ من الله -تعالى- لرسوله - صلوات الله وسلامه عليه - بأنه

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٣٥ / ٣٦٨).
(٢) رواه البخاري: (٢٥)، ومسلم: (٢٢).

سيجعل أمَّته خلفاء الأرض؛ أي: أئمَّة الناس والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ﴾ وحكماً فيهم، وقد فعله - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - وله الحمد والمنَّة؛ فإنه - ﷺ - لم يمت حتى فتح الله عليه مكة، وخيبر، والبحرين، وسائر جزيرة العرب، وأرض اليمن بكمالها، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم، وصاحب مصر، وإسكندرية وهو المقوقس، وملوك عمان، والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحمة - رحمه الله - وأكرمه.

ثم لمَّا مات رسول الله - ﷺ - واختار الله له ما عنده من الكرامة - قام بالأمر بعده خليفتُه أبو بكر الصديق، فلمَّ شعث ما وَهَى بعد موته - ﷺ -، وأَطَّدَ جزيرة العرب ومهَّدها، وبعث الجيوش الإسلامية إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ - ففتحوا طرفًا منها، وقتلوا خلقًا من أهلها، وجيشًا آخر صحبة أبي عبيدة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ - ومَن اتَّبعه من الأمراء إلى أرض الشام، وثالثًا صحبة عمرو بن العاص - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ - إلى بلاد مصر، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى، ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها، وتوفَّاه الله - عَزَّ وَجَلَّ - واختار له ما عنده من الكرامة.

ومنَّ على أهل الإسلام بأن ألهم الصدِّيق أن يستخلف عمر الفاروق، فقام بالأمر بعده قيامًا تامًّا، لم يَدُرِ الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته، وكمال عدله، وتمَّ في أيَّامه فتح البلادَ الشامية بكمالها، وديار مصر إلى آخرها، وأكثر إقليم فارس، وكسر كسرى، وأهانه غاية الهوان، وتقهقر إلى أقصى مملكته، وقصر قيصر، وانتزع يده عن بلاد الشام، وانحدر إلى القسطنطينية، وأنفق أموالهما في سبيل الله، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله ﷺ، عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة.
ثم لمَّا كانت الدولة العثمانية امتدَّت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس وقبرص، وبلاد

القيروان، وبلاد سبتة مِمَّا يلي البحر المحيط، ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين، وقتل كسرى وبادَ ملكُه بالكلية، وفتحت مدائن العراق، وخراسان، والأهواز، وقتل المسلمون من الترك مَقْتَلَة عظيمة جدًّا، وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان، وجُبِي الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وذلك ببركة تلاوته، ودراسته، وجمعه الأمة على حفظ القرآن، ولهذا ثبت في « الصحيح » أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **(إن الله زَوَى لي الأرض، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، ويبلغ ملك أمتي ما زُوِي لي منها)**، فها نحن نتقلَّب فيما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، فنسأل الله الإيمان به وبرسوله، والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا... »[1].

للباحثين عن الأمن، واللاهثين وراء الأمان ... شرط ذلك التوحيد:

كثيرة هي البلدان، والدول التي تعيش في فوضى عارمة، وجرائم منتشرة، وعصابات مسلحة لا يمنع ذلك تطور أجهزتها، وحداثة تقنياتها في مكافحة الجريمة، ضاقت ذرعًا، واشتطت ألمًا، وحارت في أمرها.

ولقد بيَّن القرآن الكريم منذ أكثر من ثلاثة وثلاثين وأربعمائة وألف عام، طرق الأمن،وسبل الأمان،والاطمئنان للأمم، والشعوب والدول، والمجتمعات،قبل أن يكتشف الإنسان أبراج المراقبة، وآلات التجسس الحديثة.

وأعظم ما يحقق الأمن، وينشر الرخاء، والراحة للأمم والشعوب: توحيد الله تعالى، والإخلاص في عبادته -عَزَّ وَجَلَّ-.

قال -تعالى-: ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (آل عمران: ١٥١).

---

(١) تفسير القرآن العظيم: (٣/ ٣١١- ٣١٣).

« بشَّرهم بأنه سيلقي في قلوب أعدائهم الخوف منهم، والذلَّة لهم؛ بسبب كفرهم وشركهم، مع ما ادَّخره لهم في الدار الآخرة من العذاب والنكال فقال: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١) ﴾ .

وقد ثبت في الصحيحين [١] عن جابر بن عبد الله- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: أن رسول الله -ﷺ- قال:« **أعطيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي: نُصِرْتُ بالرُّعب مسيرة شهر، وجُعِلَتْ لي الأرض مسجدًا وطَهُورًا، وأُحِلَّت لي الغَنائم، وأعْطِيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصَّة وبعثت إلى الناس عامة** » ا.هـ.[٢]

﴿ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ﴾ يعني: بشركهم بالله وعبادتهم الأصنام، وطاعتهم الشيطان التي لم أجعل لهم بها حجة – وهي السلطان – التي أخبر -ﷺ- أنه لم ينزله بكفرهم وشركهم، وهذا وعدٌ من الله – جلَّ ثناؤه – أصحابَ رسول الله -ﷺ- بالنصر على أعدائهم... ما استقاموا على عهده، وتمسكوا بطاعته».[٣]

﴿ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ ؛ أي: ذلك بسبب ما اتَّخذوا من دونه من الأنداد والأصنام التي اتَّخذوها على حسب أهوائهم وإراداتهم الفاسدة من غير حُجَّة ولا برهان،وانقطعوا من ولاية الواحد الرحمن، فمن ثَمَّ كان المشرك مرعوبًا من المؤمنين، لا يعتمد على ركن وثيق، وليس له ملجأ عند كل شدَّة وضيق، هذا حاله في الدنيا، وأمَّا في الآخرة فأشدُّ وأعظم؛ ولهذا قال:﴿ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ﴾ ؛ أي: مستقرُّهم الذي يأوون إليه، وليس لهم عنها خروج؛ ﴿ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ بسبب ظلمهم، وعدوانهم صارت النار مثواهم».[٤]

---

(١) رواه البخاري: (٣٣٥)، ومسلم: (٥٢١).
(٢) تفسير القرآن العظيم: (١/ ٤٢٠).
(٣) تفسير الطبري: (آل عمران: ١٥١).
(٤) تفسير السعدي:(ص: ١٥٢).

وقال– سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى –: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الأنعام: ٨١– ٨٢) ؛ يعني: صدقوا ووحَّدوا، ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾؛ أي: شرك، إذ هو الظلم الذي لا يغفره الله – عَزَّوَجَلَّ –.

وفي الصحيح[1]، عن عبدالله بن مسعود – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قال: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذه الْآيَةُ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ شَقَّ ذَلكَ عَلَى أَصْحَاب النَّبيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ. فَقَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – –: «لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (لقمان: ١٣)».[2]

فهذه بعض فضائل التوحيد وثماره، وفوائده والتي الواحدة منها كافية في بيان عظمته، وعلو منزلته، ورفيع مرتبته، ولا تعظم الأمة، ويكبر الفرد إلا بالسير على حقيقته، وسلوك طريقه، والعمل بمعانيه الغالية، ومفرداته الزاكية.

حقيقة التوحيد ومعناه الذي يريده الله منا:

أن تكون موحدًا فهذا شرف عظيم، وأن تكون مدعيًا التوحيد فهذا أمر مشين، وحال قبيح، وكم هم المدعون في هذا الزمان، والمنتسبون للتوحيد، والتوحيد منهم براء، ليس لهم من التوحيد إلا اسمه، ومن العبادة إلا رسمها.

لقد كان كفار قريش على شركهم أكثر علمًا، واشد حياءً من كثير من أدعياء التوحيد في هذا الزمان فحين دعاهم النبي الكريم عليه الصلاة والسلام لعبادة الله، وقول لا إله إلا الله كلمة التوحيد كانت إجابتهم دليل على معرفتهم بمعنى التوحيد، وحقيقة أن تكون موحدًا تقول: لا إله إلا الله. قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ

(١) رواه البخاري: (٦٩٣٧).
(٢) معارج القبول: (١/ ٢٩١).



إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ (ص: ٥).

ولكن كثير من أدعياء التوحيد في هذا الزمان، هم أقل فقهًا، وأجهل بحقيقة دعوة النبي ﷺ من كفار قريش، ومشركي العرب.

فهم يقولون لا إله إلا الله، ولكنها لا تتجاوز ألسنتهم، ولا تتعدى لفظهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ـ.

فكم هي الشركيات، ونواقض التوحيد، ومظاهر نقصه، وذهابه عند هؤلاء الأدعياء، وبالمثال يتضح المقال، وفيه تفسير لما وصل إليه من ينتسب للتوحيد ممن ينخر فيه نخرًا، ويمزقه تمزيقًا.

فمن مظاهر خرم التوحيد، وتخريب العقيدة مما شاع أمره، واشتهر ذكره لا سيما عند أضرحة الموتى، وقباب الأولياء:

أولًا: دعاء غير الله:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**»، ثم قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ (غافر: ٦٠).[١]

والعبادة حق خالص لله تعالى، فلا يجوز أن تصرف لغيره، ولذلك أجمع المسلمون على أن من دعا غير الله تعالى فهو مشرك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فمن جعل الملائكة، والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع، ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين»[٢].

(١) رواه الترمذي: (٢٨٩٥)، وابن ماجه: (٣٨١٨). وصححه الألباني في صحيح الترمذي: (٢٣٧٠).
(٢) مجموع الفتاوى: (١/ ١٢٤).

وأصل الناس هو من يدعو غير الله تعالى، ويصرف العبادة لغيره، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۝٦ ﴾

(الأحقاف: ٥-٦).

والله تعالى قد أخبر عن عجز الآلهة التي تعبد من دونه، وتُدعى من أتباعها بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤ ﴾ (فاطر: ١٣-١٤).

وأمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يقول: ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ ﴾ (الجن: ٢١). وفي وصية النبي ﷺ لابن عباس وهو غلام: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»[1].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في معرض كلام له عن أنواع الشرك:

« ومن أنواعه؛ طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعًا، فضلًا عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده كما تقدم، فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببًا لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، وهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها، وهذه حالة كل مشرك.

والميت محتاج إلى من يدعو له، ويترحم عليه، ويستغفر له، كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم، ونسأل لهم العافية والمغفرة، فعكس المشركون هذا، وزاروهم زيارة العبادة، واستقضاء الحوائج

(١) رواه الترمذي: (٢٥١٦). وصححه الألباني في صحيح الترمذي: (٢٠٤٣).



والاستغاثة بهم، وجعلوا قبورهم أوثانًا تعبد، وسموا قصدها حجًا، واتخذوا عندها الوقفة، وحلق الرأس، فجمعوا بين الشرك بالمعبود الحق وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد، ونِسبة أهله إلى التنقص للأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئًا، بذمهم، وعيبهم، ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء هم أعداء الرسل، والتوحيد في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم، ولله خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث يقول: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ﴾ (إبراهيم: ٣٥ - ٣٦).

وما نجا من شَركِ هذا الشرك الأكبر إلا من جرَّد توحيد الله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله، واتخذ الله وحده وليه، وإلـٰهه، ومعبوده، فجرّد حبه لله، وخوفه لله، ورجاءه لله، وذُله لله، وتوكله على الله، واستعانته بالله، والتجاءه إلى الله، واستغاثته بالله، وأخلص قصده لله، متبعا لأمره، متطلبًا لمرضاته، إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمِل عمِل لله، فهو لله، وبالله، ومع الله». [١]

الحلف والإقسام بغير الله تعالى:

إن مما تعبد الله به أهل التوحيد، وأمرهم به أن يكون القسم، واليمين به وحده لا شريك له، ونهاهم أن يجعلوا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ندًا في أي شيء كان، فقال تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٢).

ومن الأدلة على تحريم الحلف بغير الله تعالى:

* عن قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: «أتى حبر من الأحبار رسول الله ﷺ

(١) مدارج السالكين: (١/ ٣٥٤).

فقال: يا محمد ! نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون ! **قال: سبحان الله! وما ذاك؟**. قال: تقولون إذا حلفتم: و الكعبة، قالت: فأمهل رسول الله ـ شيئًا ثم قال: **إنه قد قال، فمن حلف فليحلف برب الكعبة**، قال: يا محمد ! نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله ندًا ! **قال: سبحان الله ! و ما ذاك؟** قال: تقولون ما شاء الله و شئت. قالت:فأمهل رسول الله ﷺ شيئًا **ثم قال: إنه قد قال، فمن قال: ما شاء الله فليقل معها: ثم شئت** »[1].

* عَن ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَقُولُ:«**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»[2].

* عن بريدة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قال: «**من حلف بالأمانة فَليس منا** »[3].

* عَن ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ:«أَلاَ مَنْ كَانَ حَالِفاً فَلاَ يَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ»، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا، فَقَالَ:«لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ»[4].

* وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:«**لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي وَلَا بِآبَائِكُمْ**».[5]

* عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَنَّهُ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -فِي رَكْبٍ، وَعُمَرُ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَنَادَاهُمْ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:«**أَلَا إِنَّ اللهَ-عَزَّ وَجَلَّ -**

---

(١) أخرجه الطحاوي في « المشكل »: (١ / ٩١)، و أحمد: (٦ / ٣٧١ و ٣٧٢)، وابن سعد:(٨ / ٣٠٩)، والحاكم: (٤ / ٢٩٧) انظر السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني رحمه الله : (١١٦٦).

(٢) رواه أبوداود: (٣٢٥١)، والترمذي: (١٥٣٥) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٢٩٥٢).

(٣) رواه أبو داود:(٣٢٥٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (١ / ١٤٩).

(٤) رواه البخاري: (٣٨٣٦)، ومسلم: (١٦٤٦).

(٥) رَوَاهُ مُسلم: (١٦٤٨)، والطواغي: هي الأصنام.



يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، أَوْ لِيَصْمُتْ » [١].

ورغم ورود الأحاديث الصريحة في تحريم الحلف بغير الله إلا أن لسان كثير من الناس يقسم بـ: الشرف، والكعبة، والأمانة، ورأس الأم والأب، وأولاده، وهناك من يقسم بالأولياء، والمقبورين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ـ.

يقول الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى :«... ويقسمون بأسمائهم، بل إذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبلوا منه، فإذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وصدقوه، ولن يصدق أحد من الحالف إلا إذا حلف بواحد منهم، وهذا كان شيئًا طبيعيًا كنا نراه في القرى ونحن صغار، ولا زال يجري للآن».[٢]

قلت: وما زال كذلك يجري إلى الآن، ولم يرعو هؤلاء عن غيهم، وضلالات آبائهم التي توارثوها، وبئس الإرث الشرك بالله تعالى: ﴿ **بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾** ﴾ (الزخرف:٢٢) .

الذبح والنذر لغير الله تعالى:

الذبح والنذر عبادتان لا يجوز صرفهما لغير الله تعالى قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾** ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

وروى الطبري عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿ **صَلَاتِى وَنُسُكِى** ﴾،قال: ذبحي [٣].

وعن علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: « **لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ**

(١) رواه البخاري: (٢٦٧٩)، ومسلم: (١٦٤٦).
(٢) تطهير الاعتقاد: (ص٢٦).
(٣) تفسير الطبري: (١٢ / ٢٨٤).

اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ »[١].

قال الإمام النووي -رحمه الله -:[٢] « أما الذبح لغير الله؛ فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى، كمن ذبح للصنم، أو الصليب، أو لموسى، أو لعيسى، أو للكعبة ونحو ذلك، فكل هذا حرام، ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً، أو نصرانيًا، أو يهوديًا .. فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى، والعبادة له كان ذلك كفرًا ».

وأما النذر فيقول تعالى: ﴿ **وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴿٢٧٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٧٠).

وكثيرًا ما يقترن الذبح بالنذر، ولا شك أن الذبح والنذر سواء أكان ذبحًا، أو إهداء زيت، أو إعطاء نقود... من العبادات التي لا تجوز إلا لله تعالى.

لذلك يقول الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى[٣]:«والنذر بالمال على الميت ونحوه، والنحر على القبر، والتوسل به، وطلب الحاجات منه، هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثنًا وصنماً، وفعله القبوريون لما يسمونه وليًا، وقبرًا، ومشهدًا ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[٤]: «وَأَمَّا «النَّذْرُ لِلْمَوْتَى» مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَشَايِخِ وَغَيْرِهِمْ، أَوْ لِقُبُورِهِمْ أَوْ الْمُقِيمِينَ عِنْدَ قُبُورِهِمْ. فَهُوَ نَذْرُ شِرْكٍ وَمَعْصِيَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، سَوَاءٌ كَانَ النَّذْرُ نَفَقَةً أَوْ ذَهَبًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، وَهُوَ شَبِيهٌ بِمَنْ يَنْذُرُ لِلْكَنَائِسِ ؛ وَالرُّهْبَانِ وَبُيُوتِ الْأَصْنَامِ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ[٥]عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: (**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ**

(١) رواه مسلم: (١٩٧٨).
(٢) شرح مسلم:(١٣/ ١٤١).
(٣) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: (ص ١٨ – ١٩).
(٤) مجموع الفتاوى:(١١/ ٥٠٤).
(٥) أخرجه البخاري: (٦٢٠٦).

أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِهِ) ».

وَقَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ نَذْرَ الْمَعْصِيَةِ لَا يَجُوزُ الْوَفَاءُ بِهِ ؛ بَلْ عَلَيْهِ كَفَّارَةُ يَمِينٍ فِي أَحَدِ قَوْلَيِ الْعُلَمَاءِ، وَهَذَا إِذَا كَانَ النَّذْرُ لِلَّهِ. وَأَمَّا إِذَا كَانَ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ، فَهُوَ كَمَنْ يَحْلِفُ بِغَيْرِ اللهِ، وَهَذَا شِرْكٌ. فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْهُ، وَلَيْسَ فِي هَذَا وَفَاءٌ وَلَا كَفَّارَةٌ. وَمَنْ تَصَدَّقَ بِالنُّقُودِ عَلَى أَهْلِ الْفَقْرِ وَالدِّينِ فَأَجْرُهُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَأَصْلُ عَقْدِ النَّذْرِ مَنْهِيٌّ عَنْهُ. كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ نَهَى عَنْ النَّذْرِ وَقَالَ: « **إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنْ الْبَخِيلِ** » وَإِذَا نَذَرَ فَعَلَيْهِ الْوَفَاءُ بِمَا كَانَ طَاعَةً لِلَّهِ كَالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالصِّيَامِ، وَالْحَجِّ ؛ دُونَ مَا لَمْ يَكُنْ طَاعَةً لِلَّهِ تَعَالَى.

ومن خرافات القبوريين، وشركياتهم:

ومن المفارقات أن تلك العبادة تتجلى واضحة عند القبوريين في المواطن التي كان المشركون يخلصون فيها الدعاء لله وحده؛ لأنهم يعلمون أن آلهتهم لا تجيبهم، ولا تنفعهم في تلك المواطن، يحكي محمد السنوسي أنه حين كان راكبًا في البحر، وهاجت الرياح، وتلاطمت الأمواج حتى كادت السفينة أن تغرق، أخذ يستجير- كما يقول - بكل ما يستحضره من الأولياء كي يكشفوا كربته!.

وليست هذه حالة خاصة، بل إن من المشاهد اليوم أن كثيرًا من الناس يستغيثون بالمشايخ، والأنبياء، والأئمة، والشهداء.

فأمثال تلك المشاهدات المستقاة من الواقع الشركي للقبوريين دعت كثيرًا من العلماء إلى التصريح بأن شرك الأولين من عباد الأصنام أخف وطأة من شرك القبوريين، وذلك من عدة وجوه بينوها في كتبهم.

وهذا قبر ابن عربي بدمشق، يحكي عبد الله بن محمد بن خميس مشاهداته عنده، فيقول: «لقد ذهبت إلى قبر ابن عربي في دمشق فوجدت فئامًا من الناس

يغدون إليه ويروحون.. وجدتهم يطوفون حوله، ويتوسلون به، ويعلنون دعاءهم له من دون الله.. وجدت المرأة تضع خدها على شباك الضريح وتمرغه وتنادي: اغثني يا محيي الدين.. وجدت الصبايا البريئات يجئن إليه، ويمددن أمامه الأكف، ويمسحن الوجوه، ويخشعن، ويتضرعن».

وفي الهند أصبح قبر الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني مرجع الخلائق في العصر الأخير، ويطوفون حوله، ويعملون ويصنعون على قبره جميع الأعمال اللائقة بالمعبود، كالسجود، والنذور، وما أشبه ذلك.

وضريح الشيخ علي الهجوري في لاهور في باكستان، وهو من القبور العظيمة، والناس يزورونه كل سنة، بل كل يوم، ويطوفون حوله، ويسجدون له، ويقدمون النذور، ويستغيثون به، ويطلبون العون والمدد.

وعند القبر المنسوب إلى هود في حضرموت يحدث من الشرك الأكبر ما يعجز القلم عن وصفه، شأنه في ذلك شأن كل الأضرحة في البلاد الأخرى.

وقد بولغ في تقديس هذا الضريح، فتراهم يشدون الرحال لزيارته وعندهم شيء من بقايا الشعور الوثني الذي كان يشعر به العرب للات والعزى، يستعينون به ويتوجهون إليه، ويولون وجوههم شطره لقضاء الحاجات، واستنزال البركات، ودفع الكربات.

وتعدى أمر التشريع عند القبوريين إلى التلاعب في بعض العبادات المفروضة، ويمثل الحج أبرز مثال لهذا التلاعب، الذي بدأ بسن آداب وطقوس معينة لزيارة تلك الأضرحة، « فالزيارة ليست مجرد مرور عابر، ويجب أن تؤخذ بمعناها الدقيق، فعملية الاستقبال داخل الضريح هي لقاء بين الولي » الداعي « والزائر » الضيف»، لذلك لم يقتصر القبوريون على إقامة المباني والأضرحة عليها فحسب، بل صنعوا في آداب زيارتها وترتيبها المصنفات الطوال، منها: كتاب شمس الدين




محمد بن الزيات المعروف « الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة».

ومن آداب للزيارة إلى مناسك للحج، فقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجًا، ووضعوا له مناسكًا، حتى صنَّف بعض غلاتهم في ذلك كتابًا وسماه: «مناسك حج المشاهد » مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عُبَّاد الأصنام.

ولم يكتفوا بتصنيف الكتب في ذلك، بل أشاعوا ذلك التشريع في جمهورهم، فالدكتور عبد الكريم دهينة يذكر عن قريته التي بها أكثر من ثلاثين ضريحًا تقام لها موالد، ونذور، ونسك . أنه« قد أفتى بعضُ الفسقة بأن الحج ينفع إليهم».

كما أن شطرًا من العامة في صعيد مصر يرى أن الطواف سبع مرات بقبر الشيخ القناوي بقنا فيه غناء عن أداء الحج إلى بيت الله الحرام.

وعلى ذلك فليس بمستغرب أن يقول السخاوي: «جاء الحُجاج هذه السُّنَّة لسيدي أحمد البدوي من الشام، وحلب، ومكة، أكثر من حجاج الحرمين».

فهذا باب من التشريع، وهو أثر من آثار الإلحاد في أسماء الله الحسنى: الحكيم، والحكم، والعليم، والعزيز، والملك، والعظيم.

ذلك أدى إلى الاستهانة بأوامر الله -عَزَّوَجَلَّ- ، واستبدالها بتعظيم شعائر الأضرحة وأوامر سدنتها، وبذا كانت القبورية أحد الأسباب التي هيأت شعوب العالم الإسلامي لقبول العلمانية الوافدة وتشريع ما لم يأذن به الله تعالى[1].



(١) انظر كتاب: (دمعة على التوحيد) كتاب مجلة البيان.

2 التيسير عن المُعسر
والسعي في تفريج كربات الآخرين

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِى قَتَادَةَ أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - طَلَبَ غَرِيماً لَهُ فَتَوَارَى عَنْهُ ثُمَّ وَجَدَهُ فَقَالَ: إِنِّى مُعْسِرٌ. فَقَالَ: آللَّهِ. قَالَ: آللَّهِ. قَالَ فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ :« **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ**».[١]

وفي رواية :«**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللهُ في ظِلِّهِ**».

اعلم أخي المسلم الكريم أن في شريعة الله عَزَّوَجَلَّ قاعدة عظيمة وهي: (الجزاء من جنس العمل) فمن يسر يسر الله عليه، ومن نظر للناس بعين الرحمة،رحمه الله تعالى فما جزاء الإحسان إلا الإحسان، وأمثلة هذا كثيرة ومنها:

عَنْ أَبِى بَرْزَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: « **يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ لاَ تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّ مَنْ تَبِعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ اتَّبَعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَفَضَحَهُ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ** »[٢].

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ يَدْعُوهُ إِلَى ابْنِهَا فِي الْمَوْتِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:«**ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ للهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**، فَأَعَادَتْ الرَّسُولَ أَنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا فَقَامَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ

(١) رواه مسلم: (١٥٦٣).
(٢) رواه أبوداود: (٤٨٨٢).



عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَل فَدُفِعَ الصَّبِيُّ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنٍّ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذَا ؟. **قَالَ: هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ** »[١].

وعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ هِشَامَ بْنَ حَكِيم وَجَدَ رَجُلًا وَهُوَ عَلَى حِمْصَ يُشَمِّسُ نَاسًا مِنَ النَّبَطِ فِي أَدَاءِ الْجِزْيَةِ فَقَالَ: مَا هَذَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا** »[٢].

ومن هذا الباب هذا الحديث العظيم الذي يفتح للناس بابًا من أبواب تفريج الكروب، وكشف الخطوب. وهذه الفضيلة هي نتاج التيسير على الناس، والحط من أثقالهم، والتعاون في تخفيفها. المنطلق من الشعور بالآخرين، والإحساس بأحوالهم، ومشاركتهم همومهم، وكروبهم.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى : (والتيسير على المعسر في الدنيا من جهة المال يكون بأحد أمرين: إمّا بإنظاره إلى الميسرة، وذلك واجبٌ، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾(البقرة: ٢٨٠)، وتارةً بالوضع عنه إن كان غريمًا، وإلاّ فبإعطائه ما يزول به إعسارُه، وكلاهما له فضل عظيم)[٣].

فضل التيسير على المعسر، وفضيلة تفريج كربه من كتاب الله:

ومما ثبت في فضل التيسير على المعسر، وفضيلة تفريج كربه من كتاب الله تعالى، و سُنَّة رسول الله -ﷺ-:

١- قال تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(المائدة: ٢).

(١) رواه البخاري: (٧٣٧٧)، ومسلم: (٩٢٣).
(٢) رواه مسلم: (٢٦١٣).
(٣) جامع العلوم والحكم: (ص: ٤٦٠).

فالسعي في قضاء حوائج الناس من الأخلاق الإسلامية العالية، الرفيعة التي ندب إليها الإسلام وحث المسلمين عليها، وقد جعلها الله تعالى من باب التعاون على البر والتقوى، وإن قضاء الحوائج، واصطناع المعروف باب واسع يشمل كل الأمور المعنوية، والحسية التي حثنا الإسلام عليها، قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى :«أي: ليعن بعضكم بعضًا على البر، وهو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة من حقوق الله، وحقوق الآدميين» (١).

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحشر: ٩).

أثنى الله تعالى على الأنصار، وأعطاهم الأوسمة الشريفة في هذه الآية بسبب منفعتهم لإخوانهم المهاجرين، وتفريج كربة غربتهم، ورحيلهم من ديارهم بسعيهم في قضاء حوائجهم بإيوائهم، وإطعامهم، وإيثارهم على أنفسهم.

٣- وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –يَقُولُ:«**مَنْ نَفَّسَ عَنْ غَرِيمِهِ، أَوْ مَحَا عَنْهُ كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » (٢).

٤- وعَنْ بُرَيْدَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -:« **مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَإِنَّ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَهُ صَدَقَةً**». قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةً ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَهُ صَدَقَةً ؟ **فَقَالَ لَهُ:** « **بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ مَا لَمْ يَحِلَّ الدَّيْنُ فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَإِنْ أَنْظَرَهُ بَعْدَ الْحِلِّ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَهُ صَدَقَةٌ**» (٣).

---

(١) تفسير السعدي:( ).٢١٨
(٢) رواه أحمد: (٥ / ٣٠٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.
(٣) رواه أحمد: (٥ / ٣٦٠)، وابن ماجهْ: (٢٤١٨)، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١/ ٨).



٥- وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ » (١).

٦- و عن سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر: يرفعه إلى النبي - ﷺ - قال: «**من أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن، تقضي عنه دينًا، تقضي له حاجة، تنفس له كربة** » (٢).

٧- وعَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ النَّاس أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟، وَأَيُّ الأَعْمَال أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟. فَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**أَحَبُّ النَّاس إِلَى الله تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَال إِلَى الله تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِم، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِد يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ** » (٣).

٨- عن كثير النواء قال: حدثني أبو مريم الأنصاري وكان ابن خمسين ومائة سَنَة قال: سمعت عمر بن الخطاب- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يقول: سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل قال: «**إدخالك السَرور على مؤمن أشبعت جوعته، أو كسوت عريه، أو قضيت له حاجة** » (٤).

(١) رواه البخاري: (٢٠٧٨).
(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان »: (٢ / ٤٥٢ / ٢) مرسلًا، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني رحمه الله تعالى رقم: (٢٢٩١).
(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣ / ٢٠٩ / ٢)،وابن عساكر في « التاريخ »(١٨ / ١ / ٢). انظر السلسلة الصحيحة: (٩٠٦).
(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » (١ / ٩٥ / ١). انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١ / ٨).

٩- وعن أبي هريرة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال:«**أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سرورًا، أو تقضي عنه دينًا، أو تطعمه خبزا "** (١).

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى (٢):«(أفضل الأعمال) أي: من أفضلها. أي: بعد الفرائض كما ذكره في الحديث المار، والمراد الأعمال التي يفعلها المؤمن مع إخوانه (أن تدخل) أي إدخالك. (على أخيك المؤمن) أي أخيك في الإيمان وإن لم يكن من النسب. (سرورًا) أي سببًا لانشراح صدره من جهة الدين، والدنيا. (أو تقضي) تؤدي (عنه دينًا) لزمه أداؤه لما فيه من تفريج الكرب، وإزالة الذل. (أو تطعمه) ولو (خبزًا) فما فوقه من نحو اللحم أفضل، وإنما خص الخبز لعموم تيسر وجوده حتى لا يبقى للمرء عذر في ترك الإفضال على الإخوان، والأفضل إطعامه ما يشتهيه ».

١٠-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ "** (٣).

قلت: ففي هذا الحديث ذكر فضيلة عظيمة لمن قضى حاجة كلب، فكيف بمن يقضي حاجة إنسان، وكيف إذا كان مسلماً موحدًا. وتكمن الفضيلة في غفران الله تعالى لهذه المرأة بعملها ذاك رغم فظاعة ذنبها، فإنه تعالى يتجاوز عن الذنب الكبير بالعمل اليسير.

١١- والسعي في قضاء حوائج الناس من الشفاعة الحسنة التي أمرنا الله تعالى بها فقال: ﴿ **مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً**

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » : (ص ٩٨)، والديلمي: (١ / ١ / ١٢٣). انظر السلسلة الصحيحة: (١٤٩٤).

(٢) فيض القدير: (٢ / ٢٥).

(٣) رواه البخاري: (٣٤٦٧)، ومسلم: (٢٢٤٥). « المُوقُ »: الخف. وَ« يُطِيفُ »: يدور حول « رَكِيَّةٍ»: وَهِي البئر.

سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾(النساء: ٨٥).

١٢ وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْن أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيه، قال:كَانَ رَسُولُ الله -ﷺ- إذَا جَاءَهُ السَّائِلُ، أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْه حَاجَةٌ. قال:«**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، ويقْضي الله عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ - ﷺ - مَاشَاء**»[1].

١٣ـ كما أنها لون من ألوان الصدقة،فعَنْ أَبِي سَلاَّم، قَالَ أَبُو ذَرٍّ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : أن رسول الله ﷺ قال:«**عَلَى كُلِّ نَفْسٍ فِي كُلِّ يَوْم طَلَعَتْ فيه الشَّمْسُ صَدَقَةٌ منْهُ عَلَى نَفْسه، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، منْ أَيْنَ أَتَصَدَّقُ، وَلَيْسَ لَنَا أَمْوَالٌ ؟ قَالَ: لأَنَّ منْ أَبْوَابِ الصَّدَقَة: التَّكْبيرَ، وَسُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لله، وَلاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ، وَأَسْتَغْفرُ الله، وَتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوف، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَر، وَتَعْزِلُ الشَّوْكَةَ عَنْ طَريق النَّاس، وَالْعَظْمَ، وَالْحَجَرَ، وَتَهْدِي الأَعْمَى، وَتُسْمِعُ الأَصَمَّ، وَالأَبْكَمَ حَتَّى يَفْقَهَ، وَتَدُلُّ الْمُسْتَدلَّ عَلَى حَاجَةٍ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا، وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ إِلَى اللَّهْفَانِ الْمُسْتَغيث، وَتَرْفَعُ بِشدَّة ذرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيف، كُلُّ ذَلكَ منْ أَبْوَابِ الصَّدَقَة منْكَ عَلَى نَفْسك، وَلَكَ فِي جِمَاعِكَ زَوْجَتَكَ أَجْرٌ**، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كَيْفَ يَكُونُ لِي أَجْرٌ فِي شَهْوَتِي ؟ **فَقَالَ رَسُولُ الله** ﷺ:«**أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ وَلَدٌ فَأَدْرَكَ، وَرَجَوْتَ خَيْرَهُ، فَمَاتَ، أَكُنْتَ تَحْتَسِبُ بِه ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْتَ خَلَقْتَهُ ؟ قَالَ: بَلِ اللهُ خَلَقَهُ، قَالَ: فَأَنْتَ هَدَيْتَهُ ؟ قَالَ: بَلِ اللهُ هَدَاهُ، قَالَ: فَأَنْتَ تَرْزُقُهُ ؟ قَالَ: بَلِ اللهُ كَانَ يَرْزُقُهُ، قَالَ: كَذَلكَ فَضَعْهُ فِي حَلاَلِه، وَجَنِّبْهُ حَرَامَهُ، فَإِنْ شَاءَ اللهُ أَحْيَاهُ، وَإِنْ شَاءَ أَمَاتَهُ، وَلَكَ أَجْرٌ**"[2].

١٤ عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -:«**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمن كُرْبَةً منْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً منْ كُرَب يَوْم الْقيَامَة، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْه فِي الدُّنْيَا وَالآخرَة، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلماً سَتَرَهُ اللهُ**

(١) أخرجه البخاري: (١٤٣٢)، ومسلم: (٢٦٢٧).
(٢) أخرجه الإمام أحمد: (٥ / ١٦٨) انظر «السلسلة الصحيحة»: (٢ / ١١٥).

فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ »[١].

إن السعي في تفريج الكربات، وقضاء الحاجات من أعظم الطاعات، وأجل القربات، وسبب لنيل الرضا من الله، والمحبة من الناس، فالإنسان بطبعه كائن اجتماعي، ومصالحه لا تتم إلا بالتعاون مع الآخرين، فاحتياجاته كثيرة، وكرباته عديدة.

وفيما يخص موضوع تفريج الكربات اشتمل الحديث على ثلاثة أمور:

* تنفيس الكربات. * والتيسير على المعسرين. * وإعانة المسلمين.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى[٢]:«وهو حديث عظيم جامع لأنواع من العلوم، والقواعد،والآداب وسبق شرح أفراد فصوله،ومعنى نفس الكربة أزالها، وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين،ونفعهم بما تيسر من علم، أو مال، أو معاونة، أو إشارة بمصلحة، أو نصيحة وغير ذلك، وفضل الستر على المسلمين ».

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى[٣]:«والكُربة: هي الشِّدَّةُ العظيمة التي تُوقعُ صاحبَها في الكَرب، وتنفيسُها أن يُخفَّفَ عنه منها، مأخوذٌ مِنْ تنفيس الخناق، كأنه يُرخِي له الخناق حتَّى يأخذ نفسًا، والتفريجُ أعظمُ منْ ذلك، وهو أنْ يُزيلَ عنه الكُربةَ، فتنفرج عنه كربتُه، ويزول همُّه وغمُّه، فجزاءُ التَّنفيسِ التَّنفيسُ، وجزاءُ التَّفريجِ التَّفريجُ ».

وقال رحمه الله تعالى[٤]: « وقوله: (**كُربة من كُرَب يوم القيامة**)، ولم يقل: (من كُرب الدُّنيا والآخرة) كما قيل في التَّيسير والسَّتر، وقد قيل في مناسبة ذلك: إنَّ الكُرَبَ هي الشَّدائدُ العظيمة، وليس كلّ أحد يحصُلُ له ذلك في الدُّنيا، بخلاف الإعسار، والعورات المحتاجة إلى الستر، فإنَّ أحدًا لا يكادُ

(١) رواه مسلم: (٢٦٩٩).
(٢) شرح النووي على مسلم : (١٧ / ٢١).
(٣) جامع العلوم والحكم ص: (٤٥٨).
(٤) المصدر السابق ص: (٤٥٩).

يخلو في الدُّنيا من ذلك، ولو بتعسُّر بعض الحاجات المهمَّة. وقيل: لأنَّ كُرَبَ الدُّنيا بالنِّسبة إلى كُرَب الآخرة لا شيءٍ، فادَّخر الله جزاءَ تنفيسِ الكُرَبِ عندَه، لينفِّسَ به كُرَبَ الآخرة ».

وقد دلت عدد من النصوص على عظمة الكرب في يوم القيامة، وهول الخطب، وهلع الناس من ذلك اليوم ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ ﴾(الحج ١-٢).

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ١٠ ﴾ (المدثر ٨-١٠).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم - أُتِيَ بلَحْم فَرُفِعَ إِلَيْه الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجبُهُ، فَنَهَشَ منْهَا نَهْشَةً ثُمَّ قَالَ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاس يَوْمَ الْقيَامَة وَهَل تَدْرُونَ ممَّ ذَلكَ ؟. يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلينَ وَالآخرينَ في صَعيد وَاحد يُسْمعُهُمْ الدَّاعي، وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ منَ الْغَمِّ وَالْكَرْب مَا لا يُطيقُونَ، وَلا يَحْتَملُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ...**» [1] ، ثم ساق حديث الشفاعة الطويل.

وعن عَائشَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: «**تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، قَالَتْ عَائشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْض ؟، فَقَالَ: الْأَمْرُ أَشَدُّ منْ أَنْ يُهمَّهُمْ ذَاكَ** » [2].

وفي حديث عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) رواه البخاري: (٤٧١٢)، ومسلم: (٣٢٧).

(٢) رواه البخاري: (٦٥٢٧)، ومسلم: (٢٨٥٩)، (غرلا) معناه غير مختونين جمع أغرل وهو الذي لم يختن وبقيت معه غرلته وهي قلفته وهي الجلدة التي تقطع في الختان والمقصود أنهم يحشرون كما خلقوا لا شيء معهم، ولا يفقد منهم شئ حتى الغرلة تكون معهم.

وَسَلَّمَ – قَالَ: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ **حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْه.** (١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «**يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَة حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ** » (٢).

عن الْمِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**». **قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ فَوَاللهِ مَا أَدْرِى مَا يَعْنِى بِالْمِيلِ أَمَسَافَةَ الأَرْضِ أَمِ الْمِيلَ الَّذِى تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ. قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِى الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا». قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ** . (٣).

فهذه الكروب، وعظيم الأهوال تجعل المؤمن يشمر للعمل من فكاك رقبته، والسعي في تيسير أمره، وكشف كربه في يوم شديد أمره، عظيم خطبه فاللهم فرج كروبنا يوم القيامة يا كريم.

سعي النبي ﷺ في قضاء حوائج الآخرين:

لقد كانت مشاركة هموم الناس، والسعي في عونهم، وتفقد همومهم سمة بارزة، وخُلق أصيل في مُعلم البشرية، ونبي الرحمة محمد بن عبد الله ﷺ، وبهذا أثنت عليه زوجته خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حيث قَالَتْ: «**كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ** » (٤)

(١) رواه البخاري: (٤٩٣٨)، ومسلم: (٢٨٦٢).
(٢) رواه البخاري: (٦٥٣٢).
(٣) رواه مسلم: (٢٨٦٤).
(٤) رواه البخاري: (٣)، ومسلم: (١٦٠).



ولقد ضرب النبي ﷺ المثل، والنموذج الأعلى في الحرص على الخير، والبر، والإحسان، وفي سعيه لقضاء حوائج الناس وبخاصة للضعفاء، والأيتام،والأرامل.

١- عَنْ أَنَس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ:« **يَا أُمَّ فُلَانٍ، انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ، فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ، حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا**»[1].

٢- وعَنْ أَبى سَعِيد أَنَّ النبيِ -ﷺ-: مَرَّ بِغُلَامٍ وَهُوَ يَسْلُخُ شَاةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله -ﷺ-:« **تَنَحَّ حَتَّى أُرِيَكَ فَأَدْخَلَ يَدَهُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ، فَدَحَسَ بِهَا حَتَّى تَوَارَتْ إِلَى الإِبْطِ ثُمَّ مَضَى، فَصَلَّى لِلنَّاسِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ**».[2]

كعادته يخرج ﷺ ليلبي نداء ربه، وفي طريقه للمسجد وجد هذا الغلام يتعارك مع شاته ليسلخها، ولكنه لا يحسن السلخ، وهو بحاجة للعون، فمن تواضعه الجمّ ﷺ ، ومن رحمته بأصحابه، وتفريجه لكربهم، علم الغلام ما لا يُحسن، وسلخ الشاة بمهارة، وكأنه يعلمنا عليه الصلاة والسلام ألا عيب في هذا، ولا منقصة فيه.

وجد التواضع قد تهدم ركنه ∴ فأقام ساقط ركنه المهدوم

٣- وعن الأسود بن يزيد قال: سئلتُ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟. قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة، قام إلى الصلاة).[3]

وهذا من قضائه لحوائج أهله،وإعانتهم فهو القائل ﷺ في حديث عبد الله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : **(خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)**[4].

---

(١) رواه مسلم:(٢٣٢٦)

(٢) رواه أبوداود: (١٨٥)، وابن ماجهْ: (٣١٧٩).وصححه الألباني في صحيح أبي داود: (١٧٩).

(٣) أخرجه البخاري:(٦٧٦).

(٤) أخرجه ابن ماجهْ: (١٩٧٧)، وصححه الألباني في الصحيحة:(٢٨٥).

٤- عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (كان رسول الله ﷺ يتخلف في المسير، فيزجي الضعيف، ويردف، ويدعو لهم). [١]

إن من صفات القائد الرحيم، والأب الحكيم مراعاة أحوال الضعفاء من أمته، وهكذا كان حاله عليه الصلاة والسلام .

قال محمد شمس الدين العظيم آبادي[٢]: (فيُزجي: بضم الياء وسكون الزاي وكسر الجيم أي: يسوق.الضعيف: أي مركبه ليلحقه بالرفاق. قاله القارئ.ويردف: من الإرداف أي يركب خلفه الضعيف من المشاة)أ.هـ.

زانتك في الخُلق العظيم شمائلٌ ∴ يُغرى بهن ويولع الكرماء
فإذا سخوت بلغت بالجود المدى ∴ وفعلت ما تفعل الأنواء
وإذا عفوت فقادرًا ومقدرًا ∴ لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا رحمت فأنت أم أو أب ∴ هذان في الدنيا هم الرحماء[٥]

كليم الرحمن موسى عليه والسلام والمثل الأعلى في تفريج كرب الآخرين:

خلد الله -عَزَّوَجَلَّ- لنا قصة نبيه الكليم في كتابه الكريم مع الفتاتين إلى يوم القيامة، ليظل علما للبشرية في مجال قضاء حوائج الناس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (القصص ٢١-٢٤).

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٤٩٠١).
(٢)عون المعبود:(٧/ ٢٤٢).
(٣) انظر كتاب « الفائق في تواضع خير الخلائق » للمؤلف وفقه الله تعالى .



خرج من قريته بعد أن تآمر علية القوم على قتله، خرج منها خائفًا، متلفتًا يتوقع الشر في كل لحظة، هاربًا يسعى بكل طاقته ليس معه مال، وليس معه متاع، وانتهى به المطاف إلى قرية. فوصل وقد أنهكه التعب، والجوع، والظمأ وما كاد يجلس على الأرض ليستريح من عناء السفر المتعب حتى رأى منظرًا استفز فيه شهامته، ورجولته، ونخوته، ودينه فماذا رأى..؟ رأى فتاتين عفيفتين طاهرتين تتحاشيان الاختلاط بالرجال معهما أغنامهما ؛ وعلى الرغم من أنه لا يعرفهما، وليس له حاجة عندهما إلا أنه رأى أنها فرصة لأن يكسب الأجر عند الله بقضاء حاجتهما، وعلى الرغم من حرارة الجو، وما كان يعانيه من تعب السفر إلا أنه بادر لقضاء حاجتهما فسقى لهما، ثم بعد أن أنجز تلك المهمة لم يطلب منهما أجرة ما عمل، أو انتظر منهن كلمة شكر ، إنما تولى إلى الظل ليستظل من تلك الحرارة الشديدة.

فكانت النتيجة التي لم يتوقعها موسى عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾(القصص:٢٥-٢٧).

فهذا جزاء صنيعة المعروف في الدنيا أمان بعد الخوف، ورزق بعد الفقر، وزوجة بعد العزوبة فما بالك بعظيم الأجر عند الله تعالى في الآخرة يوم لقائه .

عاقبة الاحتجاب عن قضاء حوائج الناس:

عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ

-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «**مَنْ وَلَّاهُ اللهُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ، وَخَلَّتِهِمْ، وَفَقْرِهِمُ احْتَجَبَ اللهُ دُونَ حَاجَتِهِ، وَخَلَّتِهِ، وَفَقْرِهِ**». فَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ. [1]

وفي رواية [2]: «**ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجة، و الخلة و المسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته، و حاجته، و مسكنته** ».

ما أشد هذا الوعيد الذي يلحق من يتساهل، ويتوانى عن قضاء حوائج الناس، وقد ولاه الله على ذلك، وبالمقابل ما أشد تناسي كثير من حكام المسلمين حقوق الرعية، والسعي في قضاء حوائجهم، وقد أخذوا على أنفسهم عهدًا بأن يكونوا نعم الخدم للشعب، وخير المهتمين بأموره، فإذا بالرعية، والشعوب تموت جوعًا من جوار موائدهم الضخمة، وحفلاتهم الصاخبة، وصار المنصب عند الكثير مغنمًا يأكل منه، ويكسب من خلاله المليارات حتى أن ثروة بعض الزعماء تتجاوز عشرات المليارات، بينما شعوبهم تشكو البطالة، وتئن تحت وطأة الفقر، والجوع. فأين يذهبون من الله يوم يقفون بين يديه ؟.

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الصافات: ٢٤).

وأين هم من عدل، وحرص الخلفاء الراشدين ؟، حيث كانوا يكتبون إلى ولاتهم بقضاء حوائج الناس، وعدم الاحتجاب عنها، فقد كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- :«إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ لِلنَّاسِ وُجُوهٌ يَرْفَعُونَ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْهِمْ ؛ فَأَكْرِمْ وُجُوهَ النَّاسِ، فَبِحَسْبِ الْمُسْلِمِ الضَّعِيفِ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُنْصَفَ فِي الْحُكْمِ، وَالْقِسْمَةِ». [3]

وعن معمر عن عاصم بن أبي النجود أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان إذا بعث

---

(١) رواه أبو داود: (٢٩٥٠).

(٢) عند الترمذي: (١٣٣٢).

(٣) المجالسة وجواهر العلم: (٢/ ٢٨٢) .



عماله شرط عليهم ألا تركبوا برذونًا [(١)]، ولا تأكلوا نقيًا، ولا تلبسوا رقيقًا، ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس. فإن فعلتم شيئًا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة. قال: ثم شيعهم فإذا أراد أن يرجع قال:«إني لم أسلطكم على دماء المسلمين، ولا على أعراضهم، ولا على أموالهم، ولكني بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة، وتقسموا فيئهم، وتحكموا بينهم بالعدل، فإن أشكل عليكم شيء فارفعوه إلي، ألا فلا تضربوا العرب فتذلوها، ولا تجمروها فتفتنوها، ولا تعتلوا عليها فتحرموها ». [(٢)]

وعن عبد الملك بن ميسرة عَن النَّزَّالِ بْن سَبْرَةَ، يُحَدِّثُ عَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ صَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ قَعَدَ فِي حَوَائِجِ النَّاس، فِي رَحَبَةِ الْكُوفَةِ، حَتَّى حَضَرَتْ صَلاَةُ الْعَصْرِ، ثُمَّ أُتِيَ بِماء، فَشَرِبَ، وَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْه، وَذَكَرَ رَأْسَهُ وَرِجْلَيْه، ثُمَّ قَامَ فَشَرِبَ فَضْلَهُ وَهْوَ قَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ:«إِنَّ نَاسًا يَكْرَهُونَ الشُّرْبَ قَائِمًا، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُ». [(٣)]

وكان حكيم بن حزام يحزن على اليوم الذي لا يجد فيه محتاجًا ليقضي له حاجته. فيقول:«ما أصبحت وليس ببابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب التي أسأل الله الأجر عليها ».

وتكبر الإنسان عن قضاء حوائج الناس بما أعطاه الله تعالى من مال، أو جاه، أو منصب يعرض النعمة للزوال، ويلحق بها الضرر المحتوم فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله - ﷺ -:«**ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ثم جعل من حوائج الناس إليه، فتبرم فقد عرض تلك النعمة**

(١) في تهذيب اللغة: (١٥ / ٤٢) للأزهري:« قَالَ اللَّيْثُ: البِرْذَوْنُ، مَعْرُوف؛ وسَيْرَتُه: البَرْذَنَة». والأنثى: بِرْذَوْنَة. وإذا مَشِي الفَرسُ مَشْيَ البِرْذَوْن قيل: بَرْذَنَ الفَرَسُ. وحُكي عَن المُؤَرِّج أنّه قَالَ: سألتُ فلاَنا عَن كَذَا وَكَذَا فبرْذَن لي، أي أعْيَا ولم يُجب. وجمع (البِرْذَوْن): بَرَاذِين. والبَرَاذِين مِن الخَيْل: مَا كَانَ من غير نتَاج العِرَاب. والأنْثى: بِرْذَوْنَة».

(٢) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني: (١١/).٣٢٤

(٣) أخرجه أحمد: (٥٨٣)، والبُخَاري: (٥٦١٥).

للزوال »[١].

وعن ابن عُمرَ -رَضيَ اللهُ عَنهُما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- : «**إنَّ للهِ أقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بالنِّعَم لمَنَافع العِبَادِ، وَيُقرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا عَنْهُمْ وَحَوَّلَهَا إلَى غَيْرِهِمْ** »[٢].

فلابد للنعمة من زكاة تخرج عنها بحسب ما يناسبها، ولا تقتصر الزكاة على المال فقط كما يظن البعض، بل إن للجاه زكاة، وللمنصب زكاة...وبالزكاة طهارة للمزكى عنه، وإقرار من الله لهذه النعمة أيًا كانت، فلا يقتصر السعي في قضاء حوائج الناس على النفع المادي فقط، ولكنه يمتد ليشمل النفع بالعلم، والنفع بالرأي،والنفع بالنصيحة، والنفع بالمشورة، والنفع بالجاه، والنفع بالسلطان وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ ويتخذه مع أصحابه، ومن مواقفه في ذلك:

عَنْ أَنَس -رَضيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ:« **أُقيمَت الصَّلاَةُ، وَرَجُلٌ يُنَاجي رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فَمَا زَالَ يُنَاجيهِ حَتَّى نَامَ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى**».[٣]

طلب هذا الرجل من النبي ﷺ أن يناجيه كما جاء في رواية عند مسلم:«**أُقيمَتْ صَلاَةُ الْعشَاء، فَقَالَ رَجُلٌ: لِي حَاجَةٌ فَقَامَ النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يُنَاجِيهِ حَتَّى نَامَ الْقَوْمُ - أَوْ بَعْضُ الْقَوْمِ - ثُمَّ صَلَّوْا** ».

فلم يستخدم النبيﷺعندما احتاجه الرجل الغلظة، أو الفظاظة، وإنما لبى له طلبه، وأعطاه مراده، وقضى له حاجته، فتكلم معه، وناجاه بحضور أصحابه.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط : (٧/ ٢٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٢٦١٨).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج »: (رقم ٥) و الطبراني في « الأوسط»، (٥٢٩٥) و أبو نعيم في«الحلية »:(٦ / ١١٥ و ١٠ / ٢١٥) انظر « السلسلة الصحيحة »: (٤ / ٢٦٤).

(٣) أخرجه البخاري: (٦٤٢)، ومسلم: (٣٧٦).



قال الإمام النووي رحمه الله تعالى [(١)]:(وأما فقه الحديث: ففيه جواز مناجاة الرجل بحضرة الجماعة،وإنما نهى عن ذلك بحضرة الواحد، وفيه جواز الكلام بعد إقامة الصلاة، ولا سيما في الأمور المهمة، ولكنه مكروه في غير المهم، وفيه تقديم المهم فالأهم من الأمور عند ازدحامها، فإنه ﷺ إنما ناجاه بعد الإقامة في أمر مهم من أمور الدين مصلحته راجحة على تقديم الصلاة، وفيه أن نوم الجالس لا ينقض الوضوء...)أ.هـ.

عن أبي رِفَاعَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال:«انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَهُوَ يَخْطُبُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قَالَ: **فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا**» [(٢)].

لقد بُعث النبي ﷺ معلماً، ولما جاءه الرجل يريد أن يتعلم دينه، ويعرف إيمانه ما كان منه ﷺ إلا أن تصرف تصرف المعلم الرحيم، الرؤوف، الرفيق بأهل الحاجة والسؤال، فنزل من على منبره، وترك خطبته من أجل شخص واحد، فلم يتركه وهو في تلك الحاجة. وإنما علمه، ودرسه، وهذبه، وفقهه.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى [(٣)]: (وفيه تواضع النبي ﷺ ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم) أ.هـ.

و عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم-قَالَ: كَانَ زَوْجُ بَرِيرَةَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا، وَيَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى خَدِّهِ،

(١) شرح مسلم: (٤/ ٢٥٨).
(٢) أخرجه مسلم: (٨٧٦).
(٣) شرح مسلم: (٦/ ١٣٩).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْعَبَّاس: **يَا عَبَّاسُ أَلاَ تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغيث بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغْض بَرِيرَةَ مُغَيثًا**، فَقَالَ لَهَا النَّبِي ﷺ ـ: «**لَوْ رَاجَعْتِيه فَإِنَّهُ أَبُو وَلَدِك**، قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: تَأْمُرُنِى. **قَالَ: إِنَّمَا أَشْفَعُ** . قَالَتْ : لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ».[١]

وهذه شفاعة منه ﷺ لمغيث عند بريرة، فأراد أن ينفع مغيثًا، ويقضي له حاجته بإقناع بريرة، وسعى في ذلك ﷺ جاهدًا .

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبَهُم ∴ فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ
وكُنْ على الدّهرِ مِعْوَانًا لذي أملٍ ∴ يرجو نَـداكَ فـإنّ الحُـرَّ مِعْوانُ
واشْدُدْ يديك بحبلِ اللهِ معتصماً ∴ فإنّه الرّكنُ إنْ خانتك أركـانُ
من كان للخير منّاعًا فليس له ∴ على الحقيقة إخـوانٌ وأخْـدانُ
من جـاد بالمـال مـالَ النّـاسُ قاطبةً ∴ إليه والمـالُ للإنسـان فتّـان

قال العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى :«وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رحيم يحب الرحماء وإنما يرحم من عباده الرحماء، وهو ستير يحب من يستر على عباده، وعفو يحب من يعفو عنهم، وغفور يحب من يغفر لهم، ولطيف يحب اللطيف من عباده، ويبغض الفظ الغليظ، القاسي، الجعظري، الجواظ، ورفيق يحب الرفق، وحليم يحب الحلم، وبر يحب البر وأهله، وعدل يحب العدل، وقابل المعاذير يحب من يقبل معاذير عباده، ويجازي عبده بحسب هذه الصفات فيه وجودًا وعدمًا، فمن عفا عفا عنه، ومن غفر غفر له، ومن سامح سامحه، ومن حاقق حاققه، ومن رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن صفح عنهم صفح عنه، ومن تتبع عورتهم تتبع

(١) رواه البخاري: (٥٢٨٣).

عورته، ومن هتكهم هتكه وفضحه، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن شاق شاق الله تعالى به، ومن مكر مكر به، ومن خادع خادعه، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه »[١].

فكن - أيها الحبيب - في قضاء حوائج الناس يكن الله تعالى في قضاء حاجتك، واسع لتفريج كرباتهم يفرج الله عنك كربات الدنيا والآخرة.



(١) الوابل الصيب: (٤٩).



3 ذكر الله تعالى

عن عبد الله بن بُسر– رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قال: جاء أعرابيٌّ فقال: يا رسول الله كثُرت عليّ خلالُ الإسلام وَشرائعه، فأخبرني بأمر جامع يكفيني. قال:«عليك بذكر الله تعالى». قال: ويكفيني يا رسول الله؟ قالَ:«نعمٌ، ويفضل عنك».

وفي رواية:«أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَام قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ قَالَ:«**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذكرِ اللهِ**»[١].

قال شيخنا العلامة عبد الرزاق ابن الشيخ العلامة عبد المحسن العباد حفظهما الله جميعا ـ: [٢]«فدلّه الناصح ﷺ على شيء يعينه على شرائع الإسلام والحرص عليها، والاستكثار منها، فإنَّه إذا اتّخذ ذكرَ الله تعالى شعارَه، أحبّه وأحبَّ ما يحبّ، فلا شيء أحبُّ إليه من التقرّب بشرائع الإسلام، فدلّه ﷺ ما يتمكّن به من شرائع الإسلام، وتسهل به عليه، فالذكرُ من أكبر العونِ على طاعة الله، فإنَّه يحبّبُها إلى العبد ويسهّلها عليه، ويلذّذُها له بحيث لاَ يجد لها من الكلفة، والمشقة، والثقل ما يجده الغافلُ، ثم هو أيضًا يسهل الصعبَ، وييسِّرُ العسيرَ، ويخفّفُ المشاقَّ، فما ذُكر اللهُ على صعب إلا هانَ، ولا على عسير إلا تيسَّرّ، ولا مشقّة إلا خفَّت، ولا شدّة إلا زالت، ولا كُربَة إلا انفرجت، فذَكرُ الله هو الفرجُ بعد الشدّةِ، واليسرُ بعد العسرِ، والفرحُ بعد الغمِّ.

فاللهم إياك نسأل، وبأسمائك وصفاتكَ نتوسّل أن تجعلنا من عبادكَ الذاكرين، وأن تعيذَنا برحمتكَ من سبيل المُعرِضين الغافلين، إنَّك على كلِّ شيء قدير».

---

(١) سُنن الترمذي: (٣٣٧٥)، وسُنن ابن ماجه:(٣٧٩٣)، ومستدرك الحاكم: (١/ ٤٩٥).

(٢) فقه الأدعية والأذكار: (١ / ٢٧).



إن ذكر الله نعمة كبرى، ومنحة عظمى، به تستجلب النعم، وبمثله تستدفع النقم، وهو قوت القلوب، وقرة العيون، وسرور النفوس، وروح الحياة، وحياة الأرواح.

ما أشد حاجة العباد إليه، وما أعظم ضرورتهم إليه، لا يستغني عنه المسلم بحال من الأحوال. وليس هناك شيء من الأعمال أخف مؤنة، ولا أعظم لذة، ولا أكثر فرحة، وابتهاجًا بالقلب من الذكر.

ذكر الله تعالى هو زاد الروح وغذاؤها، وهو سلوة النفس وجلاؤها، به تسمو الروح إلى العلياء، وبه تتصل برب الأرض والسماء، وهو لذة لها لا تعادلها لذة، وسلوة لها لا تعادلها سلوة، وأنيس لها في السر والخلوة، يفيض على النفس من الروحانية ما لا تدركه إشارة، ولا تحيط به عبارة.

« وهي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون.

والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل، والعلاقة التي كانت بينهم، وبين علام الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ∴ فنترك الذكر أحيانًا فننتكس

به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات.

إذا أظلمهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم.

فهو رياض جنتهم التي فيها يتقبلون، ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون. يدع القلب الحزين ضاحكًا مسرورًا، ويوصل الذاكر إلى المذكور بل يدع الذاكر مذكورًا .

وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، و الذكر عبودية القلب واللسان. وهي غير مؤقتة بل هم يأمرون بذكر معبودهم، ومحبوبهم في كل حال: ﴿ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران:١٩١).

فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها، فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها. وهو جلاء القلوب، وصقالها، ودواءها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقًا، وإذا واطئ في ذكره قلبه للسانه: نسي في جنب ذكره كل شيء وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضًا من كل شيء.

به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار. زين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل: كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: «تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن. فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق»[1].

وقد أمر الله بذكره في آيات كثيرة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأحزاب: ٣٥).

(١) مدارج السالكين: (٢ / ٤٢٣).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٤١).

وقال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة: ١٥٢).

وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ (الأعراف: ٢٠٥).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الأنفال: ٤٥).

فأمر تعالى في هذه الآيات وغيرها بذكره، وذلك لشدّة حاجة العبد إلى ذلك وافتقاره إليه أعظم الافتقار، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأيُّ لحظة خلا فيها العبدُ عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظمَ ممّا ربح في غفلته عن الله، وندم على ذلك ندمًا شديدًا عند لقاء الله تعالى يوم القيامة.

ولما كان ذكر الله تعالى بهذه المنزلة الرفيعة، والمكانة العالية، فالأجدر بالمسلم أن يتعرف على فضله، وأنواعه، وفوائده ومنها:

١- لقد قرن الله الذكر بالجهاد، وأمر بذكره عند ملاقاة الأقران، ومكافحة الأعداء فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الأنفال: ٤٥).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: [١] « سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: المحبون يفتخرون بذكر من يحبونه في هذه الحال كما قال عنترة:

ولقد ذكرتك والرماح كأنها ∴ أشطان بئر في لبان الأدهم

---

(١) مدارج السالكين: (٢/ ٤٢٧-٤٢٨).

وقال الآخر:

ذكرتك والخطي يخطر بيننا ∴ وقد نهلت منا المثقفة السمر

قال آخر:

ولقد ذكرتك والرماح شواجر ∴ بحوى وبيض الهند تقطر من دمي

وهذا كثير في أشعارهم وهو مما يدل على قوة المحبة، فإن ذكر المحب محبوبه في تلك الحال التي لا يهم المرء فيها غير نفسه يدل على أنه عنده بمنزلة نفسه، أو أعز منها وهذا دليل على صدق المحبة والله أعلم».

ذكر الله تعالى أزكى الأعمال، وخير الخصال، وأحبُّها إلى الله ذي الجلال:

٢-عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ**».[1]

٣- الذّاكرون الله تعالى هم السباقون في ميدان السير إلى الله والدار الآخرة، فعن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، **فَقَالَ:«سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ». قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ:«الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ»** [2].

إنَّ مجالسَ الذِّكر وحلقه هي رياضُ الجنّة في الدنيا:

٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) رواه الترمذي: (٣٣٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (١٤٩٣).

(٢) صحيح مسلم: (٢٦٧٦).



وَسَلَّمَ – قَالَ:«**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ، قَالَ: حِلَقُ الذِّكْرِ** »(١).

قال ابن القيِّم رحمه الله تعالى :«من شاء أن يسكن رياض الجنّة في الدنيا، فليستوطن مجالس الذِّكر، فإنّها رياض الجنّة»(٢).

٥- ومن فوائد ذكر الله العظيمة: أنّه يجلُبُ لقلب الذَّاكر الفرَحَ، والسرورَ، والرَّاحةَ، ويورثُ القلبَ السكونَ، والطُّمأنينةَ، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾(الرعد: ٢٨)، ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم ﴾أي: يزول ما فيها من قلقٍ أو اضطراب، ويكون فيها بدَلَ ذلك الأنسُ، والفرحُ، والرَّاحة.

وقوله: ﴿ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾أي:حقيقٌ بها وحَريٌّ أن لا تطمئنَّ لشيءٍ سوى ذكره -تبارك وتعالى – بل إنّ الذكرَ هو حياةُ القلبِ حقيقةً، وهو قوتُ القلب والرّوح، فإذا فقده العبدُ صار بمنزلة الجسم إذا حيلَ بينَه وبين قوتِه، فلا حياةَ للقلب حقيقةً إلاّ بذكر الله، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- تعالى:«الذكر للقلب كالماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء ؟»

« وهو مفتاحٌ لكلِّ خير يناله العبد في الدنيا والآخرة » فمتى أعطى (الله) العبدَ هذا المفتاح فقد أراد أنْ يفتح له، ومتى أضلَّه بقي باب الخير مُرْتجًا دونه»(٣) فيبقى مضطربَ القلب، مُشَوَّشَ الفؤاد، مُشَتَّتَ الفكر، كثيرَ القلَق، ضعيفَ الهمَّة والإرادة، أمّا إذا كان محافظًا على ذكر الله، ودعائه، وكثرة اللجَأ إليه فإنَّ قلبَه يكون مطمئنًا بذكره لربِّه:﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٣/ ١٥٠)، وسُنن الترمذي: (٣٥١٠).
(٢) الوابل الصيب: (ص:١٤٥).
(٣) الفوائد: (ص: ١٢٧).

وينال من الفوائد، والفضائل، والثمار الكريمة اليانعة في الدنيا والآخرة ما لا يحصيه إلاَّ الله تعالى ».

الذكر يطردُ الشيطان، ويقمعُه، ويكسرُه. يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾(الزخرف: ٣٦)، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾(الأعراف:٢٠١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾(فصلت: ٣٦)، ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ (المؤمنون: ٩٧، ٩٨)، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾(الأعراف:٢٠١).

و عَن الْحَارث الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:«**إِنَّ اللَّهَ – عَزَّ وَجَلَّ – أَمَرَ يَحْيَى بن زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَيَأْمُرَ بِهِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ وَتَأْمُرَ بِهِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِمَّا أَنْ آمُرَهُمْ، فَقَالَ: لا تَفْعَلْ يَا أَخِي، فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي إِلَيْهِمْ أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلأَ، وَقَعَدَ عَلَى الشَّرَفِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ وَعَظَهُمْ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ وَأَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ آمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ، أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ عَمَلَكَ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ إِلَى غَيْرِهِ ؟ وَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَاعْبُدُوهُ وَلا**

تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَكُمْ بِالصَّلاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، وَأَمَرَكُمْ بِالصِّيَامِ، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ عِصَابَةٌ فِيهَا صُرَّةٌ مِنْ مِسْكٍ، فَكُلُّهُمْ يُحِبُّ أَنْ يَجِدَ رِيحَهَا، وَإِنَّ فَمَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَأَمَرَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ مَنْ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ فَشَدُّوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَرَّبُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْتَدِي نَفْسِي مِنْكُمْ، فَجَعَلَ يُعْطِي الْقَلِيلَ وَالْكَثِيرَ حَتَّى افْتَكَّ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَأَمَرَكُمْ بِذِكْرِ اللهِ كَثِيرًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ فِيهِ، وَإِنَّ أَحْصَنَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى». (١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «قَالَ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ». (٢)

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : (٣) « وبالذكر: يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة، والنسيان.

قال بعض السلف: إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان صرعه كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنسي».

ويقول ابن القيّم - رحمه الله تعالى -:«فلو لم يكن في الذّكر إلاّ هذه الخصلة

(١) رواه الترمذي: (٢٨٦٣)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع:(١٧٢٤).
(٢) رواه البخاري: (٦٤٠٣)، ومسلم: (٢٦٩١).
(٣) مدارج السالكين: (٢ / ٤٢٣).

الواحدة لكان حقيقًا بالعبد أن لا يفتُرَ لسانُه من ذكر الله تعالى، وأن لا يزال لهِجًا بذكره، فإنّه لا يحرز نفسه من عدوِّه إلاّ بالذِّكر، ولا يدخل عليه العدوُّ إلاّ من باب الغفلة، فهو يرصُدُه، فإذا غفل وثب عليه وافترسَه، وإذا ذكرَ الله تعالى انخنس عدوُّ الله وتصاغر، وانقمع حتى يكون كالوصع، وكالذّباب، ولهذا سُمِّيَ (الوسواسُ الخنَّاس)، أي: يوسوس في الصدور، فإذا ذكرَ الله تعالى خنس أي: كفَّ وانقبضَ.

وقال ابن عبّاس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «الشَّيطان جاثِمٌ على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنَس»[1].

٥- الذكر يعطي المؤمن قوة في جسده، وعافية في بدنه:

عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ فَاطمَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -، شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا، فَأَتَى النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لأَقُومَ، فَقَالَ: «**عَلَى مَكَانِكُمَا**». **فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ: «أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»** [2].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى وهو يعدد فوائد الذكر ومنه: - الفائدة الحادية والستون:

أن الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سُننه، وكلامه، وإقدامه،

(١) الوابل الصيب: (ص:٧٢).
(٢) رواه البخاري: (٣٧٠٥)، ومسلم: (٢٧٢٧).

وكتابه أمرًا عجيبًا، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعه وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمرًا عظيمًا، وقد علم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ابنته فاطمة وعليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن يسبحا كل ليلة إذا أخذوا مضاجعهما: ثلاثًا وثلاثين، ويحمدا ثلاثًا وثلاثين، ويكبرا أربعًا وثلاثين لما سألته الخادم، وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن، والسعي، والخدمة، فعلمها ذلك.

وقال: إنه خير لكما من خادم، فقيل إن من داوم على ذلك وجد قوة في يومه مغنيه عن خادم.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- يذكر أثرًا في هذا الباب ويقول: «إن الملائكة لما أمروا بحمل العرش قالوا: يا ربنا كيف نحمل عرشك، وعليه عظمتك وجلالك؟، فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما قالوا حملوه.

حتى رأيت ابن أبي الدنيا قد ذكر هذا الأثر بعينه عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح قال: حدثنا مشيختنا أنه بلغهم أن أول ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ حين كان عرشه على الماء حملة العرش، قالوا: ربنا لم خلقتنا؟ قال: خلقتكم لحمل عرشي.

قالوا: ربنا ومن يقوى على حمل عرشك وعليه عظمتك، وجلالك، ووقارك؟ قال: لذلك خلقتكم. فأعادوا عليه ذلك مرارًا،فقال لهم: قولوا:لا حول ولا قوة إلا بالله، فحملوه.

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معالجة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق، والدخول على الملوك، ومن يخاف، وركوب الأهوال. ولها أيضًا تأثير في دفع الفقر »[1].

(١) الوابل الصيب: (ص: ٧٧).

ذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدَّة، واليسر بعد العسر، والفرح بعد الغم والهمَ:

وهو تفريج الكربات، وتيسير الأمور، وتحقق الراحة والسعادة في الدنيا والآخرة، وما عولج كرب ولا أزيلت شدَّة بمثل ذكر الله تبارك وتعالى، وقد كان نبينا عليه الصلاة والسلام يقول في الكرب:«**لا إله إلا الله العظيم، لا إله إلا الله الحليم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم**»، ويقول عليه الصلاة والسلام ـ:«**دعوة ذي النون:** ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، **ما دعا بها مكروب إلا فرَّج الله كربه**»[١].

وذكر الله تعالى غراس الجنة فما غرست الجنة بمثل ذكره:

عَنْ جَابِر – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: مَنْ قَالَ:«**سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ**» [٢].

وعَنْ ابْنِ مَسْعُود – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ـ:«**لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ** » [٣].

قال الإمامُ ابنُ القيم - رحمه الله تعالى:«دُوْرُ الجنة تُبنَى بالذكر، فإذا أمسكَ الذاكرُ عن الذكْر؛ أمْسكت الملائكةُ عن البناء ذكر ابن أبي الدنيا في كتابه عن حكيم بن محمد الأخنسي قال: بلغني أن دور الجنة تبنى بالذكر، فإذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء، فيقال لهم، فيقولون: حتى تأتينا نفقة »[٤].

(١) سيأتي فرد فصل كامل لأدعية تفريج الكرب إن شاء الله تعالى.
(٢) رواه الترمذي: (٣٤٦٤).
(٣)رواه الترمذي: (٣٤٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (١٥٥٠) .
(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب: (ص: ٧٩).



ومن فوائد ذكر العبد للّه:

أنّه يورثُه ذكرَ الله له، كما قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ (البقرة: ١٥٢).

وفي الصّحيحين من حديث أبي هريرة- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربِّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**من ذكرَني في نفسِه ذكرتُه في نفسي، ومن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم**»[١].

قال الحافظ ابن رجب: «وَذِكْرُ الله لِعَبْده: هُوَ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ فِي الْمَلَأ الْأَعْلَى بَيْنَ مَلَائِكَته، وَمُبَاهَاتُهُ به، وَتَنْوِيهُهُ بذِكْره. قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: «إِنَّ اللَّهَ ذَاكِرٌ مَنْ ذَكَرَهُ، وَزَائِدٌ مَنْ شَكَرَهُ، وَمُعَذِّبٌ مَنْ كَفَرَهُ».

الذكر يُنجّي الذّاكرَ من عذاب الله تعالى:

عَنْ مُعَاذ بْن جَبَل- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ**»[٢].

ومن فوائد الذّكر: أنّه يكون نورًا للذَّاكر في الدنيا، ونورًا له في قبره، ونورًا له في مَعَاده، يسعى بين يديه على الصِّراط، فما استنارَت القلوبُ، والقبورُ بمثل ذكر الله تعالى.

قال اللهُ تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا ﴾ (الأنعام: ١٢٢).

فالأوّل: هو المؤمن، استنار بالإيمان بالله، ومحبَّته، ومعرفتِه، وذكرِه.

والآخرُ: هو الغافلُ عن الله تعالى، المعرِضُ عن ذكره ومحبَّته.

والشَّأنُ كلُّ الشَّأن والفلاحُ كلُّ الفلاح في النّور. والشَّقاءُ كلُّ الشَّقاءِ في فَواتِه، ولهذا كان النبي ﷺ يُكثِرُ من سُؤال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذلك بأن يجعلَه في

(١) صحيح البخاري: (٧٤٠٥)، وصحيح مسلم: (٢٦٧٥).
(٢) رواه أحمد في المسند: (٥/ ٢٣٩)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع: (٥٦٤٤).

كلِّ ذرّاته الظّاهرة والباطنة، وأن يجعلَه محيطًا به من جميع جهاته، وأن يجعل ذاتَه وجملَتَه نورًا.

فقد خرّج مسلمٌ في صحيحه من حديث عبد الله بن عبّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في ذكر دعاء النَّبيّ ﷺ باللّيل قال: «**وكان في دعائه اللهمّ: اجعلْ في قلبي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، وأمامي نورًا، وخَلْفي نورًا، وعظِّم لي نورًا**»، قال كُرَيب أَحَدُ رواة الحديث: وسبعًا في التّابوت. فلَقيتُ بعضَ ولَد العبّاس فحدّثني بهنَّ، فذكر: عصبي، ولحمي، ودمي، وشعري، وبشَري، وذكر خصلتين[1].

مدينة تُفتح بالذكر:

وإن تعجب فعجب أمر هذه المدينة التي ذكر النبي - ﷺ - أنها تُفتح في آخر الزمان، جانبٌ منها في البر وجانب منها في البحر؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ: «**سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟" قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا - قَالَ ثَوْرٌ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ - الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا**»[2].

فذِكر إلَـهِ العرشِ سرًّا ومعلنًا ∴ يُزِيلُ الشَّقَا والهَمَّ عنك ويَطرِدُ
ويجلبُ للخيراتِ دنيا وآجلًا ∴ وإنْ يأتِك الوَسواسُ يومًا يشَرَّدُ

(١) صحيح مسلم: (٧٦٣).
(٢) رواه مسلم: (٢٩٢٠).



فقد أخبرَ المختارُ يومًا لصحبِه ∴ بأنَّ كثيرَ الذِّكرِ في السَّبق مُفرِدُ

ووَصَّى معـاذًا يَستَعين إلهه ∴ على ذكرِه والشكر بالحسن يعبدُ

وأوصى لشخصٍ قد أتى لنصيحةٍ ∴ وقد كان في حمْل الشرائعِ يَجْهَدُ

بأنْ لا يـزالَ رطبًا لسانُك هذه ∴ تُعينُ على كلِّ الأمـورِ وتُسعِدُ

وأخـبَرَ أنَّ الذِكرَ غَـرسٌ لأهلِه ∴ بجنَّاتِ عَـدن والمساكنُ تُمْهَدُ

وأخـبَرَ أنَّ الله يـذكـرُ عـبـدَهُ ∴ ومَـعْـهُ عي كـلِّ الأمـرِ يُسَـدِّدُ

وأخـبَرَ أنَّ الـذِّكـرَ يبقى بجنّة ∴ ويَنقطعُ التَّكليفُ حين يُخلَّدُوا

ولـو لَم يكنْ في ذِكـره غـيرَ أنَّه ∴ طريقٌ إلى حبِّ الإلَـه ومُرشِدُ

ويَنهَى الفتَى عن غِيبةٍ ونَميمة ∴ وعن كلِّ قـولٍ للدِّيانَة مُفسِدُ

لكان لنَا حَـظٌّ عظيمٌ ورغبةٌ ∴ بكثرةِ ذكـرِ الله نعمَ المُـوَحَّـدُ

ولكنَّنَا من جَهلِنا قلَّ ذِكرُنا ∴ كـما قـلَّ منَّـا لـلإلَـه التَّعبُّدُ

ذم الغفلة عن ذكر الله تعالى:

« إنّ الله تَبَارَكَوَتَعَالَى لمّا أمر بذكره في القرآن الكريم، وحثَّ عليه، ورغّب فيه في آي كثيرةٍ منه، حذّر أيضًا من الوقوع في ضدّه وهو الغفلة، إذ لا يتمُّ الذِّكرُ لله حقيقةً إلاّ بالتخلُّص من الغفلة، والبعد عنها، وقد جمع الله بين هذين الأمرين في آية واحدة من القرآن أعني الأمر بالذِّكر، والنهي عن الغفلة وذلك في قوله تعالى من آخر سورة الأعراف: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥ ﴾(الأعراف: ٢٠٥).

والمراد بقوله في الآية: ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾أي: من الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فإنهم حُرِموا خيري الدنيا والآخرة، وأعرضوا عن مَن كلّ

السعادة، والفَوز في ذكره وعبوديّته، وأقبلوا على مَن كلُّ الشقاوة، والخيبة في الاشتغال به، وفي الآية أمرٌ بالذكر، والمواظبة عليه، وتحذيرٌ من الغفلة عنه، وتحذيرٌ من سبيل الغافلين.

والغفلةُ داءٌ خطير إذا اعترى الإنسان وتمكّن منه لم يشتغل بطاعة الله وذكره وعبادته، بل يشتغل بالأمور الملهية المبعدة عن ذكر الله تعالى، وإن عمل أعمالًا من الطّاعة والعبادة، فإنّها تأتي منه على حال سيِّئة ووضع غير حسن، فتكون أعماله عاريةً من الخشوع، والخضوع، والإنابة، والطُمأنينة، والخشية، والصّدق، والإخلاص.

ولهذا جاء في القرآن الكريم في مواطن كثيرة منه التحذيرُ منها، وذمّها، وبيان سوء عاقبتها، وأنّها من خصال الكافرين، وصفات المنافقين المعرضين. يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ (الأعراف: ١٧٩).

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ (يونس: ٧-٨).

ويقول تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ (الروم: ٧). والآيات في هذا المعنى كثيرة.

إنّ مَثَل الغافل عن ذكر الله مثَلُ الميِّت، وقد تقدّم معنا أنّ الذِّكر هو حياةُ القلوب حقيقةً، فلا حياة لها بدونه، وحاجتها إليه أعظم من حاجة السّمك إلى الماء، فالقلب الذّاكر هو القلب الحيّ، والقلب الغافل هو القلب الميِّت.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن

النبي ﷺ قال: «**مَثَل الذي يذكر ربّه والذي لا يذكره مَثَلُ الحيِّ والميِّت**». ولفظ مسلم: «**مَثَل البيت الذي يُذكر الله فيه، والبيت الذي لا يُذكر الله فيه مَثَلُ الحيِّ والميِّت**». [1].

ففي هذا التمثيل كما يقول الشوكاني رحمه الله: [2] «منقبةٌ للذَّاكر جليلةٌ، وفضيلة له نبيلة، وأنّه بما يقع منه من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في حياةٍ ذاتيةٍ، وروحيّةٍ لما يغشاه من الأنوار، ولما يصل إليه من الأجور، كما أنّ التاركَ للذِّكر وإن كانَ في حياةٍ ذاتيةٍ فليس لها اعتبارٌ بل هو شبيه بالأموات».

لقد جعل النبيُّ الكريمُ ﷺ في هذا الحديث بيت الذَّاكر بمنزلة بيت الحيّ، وبيت الغافل بمنزلة بيت الميِّت وهو القبر، وفي اللّفظ الأوّل جعل الذّاكر نفسه بمنزلة الحيّ، والغافل بمنزلة الميِّت، فتضمّن الحديثُ بمجموع لفظيه أنّ القلب الذّاكر كالحيِّ في بيوت الأحياء، والقلب الغافل كالميّت في بيوت الأموات، وعلى هذا فإنّ أبدان الغافلين قبورٌ لقلوبهم، وقلوبهم فيها كالأموات في القبور، ولهذا قيل:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم ∴ وأجسامهم قبل القبور قبورُ
وأرواحهم في وحشة من جسومهم ∴ وليس لهم حتى النشور نشورُ

وقيل:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم ∴ وأجسامهم فهي القبور الدوارسُ
وأرواحهم في وحشة من حبيبهم ∴ ولكنها عند الخبيث أوانسُ [3]

(١) صحيح البخاري: (٦٤٠٧)، وصحيح مسلم: (٧٧٩).
(٢) تحفة الذاكرين: (ص:١٥).
(٣) انظر: مدارج السالكين لابن القيم: (٢/ ٤٣٠،٤٢٩).

ولهذا صحّ في الحديث عن النبي ﷺ النهيُ عن جعل البيوت قبورًا، أي: لا يصلّى فيها ولا يذكر فيها الله تعالى. ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي ﷺ قال:«اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتّخذوها قبورًا» [١].

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عن النبي ﷺ قال:« **لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإنَّ الشيطان يفرُّ مَن البيت الذي يسمع سورة البقرة تُقرأ فيه**» [٢].

وفي سُنن أبي داود وغيره بإسناد حسن [٣] من حديث أبي هريرة- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قال: قال رسول الله ﷺ :« **لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلواَ قبري عيدًا، وصلّوا عليَّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم**».

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله في بيان معنى قوله: [٤] « لا تجعلوا بيوتكم قبورًا» قال:«أي لا تُعطِّلوها عن الصلاة فيها، والدعاء، والقراءة فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحرّيها عند القبور عكس ما يفعله المشركون من النّصارى ومن تشبّه بهم». ا.هـ كلامه رحمه الله »[٥].

من أحوال الصالحين مع الذكر:

إن أعظم النعيم عند الصالحين هو المداومة على ذكر الله تعالى، قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى :«ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى » [٦].

(١) صحيح البخاري: (٤٣٢)، وصحيح مسلم: (٧٧٧).
(٢) صحيح مسلم: (٧٨٠).
(٣) سُنن أبي داود: (رقم:٢٠٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٧٢٢٦).
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم: (٢/ ٦٦٢).
(٥) انظر فقه الأدعية والأذكار:(١/ ٤٨-٥١).
(٦) أخرجه أبو نعيم في: (حلية الأولياء: ٢/ ٢٩٤)، والبيهقي في: (شعب الإيمان: ١/ ٤٥٦).



وقال ذو النون رحمه الله تعالى: «ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا برؤيته»[١].

أبـــدًا نُـفـوس الطَّـالـبيـ ∴ ـن إلى طـلُـولـكـم تَحِـنُّ
وكَـذَا الـقُـلُـوبُ بِـذكـركُـم ∴ بَـعْـدَ المَـخـافـةِ تَـطـمـئنُّ
جُـنَّـتْ بـحُـبِّـكُـمُ ومَـنْ ∴ يَهـوى الحَـبيـبَ ولا يُجَـنُّ؟
بِـحـيـاتِـكُـم يـا سـادتي ∴ جُـودُوا بِـوصْـلِـكُـم ومُـنُّـوا

وقال معاذ: «لأن أذكر الله من بكرة إلى الليل أحبُّ إليَّ من أنْ أحملَ على جياد الخيل في سبيل الله من بكرة إلى الليل»[٢].

وإلى حال الصالحين مع نعيم القلب، وجنة الحياة، وبستانها:

سيدهم وإمامهم رسول الله ﷺ، فَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «**كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ**»[٣].

والمعنى: في حال قيامه، ومشيه، وقعوده، واضطجاعه، وسواء كان على طهارةٍ، أو على حدث.

قال أبو جعفر المحَوَّلي: «وليُّ الله المحبُّ لله لا يخلو قلبُه من ذكر ربِّه، ولا يسأمُ من خدمته».

وكان خالد بنُ معدان يُسبِّحُ كلَّ يوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ من القرآن، فلما مات وضع على سريره ليغسل، فجعل يُشير بأصبعه يُحركها بالتسبيح.

(١) أخرجه أبو نعيم في: (الحلية ٩/ ٣٧٢).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة: (٢٩٤٥٨)، وأبو نعيم في: (الحلية: ١/ ٢٣٥).
(٣) رواه مسلم: (٣٧٣).

وقيل لعمير بن هانئ: ما نرى لسانَك يَفتُرُ، فكم تُسبِّحُ كلَّ يوم ؟ قال: «مئة ألف تسبيحة، إلا أنْ تُخطئ الأصابع». يعني أنَّه يَعُدُّ ذلك بأصابعه .

وقال عبد العزيز بنُ أبي رَوَّاد: «كانت عندنا امرأةٌ بمكة تُسبح كلّ يوم اثني عشرة ألف تسبيحة، فماتت، فلما بلغت القبر، اختُلِست من بين أيدي الرجال».

كان الحسن البصري كثيرًا ما يقول إذا لم يُحدث، ولم يكن له شغل: «سبحان الله العظيم».

وكان عامةُ كلام ابن سيرين: «سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده».

وكان المغيرة بنُ حكيم الصنعاني إذا هدأت العيون، نزل إلى البحر، وقام في الماء يذكر الله مع دوابِّ البحر .

ونام بعضُهم عند إبراهيم بن أدهم قال: « فكنتُ كلَّما استيقظتُ من الليل، وجدتُه يذكر الله، فأغتمّ، ثم أُعزِّي نفسي بهذه الآية: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾» (الحجرات: ٤).

المحبُّ اسم محبوبه لا يغيبُ عن قلبه، فلو كُلّف أنْ ينسى تذكُّره لما قدر، ولو كلف أنْ يكفّ عن ذكره بلسانه لما صبر.

كَيْفَ يَنسى الْمُحبُّ ذِكرَ حَبيبٍ ∴ اسمُه في فُؤاده مَكتوبُ

كان بلالٌ كلَّما عذَّبه المشركون في الرمضاء على التوحيد يقول: «أحدٌ أحدٌ، فإذا قالوا له قل: اللات والعُزَّى، قال: لا أحسنه ».

يُراد مِنَ القَلبِ نِسيانُكُم ∴ وتَأْبَى الطِّباعُ على النَّاقِلِ

كلَّما قويت المعرفةُ، صار الذكرُ يجري على لسان الذاكر من غير كُلفة، حتى



كان بعضهم يجري على لسانه في منامه: الله الله، ولهذا يُلهم أهلُ الجنة التَّسبيح، كما يُلهمون النفسَ، وتصيرُ (لا إله إلا الله) لهم، كالماء البارد لأهل الدنيا.

كان الثوري ينشد:

لا لأَنِّي أَنساكَ أُكثرُ ذِكراك ∴ ولكنْ بِذاكَ يَجري لِساني

ذكر المحبين على خلاف ذكر الغافلين: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الأنفال:٢).

وإنِّي لَتَعْروِني لِذكْراكِ هِزَّةٌ ∴ كَما انتفضَ العُصفورُ بَلَّلهُ القطْرُ

ـ أحد السبعة الذين يُظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله:«رجلٌ ذكرَ الله خاليًا، ففاضت عيناه " [١].

قال زهير البابي:«إنَّ لله عبادًا ذكروه، فخرجت نفوسُهم إعظامًا واشتياقًا، وقوم ذكروه، فوجِلَتْ قلوبهم فرقًا وهيبة، فلو حُرِّقوا بالنَّار، لم يجدوا مَسَّ النار، وآخرون ذكروه في الشتاء وبرده، فارفضّوا عرقًا من خوفه، وقومٌ ذكروه، فحالت ألوانهم غبرًا، وقومٌ ذكروه، فجَفَّتْ أعينُهم سهرًا».

صلَّى أبو يزيد الظهر، فلما أراد أنْ يُكبِّر، لم يقدر إجلالًا لاسم الله، وارتعدت فرائصه حتى سمعت قعقعةُ عظامه.

إذا سمِعَتْ باسمِ الحَبيبِ تَقعقعت ∴ مَفاصِلُها مِنْ هَولِ ما تَتذَكَّرُ

وقف أبو يزيد ليلةً إلى الصباح يجتهد أنْ يقول:«لا إله إلا الله، فما قدر إجلالًا وهيبةً، فلما كان عند الصباح، نزَل، فبال الدَّم ».

(١) أخرجه: البخاري:(٦٦٠)، ومسلم: (١٠٣١) عن أبي هريرة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – .

ومـا ذكـرتُـكُـمُ إلاّ نَسيتُكُم ∴ نسيانَ إجلال لا نِسيانَ إهمالِ

إذا تَذكَّرتُ مَنْ أنتُم وكيف أنَا ∴ أَجْلَلتُ مِثلَكُم يَخطُرْ على بالي

كان أبو مسلم الخولاني كثيرَ الذِّكر، فرآه بعضُ الناس، فأنكر حالَه، فقال لأصحابه: أمجنون صاحبُكم ؟ فسمعه أبو مسلم، فقال: لا يا أخي، ولكن هذا دواءُ الجنون .

وحُرمَة الودِّ مالي مِنكُم عِوَضٌ ∴ ولَيسَ لي في سِواكُم سَادتِي غَرَضُ

وقَدْ شَرَطْتُ على قومٍ صَحِبتُهُم ∴ بأنَّ قلبي لَكُمْ مِن دونِهم فرضُوا

ومِنْ حديثي بكُم قالوا: به مَرَضٌ ∴ فقُلْتُ: لا زالَ عنِّي ذلك المَرَضُ

المحبون يستوحشون من كلِّ شاغلٍ يَشغَلُ عن الذكر، فلا شيءَ أحبَّ إليهم من الخلوة بحبيبهم.

وآخِـرُ شيءٍ أنت في كلِّ هَجعةٍ ∴ وأوَّل شيءٍ أنـت وقـتَ هُبُوبي

وذكـرك في قلبي بنومٍ ويقظةٍ ∴ تجافى من اللّين اللبيب جنوب[1]

مخالفات في طريقة الذكر عند بعض الذاكرين:

لا شك أن الذكر عبادة من العبادات العظيمة بل هو من أجلها، وللعبادة شرطان أساسيان لابد من تحققهما فيها لتكون صحيحة، تنال رضى الله تعالى، وهذان الشرطان هما:

(١) انظر جامع العلوم والحكم: (ص: ٦٠٠-٦٠٤).



الإخلاص لله تعالى: قال -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾(البينة: ٥).

المتابعة للنبي ﷺ عَنْ عَائشَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:« **مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيه، فَهُوَ رَدٌّ** » (١).

وفي رواية لمسلم: أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ:«**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**».

ويقول تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾(آل عمران: ٣١).

ومن تشديده ﷺ في التقييد بالوارد، وعدم تجاوزه ما ثبت عَن البَرَاء بْن عَازب - رَضيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -:«**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ للصَّلاَة، ثُمَّ اضْطَجعْ عَلَى شقِّكَ الأَيْمَن، ثُمَّ قُلْ: اللهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْري إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا منْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللهُمَّ آمَنْتُ بكتَابكَ الَّذي أَنْزَلْتَ، وَبنَبيِّكَ الَّذي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ منْ لَيْلَتكَ، فَأَنْتَ عَلَى الفطْرَة، وَاجْعَلْهُنَّ آخرَ مَا تَتَكَلَّمُ به**».

قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ:«لاَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» (٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :«وأولى ما قيل في الحكمة في ردِّه ﷺ على من قال الرسول بدل النبي أن ألفاظ الأذكار توقيفية، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس، فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به، وهذا

(١) رواه البخاري: (٢٦٩٧)، ومسلم: (١٧١٨)
(٢)رواه البخاري: (٢٤٧)، و مسلم: (٢٧١٠).

اختيار المازري قال: فيقتصر فيه على اللفظ الوارد بحروفه، وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف، ولعله أوحي إليه بهذه الكلمات فيتعين أداؤها بحروفها»[1].

ومن هذه الأذكار التي لم يثبت به نص،أو ينزل الله بها سلطانًا مبينًا:

١ـ لفظ (الله الله)، أو (هو، هو)، أو (آه، آه):

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :«قد دلَّ الكتاب، والسُّنَّة، وآثار سلف الأمة على جنس المشروع المستحب في ذكر الله، ودعائه كسائر العبادات... وأن الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان كلامًا تامًا مفيدًا مثل: لا إله إلا الله، ومثل: الله أكبر، ومثل: سبحان الله والحمد لله... فأما الاسم المفرد مُظهَرًا مثل: الله الله، أو مضمَرًا مثل: هو هو، فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سُنَّة، ولا هو مأثور أيضًا عن أحد من سلف الأمة، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين، وربما اتبعوا فيه حال شيخ مغلوب فيه، مثلما يروى عن الشبلي أنه كان يقول: الله الله، فقيل له: لم لا تقول: لا إله إلا الله؟ ، فقال: أخاف أن أموت بين النفي والإثبات. وهذه من زلات الشبلي التي تُغفر له لصدق إيمانه، وقوة وجده، وغلبة الحال عليه... وله أشياء من هذا النمط التي لا يجوز الاقتداء به فيها.

وربما غلا بعضهم في ذلك حتى يجعلوا ذكر الاسم المفرد للخاصة وذكرَ الكلمة التامة للعامة. وربما قال بعضهم: (لا إله إلا الله) للمؤمنين، و(الله) للعارفين، و(هو) للمحققين. وربما اقتصر أحدهم في خلوته، أو في جماعته على (الله الله الله)، أو على (هو)، أو (يا هو)، أو (لا هو إلا هو). وربما ذكر بعض المصنفين في الطريق تعظيمَ ذلك، واستدلَّ عليه تارة بوجد، وتارة برأي، وتارة

(١) الفتح: (١١/ ١٣٥- ١٣٦).

بنقل مكذوب».

٢ـ الأوراد، والأحزاب الطرقية:

لقد اتخذت بعض الجماعات من أوراد مشايخها منهجًا في الذكر، وخير الهدي هدي محمد ـ ﷺ ـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :«ومن أشد الناس عيبًا من يتخذ حزبًا ليس بمأثور عن النبي ﷺ ، وإن كان حزبًا لبعض المشايخ، ويدع الأحزاب النبوية التي كان يقولها سيد بني آدم، وإمام الخلق، وحجة الله على عباده، والله أعلم »[١].

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى :«وقد احتال الشيطان للناس من هذا المقام فقيَّض لهم قومَ سوء، يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي ـ ﷺ ـ، وأشد ما في الإحالة أنهم ينسبونها إلى الأنبياء والصالحين، فيقولون: دعاء نوح، دعاء يونس، دعاء أبي بكر، فاتقوا الله في أنفسكم، لا تشتغلوا من الحديث إلا بالصحيح».

وبعض هذه الأوراد فيها من الشركيات، والانحرافات الشيء الكثير، وصدق الرسول ﷺ حيث قال: «وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا »[٢].

و «هكذا عبثوا بهذه العبادة العظيمة: ذكر الله، وغيروا مفهوم الذكر، وعلى هذا المفهوم يعيش جمهور المسلمين في كثير من البلدان، من الذين لا يعرفون الدين إلا من طريق الصوفية، وهذا عبث بالدين »[٣].

---

(١) الفتاوى: (٢٢/ ٥٢٥).
(٢) رواه مسلم: (٨٦٧) عن جابر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ.
(٣) دروس للشيخ الألباني: (٣٣/ ١١).

٣ الذكر بالسماع الشيطاني:

وهو اتخاذ السماع الشيطاني من الغناء وما يصحبه من وسيلة لعبادة الله في الذكر، وأنه قربة يتقرب بها الذاكرون إلى الله تعالى، وإحاطة ذلك بعبارات التحسين والتمليح، كقولهم: إنه يزيد في الشوق إلى الله، ويقوي الذوق والوجد، بل لا يفعل ذلك بزعمهم إلا الواصلون أهل الحقيقة.

وقد أجمع المسلمون على أن هذا من أسوأ أنواع الاعتداء في الذكر والدعاء، وأنه بدعة ضلالة، وعمل محرم قبيح لا يبيح التعبّد به مسلم، وأنه من الفتون واتباع الهوى، وإفساد الدين، والصد عن الذكر والدعاء المشروع، ومشاقة لله فيما شرع لعباده، ومعصية لرسوله فيما بلّغ من وحيه، وخروج على شرعه المطهر.

وأول من أحدثه الزنادقة، إذ أوجدوا الذكر بنوع من التغني بالشعر مع ضرب قضيب على جلد أو مخدة، يسمونه التغبير.

قال الإمام الشافعي: «خرجت من بغداد وخلفت بها شيئا أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير، يصدون الناس به عن القرآن».

ثم تطورت حال الذكر بالتغبير فسموها: القول، ثم دخلت هذه البدعة طورها الثالث: وهو اتخاذ الغناء، وما يصحبه من رقص، وزمر، وصفير، وتصفيق، وآلات لهو من الدف: وهو الغربال[1].

ومن ذلك ما شاع بين بعض شباب الصحوة من استصحاب المعازف، وآلات الموسيقى للأناشيد التي فيها ذكر الله، والصلاة على رسول الله ﷺ، وخصصت لذلك قنوات تهافت الناس عليها ولا حول ولاقوة إلا بالله ، فنسأل الله أن يهدي المسلمين للحق، والدين المبين.

(١) تصحيح الدعاء: (ص٢٦١-)٢٩٩.

٤- الذكر الجماعي:

ما يفعله كثير من الناس، من الاجتماع في البيوت، والمساجد في أوقات معينة، أو مناسبات معينة، أو بعد الصلوات المكتوبة لذكر الله تعالى بشكل جماعي، أو يردد أحدهم ويرددون خلفه هذه الأذكار كل هذا مما لم يثبت في هدي خير الخلق، وقدوة الذاكرين ﷺ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

«لم ينقل أحد أن النبي ﷺ كان إذا صلى بالناس يدعو بعد الخروج من الصلاة هو والمأمومون جميعًا، لا في الفجر، ولا في العصر، ولا في غيرهما من الصلوات، بل قد ثبت عنه أنه كان يستقبل أصحابه ويذكر الله، ويعلمهم ذكر الله عقيب الخروج من الصلاة»(١).

وقد أنكر الصحابي ابن مسعود الاجتماع للذكر، وبين ضلال هذا الفعل، ومخالفته لسُنَّة المصطفى ﷺ وذلك في الكوفة. فعن أبي البختري قال: أخبر رجل ابن مسعود- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن قومًا يجلسون في المسجد بعد المغرب، فيهم رجل يقول: كبروا الله كذا، وسبحوا الله كذا وكذا، واحمدوه كذا وكذا، واحمدوه كذا وكذا.

قال عبد الله: فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني، فأخبرني بمجلسهم. فلما جلسوا، أتاه الرجل، فأخبره. فجاء عبد الله بن مسعود، فقال: والذي لا إله غيره، لقد جئتم ببدعة ظلمًا، أو قد فضلتم أصحاب محمد علمًا . فقال عمرو بن عتبة: نستغفر الله. فقال: « عليكم الطريق فالزموه، ولئن أخذتم يمينًا وشمالًا لتضلن ضلالًا بعيدًا »(٢).

---

(١) الفتاوى الكبرى: (٢/ ٤٦٧).
(٢) الدارمي: (١/ ٦٨- ٦٩)، وابن وضاح في البدع: (ص٨-١٠، ١١، ١٢، ١٣).

وقد نقل الشاطبي في فتاويه كراهية مالك الاجتماع لقراءة الحزب، وقوله: «إنه شيء أُحدث، وإن السلف كانوا أرغب للخير، فلو كان خيرًا لسبقونا إليه».[١]



(١) فتاوى الشاطبي: (ص: ٢٠٦ - ٢٠٨).

4

تقوى الله تعالى

أوضح جل وعلا أن من اتقاه، واستقام على أمره، فإنه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتعالى- يهبه من فضله: تفريج الكروب، وتيسير الأمور، والرزق العظيم، والجنات والكرامة، كما قال -جل وعلا : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ (الطلاق: ٢-٣).

وعن ابن عباس- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- قوله: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ ﴾ يقول: «نجاته من كل كرب في الدنيا والآخرة».

و عن الربيع بن خثيم: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ ﴾ قال: «من كلّ شيء ضاق على الناس». [١]

عَنْ مُجاهد قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاس فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: إِنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ رَادُّهَا إِلَيْه، ثُمَّ قَالَ: «يَنْطَلِقُ أَحَدُكُمْ، فَيَرْكَبُ الْحُمُوقَةَ ثُمَّ يَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاس، يَا ابْنَ عَبَّاس، وَإِنَّ اللهَ قَالَ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ ﴾ (الطلاق: ٢)، وَإِنَّكَ لَمْ تَتَّقِ اللهَ فَلَمْ أَجِدْ لَكَ مَخْرَجًا، عَصَيْتَ رَبَّكَ، وَبَانَتْ مِنْكَ امْرَأَتُكَ، وَإِنَّ اللهَ قَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ (الطلاق: ١) فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ». ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤ ﴾ (الطلاق: ٤). [٢]

وعن عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قالُ: إِنَّ أَجْمَعَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ

(١) انظر تفسير الطبري: (٢٣ / ٤٤٦).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره : (٢٣/ ٤٣٢).

وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (النَّحْل: ٩٠)، وَإِنَّ أكبر آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فرَجًا: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾ (الطلاق: ٢).

وتقوى الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - سبب لتيسير الأمور، وتفريج الكروب، ودفع الشدائد.

وقال تعالى: ﴿ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (الأنفال: ٢٩).

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: سَأَلْتُ مَالكًا عَنْ قَوْله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾، قَالَ: مَخْرَجًا، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾ (الطلاق: ٢) (١).

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ (الليل: ٥- ٧).

فجعل الله - عَزَّوَجَلَّ - في هذه الآية الكريمة التقوى من أسباب تيسير الأمور، وانفراج الكروب،ولعظيم أثَر التقوى على المتَّصف بها، وجميل عاقبتها في الدنيا والأخرى،وشرف الاتِّصاف بها من أولي النهى- كانت الوصيَّة من الله - تعالى- بها للسابقين واللاحقين من المكلَّفين؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾ (النساء: ١٣١).

التقوى وصية الأنبياء لقومهم، وهي من أوائل الأصول التي يدعو كل نبي قومه إليها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ﴾ (الشعراء: ١٠٦ - ١١٠).

(١) تفسير القرطبي: (٥/ ٣١).



وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (الشعراء: ١٤٢ - ١٤٤).

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الشعراء: ١٦١ - ١٦٣).

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الأعراف: ٦٥).

وهكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وصيتهم لقومهم تقوى الله، فكانت مَدار كلِّ الشرائع، ومهمَّة جميع الرسل، ومَضمُون جميع الكتب، ورسالة الله -تعالى- إلى كلِّ أمَّة، وجعَلَها الله أوَّل مَوعِظة كلِّ نبي أرسَلَه إلى أمَّة من الأمم، فأوَّل ما يَقرَع به أسماع أمَّته من كلامه قولُه تبليغًا عن ربِّه: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

(الأعراف: ٦٥).

والتقوى وصية النبي ﷺ لرسله، والدعاة الذين كان يرسلهم لتبليغ الدين، فعَنْ سُلَيْمَانَ بْن بُرَيْدَةَ عَنْ أَبيه قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ الله – ﷺ – إِذَا أَمَّرَ أَميرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ في خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا**» (١)

التقوى طريق إلى جنة عرضها السموات والأرض:

يقول الله في أهل التقوى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الحجر:٤٥) وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾ (الطور:١٧) وقال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ ﴾ (النبأ:٣١).

وقال عزَّوجَلَّ : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾(القلم:٣٤).

---

(١) رواه مسلم: (٤٦١٩).

وكثيرة هي الآيات التي ذكر الله فيها أهل التقوى وأن لهم الجنة.

وعن أبي هريرة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : قال سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال:«**تقوى الله، وحسن الخلق**»، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ؟، فقال:«**الفم والفرج**».[١]

التقوى ميزان الله في خلقه:

« إن موازين الخالق تبارك وتعالى، غير موازين الناس، ومقاييس البشر. ومن التصورات، والموازين الخاطئة: جعل الميزان غير التقوى، والميزان عند الله هو: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(الحجرات:١٣).

فلما غاب هذا الميزان وهذا التصور، صار الناس ينظرون إلى الشخص ويقومونه بحسب غناه، أو فقره.

بحسب نسبه، ووظيفته، ومرتبته، ودرجته في هذه الوظيفة، بحسب نوع السيارة، والشهادة العلمية، والمنصب، والعائلة، والجنسية ونحو ذلكً.

فالمسألة الآن أن الناس لا ينظرون إلى دينه ولا إلى خلقه، بل ينظرون إلى سيارته، ووظيفته، وماله، وبيته، وأثاثه، ولباسه، هذا نتيجة اضطراب الميزان الشرعي:«**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**».[٢]

هذا هو الميزان الشرعي: « **إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ** » [٣].

---

(١) رواه الترمذي: (٢٠٠٤)، وابن ماجهْ: (٤٢٤٦). وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة: (٩٧٧).
(٢) رواه مسلم: (٢٥٦٤).
(٣) رواه الترمذي: (١٠٨٥)، وابن ماجهْ: (١٩٦٧). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (١٠٢٢).



* وعَنْ سَهْل - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - فَقَالَ: «**مَا تَقُولُونَ في هَذَا ؟**». قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ. **قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلمينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ في هَذَا ؟** "قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ فَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: **هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**»[١].

فالميزان الصحيح هو ميزان التقوى. إن جنسية المسلم عقيدته، والمكانة في الدين ليست بالحسب والنسب، والمال، والجاه، وإنما هي بالتقوى، ويجب أن يكون هذا هو المقياس الصحيح، والميزان الحق في عقول الناس، ويجب أن نعلم الناس هذا المقياس، لأنه ينبني عليه أشياء كثيرة.

والناس الآن يتعاملون فيما بينهم بموازين عجيبة، يقولون: هذا كذا، وهذا كذا؛ مع أنه مسلم، بل قد يكون أفضل منهم علماً وتقوى.

فقد رفع الإسلام سلمان فارسٍ ∴ وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

الإسلام رفع سلمان الفارسي، ووضع الكفر الشريف أبا لهب، فأبو لهب شريف، وهو عم الرسول، لكن وضعه الكفر، وذكر عن سلمان أنه كان يقول:

أبي الإســـلام لا أب لي ســواه ∴ إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمِ

بعض الناس يقول: أبي كان وكان، فهو يفتخر بعظام ناخرة وعظام بالية، وافتخار الرجل بأبيه كافتخار الكوسج بلحية أخيه، والكوسج: هو الإنسان الذي لا تنبت له لحية، فالذي يفتخر بأبيه افتخاره مثل: افتخار الكوسج بلحية أخيه، وافتخار هذا لا ينفعه.

---

(١) رواه البخاري: (٥٠٩١).

وأعـجـب شيءٍ إلى عـاقـلٍ ∴ أنـاسٌ عن الفضل مستأخرة

إذا سئـلـوا مـا لهـم مـن علا ∴ أشـــاروا إلى أعـظـمٍ نخرة

إذا قلت له: ماذا صنعت؟ قال: جدي كان كذا وأبي كذا، صحيح ذاك جدك عليه رحمة الله، لكن ماذا فعلت أنت؟ وهل سينجيك أبوك يوم القيامة؟ واشتهر عن علي- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وأرضاه أنه قال:

الناس من جهة التمثيل أكفاء ∴ أبـوهـمُ آدم والأم حـواء

نفسٌ كنفسٍ وأرواحٌ مشاكلةٌ ∴ وأعظمٌ خلقت فيهم وأعضاءُ

فإن يكن لهم من أصلهم نسب ∴ يـفـاخـرون بـه فالطين والمـاء

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهمُ ∴ على الهـدى لمن استهدى أدلاءُ

وقدر كل امـرئٍ ما كان يحسنه ∴ وللرجال على الأفعال سيماءُ

وضد كل امـرئ ما كان يجهلهُ ∴ والجاهلون لأهل العلم أعداءُ

واختتم الله الآية بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات:١٣) أي: عليم بنياتكم، وعليم بأعمالكم، وخبير بما تفعلون، وخبير بمراتبكم عنده؛ ودرجات الجنة ليست بدرجات القبائل؛ وإنما هي بحسب الأعمال، والتقوى.[١]

من صفات المتقين:

حيث وأن المسلم يسمع عن التقوى، وفضائله، فحري به أن يعلم صفات أهله ليسلك طريقهم، ويعيش دربهم. ومن هذه الصفات:

تعظيم شعائر الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (الحج: ٣٢).

(١) انظر دروس للشيخ محمد المنجد:(٢٣٣ / ٤)، (١٩٧ / ١٧).



* حُسن العشرة، والخلق: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ (آل عمران: ١٣٣ - ١٣٥).

وعَنْ مُعاذ بْن جَبَلٍ وأبي ذر- رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَوْصِني، فَقَالَ: «**اتق اللَّهِ حَيْثُما كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[(١)].

توقير الرسول -ﷺ- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ ﴾ (الحجرات ٢- ٣).

قال الفراء: «أي: أخلصها للتقوى»، وقال الأخفش: «أي: اختصها بالتقوى»، وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: ﴿ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ طهرهم من كل قبيح، وجعل في قلوبهم الخوف من الله تعالى[(٢)].

والعامل الثاني من عوامل الرزق الشرعي: التقوى وقد عرفها العلماء بقولهم: امتثال أمر الله ونهيه، والوقاية من سخطه وعذابه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك فإن الذي يصون نفسه عن المعاصي متق لله، والذي يقوم بالواجبات متق لله، والدليل على ارتباط التقوى بالرزق قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾

(الطلاق: ٢-٣).

---

(١) رواه الترمذي: (١٩٨٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٣١٦٠).
(٢) تفسير القرطبي: (٩/ ٢٣٨).

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ ﴾(الطلاق:٢)، فيما أمره به، وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجًا ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾(الطلاق:٣)، أي: من جهة لا تخطر بباله.

وهذا له قصص كثيرة، وشواهد في الواقع؛ لكن أين المتقون؟! إن الذين يفعلون المعاصي ويرتكبون المنهيات كثيرًا ما ينظرون إلى ما حرم الله، ويستمعون إلى ما حرم الله، ويمشون إلى ما حرم الله، ثم يقولون: لا نجد رزقًا، لا نجد عملًا، لا نجد وظيفة! نقول: اتقوا الله يجعل لكم مخرجًا، فقد قال ربنا: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (الأعراف:٩٦).

بركات من السماء، أي: المطر، وبركات الأرض، أي: النبات والثمار، وكثرة المواشي والأنعام، وحصول الأمن والسلامة؛ لأن السماء تجري مجرى الأب، والأرض تجري مجرى الأم، ويحصل لهذا المخلوق على الأرض، وتحت السماء من الرزق -إذا ما اتقى الله- ما الله به عليم.

عباد الله: إن تطبيق الشريعة وسيلة عظيمة لحصول الرزق للناس، ودليله قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ ﴾(المائدة:٦٦) أقاموا الشرع المنزل من السماء، أقاموه، وطبقوه، وحكّموه ﴿ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾(المائدة:٦٦) .

وهكذا يكون تطبيق الشرع عاملًا من عوامل الرخاء، وسعة الرزق، ووجود البحبوحة للخلق.





7-6-5 بر الوالدين، والعفة عن المحارم وأداء الحقوق

عَن ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَاشَوْنَ أَخَذَهُمُ المَطَرُ، فَمَالُوا إِلَى غَارٍ فِي الجَبَلِ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا للهِ صَالِحَةً، فَادْعُوا اللهَ بِهَا لَعَلَّهُ يَفْرُجُهَا. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ، كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ فَحَلَبْتُ بَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ وَلَدِي، وَإِنَّهُ نَاءَ بِيَ الشَّجَرُ، فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا، أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ. فَفَرَجَ اللهُ لَهُمْ فُرْجَةً حَتَّى يَرَوْنَ مِنْهَا السَّمَاءَ.

وَقَالَ الثَّانِي: اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَلَقِيتُهَا بِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ اتَّقِ اللهَ، وَلَا تَفْتَحِ الخَاتَمَ، فَقُمْتُ عَنْهَا، اللهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا. فَفَرَجَ لَهُمْ فُرْجَةً.

وَقَالَ الآخَرُ: اللهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَقَّهُ فَتَرَكَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ

حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَظْلِمْنِي وَأَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ البَقَرِ وَرَاعِيهَا، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَهْزَأْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَهْزَأُ بِكَ، فَخُذْ ذَلِكَ البَقَرَ وَرَاعِيَهَا، فَأَخَذَهُ فَانْطَلَقَ بِهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ مَا بَقِيَ. فَفَرَجَ اللهُ عَنْهُمْ».

في هذا الحديث فوائد جمة، ونكت عظيمة، ومن هذه الفوائد أن الأعمال الصالحة سبب لتفريج الكروب، وتنفيس الخطوب، وقد ذكر هذا الحديث ثلاثة أعمال هي سبب لتفريج الكروب، ومن الأعمال الصالحة في هذا الحديث: بر الوالدين، والعفة عن الحرام، وأداء الحقوق إلى أهلها، وحفظ الأمانة ولو للمدى البعيد، ولأهمية هذه الأعمال نقف معها وقفات، ونسرد في فضلها الأحاديث والآيات.

قال النووي -رحمه الله-: «اسْتَدَلَّ أَصْحَابنَا بِهَذَا عَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبّ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَدْعُوَ فِي حَال كَرْبه، وَفِي دُعَاء الاسْتِسْقَاء وَغَيْره بِصَالِحِ عَمَله، وَيَتَوَسَّل إِلَى اللَّه تَعَالَى بِهِ ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ فَعَلُوهُ فَاسْتُجِيبَ لَهُمْ، وَذَكَرَهُ النَّبِيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي مَعْرِض الثَّنَاء عَلَيْهِمْ، وَجَمِيل فَضَائِلهمْ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيث: فَضْل بِرّ الْوَالِدَيْنِ وَفَضْل خِدْمَتهمَا، وَإِيثَارهمَا عَمَّنْ سِوَاهُمَا مِنْ الْأَوْلَاد، وَالزَّوْجَة وَغَيْرهمْ. وَفِيهِ: فَضْل الْعَفَاف وَالِانْكِفَاف عَنْ الْمُحَرَّمَات، لَا سِيَّمَا بَعْد الْقُدْرَة عَلَيْهَا، وَالْهَمّ بِفِعْلِهَا، وَيَتْرُك لِلَّهِ تَعَالَى خَالِصًا. وَفِيهِ: جَوَاز الْإِجَارَة وَفَضْل حُسْن الْعَهْد، وَأَدَاء الْأَمَانَة، وَالسَّمَاحَة فِي الْمُعَامَلَة. وَفِيهِ: إِثْبَات كَرَامَات الْأَوْلِيَاء، وَهُوَ مَذْهَب أَهْل الْحَقّ »[1].



(١) شرح مسلم: (١٧/ ٥٦).



5 فضل بر الوالدين

لقد اهتم الإسلام ببر الوالدين، والإحسان إليهما، والعناية بهما، ولقد دلت نصوص شرعية على فضل بر الوالدين وكونه مفتاح الخير للإنسان في الدنيا والآخرة ومن هذه النصوص:

١- أنه سبب لدخول الجنة: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: **«رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ»** قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: **«مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»** (١).

٢ـ كونه من أحب الأعمال إلى الله : قال أَبو عَمْرو الشَّيْبَانِيِّ: حَدَّثَنَا صَاحِبُ - هَذِهِ الدَّارِ وَأَشَارَ إِلَى دَارٍ- عَبْدِ اللهِ، قَالَ: **سَأَلْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ" قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ» قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي.** (٢)

٣ـ إن بر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله - عَزَّوَجَلَّ - إِذَا لَمْ يَتَعَيَّنِ الْجِهَادُ -: فعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: **أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ، قَالَ: «فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا، قَالَ: «فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا»**.

(١) رواه مسلم: (٢٥٥١).
(٢) رواه البخاري: (٥٢٧)، ومسلم: (٨٥).

وفي رواية: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**»، **قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:** «**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**».[1]

قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ النَّهْيُ عَنِ الْخُرُوجِ بِغَيْرِ إِذْنِ الْأَبَوَيْنِ مَا لَمْ يَقَعِ النَّفِيرُ، فَإِذَا وَقَعَ وَجَبَ الْخُرُوجُ عَلَى الْجَمِيعِ.[2]

٤ -وجعل الله تعالى رضاه في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «**رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ**».[3]

٥- بر الوالدين وصية الله تعالى لعباده قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ﴾ (الأحقاف:١٥). وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ (لقمان: ١٤).

٦- وقرن برهما بالأمر بعبادته في كثير من الآيات فمنها قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (الإسراء:٢٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (النساء:٣٦).

وجاء ذكر الإحسان إلى الوالدين بعد توحيده - عَزَّوَجَلَّ - لبيان قدرهما، وعظم حقهما، ووجوب برهما:

ومن فضائل البر ما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - **قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ:** « **أُمُّكَ**» **قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:** « **ثُمَّ أُمُّكَ**» **قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:** « **ثُمَّ أُمُّكَ**» **قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:** « **ثُمَّ أَبُوكَ**».[4]

---

(١)رواه البخاري: (٣٠٠٤)، ومسلم: (٢٥٤٩). واللفظ الأول لمسلم، والأخير لهما .
(٢) تفسير القرطبي: (٦/ ٢١١).
(٣) رواه الترمذي: (١٨٩٩)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة: (٥١٦).
(٤) رواه البخاري: (٥٩٧١)، ومسلم: (٢٥٤٨).

قال القرطبي رحمه الله تعالى:«فَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَحَبَّةَ الْأُمِّ وَالشَّفَقَةَ عَلَيْهَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالِ مَحَبَّةِ الْأَبِ، لِذِكْرِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْأُمَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَذِكْرِ الْأَبِ فِي الرَّابِعَةِ فَقَطْ. وَإِذَا تَوَصَّلَ هَذَا الْمَعْنَى شَهِدَ لَهُ الْعِيَانُ. وَذَلِكَ أَنَّ صُعُوبَةَ الْحَمْلِ، وَصُعُوبَةَ الْوَضْعِ، وَصُعُوبَةَ الرَّضَاعِ وَالتَّرْبِيَةِ تَنْفَرِدُ بِهَا الْأُمُّ دُونَ الْأَبِ، فَهَذِهِ ثَلَاثُ مَنَازِلَ يَخْلُو مِنْهَا الْأَبُ».

مِنْ تَمَامِ بِرِّهِمَا صِلَةُ أَهْلِ وُدِّهِمَا: فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ**» [١].

قال العلامة القرطبي رحمه الله تعالى :«وَكَانَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **يُهْدِي لِصَدَائِقِ خَدِيجَةَ بِرًّا بِهَا وَوَفَاءً لَهَا وَهِيَ زَوْجَتُهُ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْوَالِدَيْنِ؟**» [٢].

وأمر الله عَزَّوَجَلَّ بخفض الجناح لهما، والترحم عليهما، والاستغفار لهما: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الإسراء:٢٤).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى :«وَلَمَّا نَهَاهُ عَنِ الْقَوْلِ الْقَبِيحِ وَالْفِعْلِ الْقَبِيحِ، أمره بالقول وَالْفِعْلِ الْحَسَنِ، فَقَالَ: ﴿ **وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا** ﴿٢٣﴾ ﴾ (الإسراء:٢٣٤)، أَيْ: لَيِّنًا طَيِّبًا حَسَنًا بِتَأَدُّبٍ وَتَوْقِيرٍ وَتَعْظِيمٍ، ﴿ **وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ** ﴾ (الإسراء:٢٤)،أَيْ: تواضع لهما بفعلك ﴿ **وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا** ﴿٢٤﴾ ﴾ (الإسراء:٢٤)، أي: في كبرهما وعند وفاتهما، قال ابن عباس: ثم أنزل الله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (التوبة:١١٣).

قلت: وكلام ابن عباس- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يخرج الترحم والاستغفار للأبوين

(١) رواه مسلم: (٢٥٥٢).
(٢) تفسير القرطبي:(٦/ ٢١١).

الكافرين، بنص كتاب الله تعالى، وفي سُنَّة النبي ﷺ ما يوضح ذلك، ويبينه، وفي حق الأبوين الكافرين

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي**».[1]

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «فيه جَوَازُ زِيَارَةِ الْمُشْرِكِينَ فِي الْحَيَاةِ وَقُبُورِهِمْ بَعْدَ الْوَفَاةِ لِأَنَّهُ إِذَا جَازَتْ زِيَارَتُهُمْ بَعْدَ الْوَفَاةِ فَفِي الْحَيَاةِ أَوْلَى وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: «وصاحبهما في الدنيا معروفا». وَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ الاسْتِغْفَارِ لِلْكُفَّارِ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ - رَحِمَهُ اللهُ -: سَبَبُ زِيَارَتِه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَبْرَهَا أَنَّهُ قَصَدَ قُوَّةَ الْمَوْعِظَةِ، وَالذِّكْرَى بِمُشَاهَدَةِ قَبْرِهَا وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: «**فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْمَوْتَ**»[2].

وعَنْ أَنَسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ **قَالَ**: «**فِي النَّارِ**»، فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**».[3]

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «فيه أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ، وَفِيهِ أَنَّ مَنْ مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَلَيْسَ هَذَا مُؤَاخَذَةٌ قَبْلَ بُلُوغِ الدَّعْوَةِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَانَتْ قَدْ بَلَغَتْهُمْ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ -صَلَوَاتُ اللهِ تَعَالَى وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ-»[4].

---

(١) رواه مسلم: (٩٧٦).
(٢) شرح مسلم: (٧/ ٤٥)
(٣) رواه مسلم: (٢٠٣).
(٤) شرح مسلم: (٣/ ٧٩).



التحذير من عقوق الوالدين، وخطورة ذلك:

وفي الوقت الذي أمر الله تعالى ببر الوالدين، والإحسان إليهما نهى عن ضده وهو العقوق، وبين عَزَّوَجَلَّ عواقبه الوخيمة، ومهالكه الأليمة.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٣).

قال مجاهد رحمه الله تعالى: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ «حين ترى الأذى، وتميط عنهما الخلاء والبول، كما كانا يميطانه عنك صغيرًا، ولا تؤذهما»[1].

عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ قَالَ: لَا تَنْفُضْ يَدَكَ عَلَى وَالِدَيْكَ.

وقال العلامة ابن كثير. رحمه الله تعالى: «أَيْ لَا تُسْمِعْهُمَا قَوْلًا سَيِّئًا حَتَّى وَلَا التَّأْفِيفَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى مَرَاتِبِ الْقَوْلِ السَّيِّءِ، وَلا تَنْهَرْهُما أَيْ وَلَا يَصْدُرْ مِنْكَ إِلَيْهِمَا فِعْلٌ قَبِيحٌ».

واعلم أخي المسلم أن بر الوالدين لَا يَخْتَصُّ بِأَنْ يَكُونَا مُسْلِمَيْنِ، بَلْ إِنْ كَانَا كَافِرَيْنِ يَبَرُّهُمَا، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمَا إِذَا كَانَ لَهُمَا عَهْدٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (الممتحنة:٨).

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَسْمَاءَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَدِمَتْ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَمُدَّتِهِمْ إِذْ عَاهَدُوا النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَ أَبِيهَا، فَاسْتَفْتَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ

---

(١) تفسير الطبري: (١٧ / ٤١٥).

رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ:«**نَعَمْ صِلِي أمك** »[١].

والعقوق من الكبائر بل كما وصفه الرسول ﷺ من أكبر الكبائر فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ. وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ لَا يَسْكُتُ** »[٢].

وعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ**»[٣].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «وأما عقوق الأمهات فحرام، وهو من الكبائر بإجماع العلماء، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على عده من الكبائر، وكذلك عقوق الآباء من الكبائر، وإنما اقتصر هنا على الأمهات لأن حرمتهن آكد من حرمة الآباء، ولهذا قال ﷺ حين قال له السائل: «**من أبر قال: أمك، ثم أمك ثلاثًا، ثم قال في الرابعة: ثم أباك ولأن أكثر العقوق يقع للأمهات، ويطمع الأولاد فيهن**»[٤].

وعقوق الوالدين من الذنوب التي يعجل الله لصاحبها العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، وماهذا إلا لخطورة هذا الذنب، وشناعة أمره عند رب العالمين.

فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تُدْرِكَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ – وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ**

(١) رواه البخاري: (٢٦٢٠)، ومسلم: (١٠٠٣). ومعنى "راغبة": أي في الإسلام وقيل عنه أي كارهة له.
(٢) رواه البخاري: (٦٩١٩)، ومسلم: (٨٧).
(٣) رواه البخاري: (٢٤٠٨)، ومسلم: (٥٩٣).
(٤) شرح مسلم: (١٢/ ١١).

السَّبَّابَةِ وَالْوسْطَى -، وَبَابَانِ مُعَجَّلَانِ عُقُوبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا الْبَغْيُ وَالْعُقُوقُ » [١].

ومن العقوق التسبب في بكاء الوالدين: فعَنْ طَيْسَلَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: «بُكَاءُ الْوَالِدَيْنِ مِنَ الْعُقُوقِ، وَالْكَبَائِرِ». [٢]

والتعرض لسَبِّهمَا مِنَ الْكَبَائِرِ بلَا خلَاف، وَبذَلك وَرَدَت السُّنَّةُ الثَّابتَةُ، فَفِي صَحِيح مُسْلم عَنْ عَبْد الله بْنِ عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - قَالَ: « **إنَّ منَ الْكَبَائِر شَتْمَ الرَّجُل وَالدَيْه » قَالُوا: يَا رَسُول الله، وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالدَيْه؟ قَالَ : نَعَمْ. يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ »** [٣].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : «ففيه دليل على أن من تسبب في شيء جاز أن ينسب إليه ذلك الشيء، وإنما جعل هذا عقوقًا لكونه يحصل منه ما يتأذى به الوالد تأذيًا ليس بالهين كما تقدم في حد العقوق والله أعلم وفيه قطع الذرائع، فيؤخذ منه النهى عن بيع العصير ممن يتخذ الخمر والسلاح ممن يقطع الطريق ونحو ذلك والله أعلم » [٤].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «والمذكور هنا فرد من أفراد العقوق، وإن كان التسبب إلى لعن الوالد من أكبر الكبائر، فالتصريح بلعنه أشد » [٥].

ومن النكت البديعة في الحديث ماقاله الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «قوله: «قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ » هو استبعاد من السائل، لأن الطبع المستقيم يأبى ذلك، فبين في الجواب أنه وإن لم يتعاط السب بنفسه في الأغلب » [٦].

---

(١) أخرجه الحاكم: (٤ / ١٧٧). انظر السلسلة الصحيحة: (٣/ ١١٢) للعلامة الألباني رحمه الله.
(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد: (٨)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم: (٦).
(٣) البخاري: (٥٩٧٣)، وبوب عليه: «باب لايسب الرجل والديه»، و مسلم: (٩٠).
(٤) شرح مسلم: (٢/ ٨٨).
(٥) فتح الباري: (١٠/ ٤٠٣).
(٦) المصدر السابق.

6 العفـة عن الحـرام والبعد عن فتنة النســاء

لايخفى على كل ذي لب أن فتنة النساء هي من أخطر الفتن على الإطلاق كما ورد ذلك في الحديث عَنْ أُسَامَةَ بْن زَيْد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عَن النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»[١].

«وفي زماننا هذا، اشتد وطيس فتنة النساء، وقوى عودها، وانتشر في الأركان شرها، حتى تملكت قلوب الغافين، وعبثت بعقول التائهين، ولم تزل تفتك بخيرة شباب المسلمين حتى ضيعت عليهم دينهم، وهتكت عرضهم، وهدت جهدهم، وتركتهم حيارى في الطرقات، يتحسسون الفواحش في الممرات،ويلتمسون الفساد في الأسواق في الصبحيات والأمسيات، ولربما أقاموا الأسفار والرحلات، وتحملوا النصب، والتعب ليفوزوا بشهواتهم الجامحة، ونزواتهم الدنية، وينقلبوا على أدبارهم خاسرين.ولا شك أن فتنة النساء هي أول شرارات الفساد في المجتمع، وهي مبدأالرذيلة، والانحلال وسبب كل منكر وفحشاء، وكل ضر وبلاء، فعَنْ أَبِي سَعيد الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -، قَالَ:«**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ** »[٢].

ومن رحمة الله بالعباد، أن دلهم على ما يحفظهم من شرور فتنة النساء، وبين

(١) رواه البخاري: (٥٠٩٦)، ومسلم: (٢٧٤٠).
(٢) رواه مسلم: (٢٧٤٢).



لهم سُبل الوقاية والعلاج، قال تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (النور:٣٣).

فبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذه الآية أن العفة هي المخرج من تلك الفتنة الظلماء. فما معنى العفة؟ وسبيل تحصيلها؟ وماذا عن فوائدها؟.

أولاً: معنى العفة:

العفة لغة: من عف يَعِفُّ بالكسر، عفة وعفافة. وهي الكفُ.

واصطلاحًا: هي الكف عن محارم الله كافة. وقد جاء لفظ الاستعفاف في القرآن الكريم، وأريد به طلب العفة عن أسباب الفساد، والبعد عن الزنى، وفتنة النساء. كما في قول الله – عَزَّوَجَلَّ –: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (النور:٣٣).

والاستعفاف من أسمى الأخلاق، وأكرمها، وأحبها إلى الله جل وعلا، وهو من صفات عباد الله الصالحين، الذين استحضروا عظمة الله، وخافوا سخطه، وعذابه، وطلبوا رضاه وثوابه فاستعفوا، و صبروا، وخافوا واعتبروا، وحبسوا النفس عن الهوى، والتزموا الورع، والتقوى، فنالوا بذلك المنزلة والقربى عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتعالى، بل إن الله جَلَّ وَعَلَا ليعجب من صنيع الشاب العفيف،ففي حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامر – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:«**إِنَّ اللهَ لَيَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ** »[(١)].

قال المناوي:«أي مَيْل إلى الهوى بحُسْن اعتياده للخير، وقوة عزيمته في البُعْد عن الشر »[(٢)].

(١) أخرجه أحمد: (٤ / ١٥١).
(٢) فيض القدير: (٢/ ٢٦٣).

ثانيًا: مظاهر العفة: و للعفة مظاهر و صور كثيرة:

(أ) البعد عن الزنا:

والزنا شر مستطير، وداء يمزق الأعراض، ويهدم البيوت و الأسر، لذلك أجمعت الشرائع السماوية على تحريمه، واستنكاره، واتفقت العقول السليمة، والفطر النقية على استقباحه واستهجانه، قال الله جل وعلا ـ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الإسراء:٣٢)، لذلك كانت العفة من جريمة الزنا أوجب وأوكد، لما فيه من الأضرار بالنفس، والمال، والمجتمع.

بل إن الله جل وعلا جعل الزنا قرين الشرك والقتل، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الفرقان:٦٨-٧٠).

أخي الكريم: إن الذنوب يدعو بعضها لبعض، ويجر بعضها إلى بعض، فالفواحش تدعو إلى الشرك بالله جل وعلا، والشرك يدعو إلى الفواحش. فلا تأمن على نفسك إن وقعت في حبائل الفتنة أن تبقى على ملة الإسلام، فقد يكون ذلك سبب ردتك ومروقك من الدين، لا سيما إذا قويت إرادة الفساد في القلب ولم يكن لحصولها سبيل إلا الردة والشرك.

فكم من مغرور غرته الأماني، و صرعته الشهوة، فلم يزل يلهث وراءها، ويبذل جهده في تحصيلها حتى استعان على ذلك بالسحرة والشياطين، فخسر بذلك الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى هذا المعنى، ويدل على أن الزنا بريد



الشرك، فقد جمع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بينهما في قوله: ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾

(النور:٣).

فتنبه -حفظك الله- لهذا الأصل، وادفع عن نفسك أسباب الفساد و الزنا، فان دفعه من أوله أيسر وأهون من استفراغه بعد حصوله،وإياك والاستهانة بدواعيه المبدئية، فان الله -جل وعلا - قال: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (النور:٢١).

وتأمل في قول الله -جل وعلا - : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ فانه نهى عن القرب منه لأنه ذريعة له، و طريقه، ومقدمته. وتذكر يا عبد الله...

تذكري يا أمة الله: أن الزنا هتك شنيع لمحارم الله، فعن عائشة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- أن رسول الله ﷺ قال في خطبته في صلاة الكسوف:«**يَا أُمَّةَ مُحَمَّد وَالله مَا منْ أَحَد أَغْيَرُ منَ الله أَنْ يَزْني عَبْدُهُ أَوْ تزْني أَمَتُهُ. يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَالله لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَليلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثيرًا**» (١).

وقد نفى رسول الله ﷺ الإيمان من قلب الزاني حين يزني فعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:«**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**». (٢)

فالعفة التامة أنها تتحقق بالبعد عن الزنا، ودواعيه، وأسبابه، نسأل الله أن يحفظنا، ويحفظ شباب المسلمين من كل ذلك.

---

(١) رواه البخاري: (١٠٤٤)، ومسلم: (٩٠١).
(٢) رواه البخاري: (٢٤٧٥)، ومسلم: (٥٧).

(ب) غض البصر:

لأن النظرة سهم من سهام إبليس، إذا لم يكبحها الإنسان من أول وهلة صرعته، وأوحلته في شباك الشهوة، فهي تتسلل إلى القلب، وتعبث به أيما عبث، وتظل تلامس الغريزة، والشهوة، وتولد الأماني والصور، وتهيج دافع الإرادة، والإقبال حتى تُمرض القلب، و توهن الجسد، و تجعل صاحبها أسير أمنيته، وصريع نظرته، فلم يزل حائرًا بين التردد، والعزم حتى يعمد إلى تحصيل مراده، وإخماد نار فتنته باقتراف المنكر، والرذيلة. لذلك قرن الله جل وعلا غض البصر بحفظ الفرج، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (النور:٣٠-٣١).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :«وفي غض البصر عدة فوائد أحدها تخليص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق نظره دامت حسرته فأضر شيء على القلب إرسال البصر، فإنه يريه ما يشتد طلبه ولا صبر له عنه، ولا وصول له إليه وذلك غاية ألمه وعذابه.

قال الأصمعي: رأيت جارية في الطواف كأنها مهاة فجعلت أنظر إليها، وأملأ عيني من محاسنها، فقالت لي: يا هذا ما شأنك ؟. قلت: وما عليك من

النظر؟. فأنشأت تقول:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدًا ∴ لقلبك يومًا أتعبتك المناظر
رأيـت الـذي لا كله أنت قادر ∴ عليه ولا عن بعضه أنت صابر

والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية، فإن لم تقتله جرحته، وهي بمنزلة الشرارة من النار ترمى في الحشيش اليابس فإن لم يحرقه كله أحرقت بعضه كما قيل:

كل الحـوادث مبدأها من النظر ∴ ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ∴ فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمـرء مـا دام ذا عـين يقلبها ∴ في أعين الغير موقوف على الخطر
يـسر مقلته مـا ضر مهجته ∴ لا مرحبًا بـسرور عاد بالضرر

والناظر يرمي من نظره بسهام غرضها قلبه وهو لا يشعر فهو إنما يرمي قلبه ولي من أبيات:

يا راميًا بسهام اللحظ مجتهدًا ∴ أنت القتيل بما ترمي فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له ∴ توقه إنـه يأتيك بالعطب[1]

(جـ) اجتناب مصافحة النساء الأجانب:

لأن الملامسة تُحدث الإثارة في النفوس، وتزرع بوادر الأماني والوساوس، وتولد في القلب الميل إلى الاختلاط، فهي مناقضة للعفاف، وداعية إلى الفحشاء، والرذيلة.

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين: (١/ ١٠١).

يدل على ذلك قول رسول الله ﷺ في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: «وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ »[1]، وقول رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ** »[2].

وقول عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -: «**وَاللهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ** »[3]. فالعفيف من ترك مواطن الريب، وجعل بينه وبين الحرام سترة تقيه من مصارع السوء.

(د) اجتناب الخلوة بالأجنبية:

لا سيما وقد ورد النهي الصريح عن الخلوة، فعن ابْنِ عَبَّاس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: «**لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ" فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَاكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذا، قَالَ: «ارْجِعْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ**»[4].

وذلك لأن الخلوة مدعاة للفاحشة، وذريعة لارتكاب الزنا، ولأن النفس تضعف إذا غابت عن أعين الناس، وتكون مجاهدتها أشد مما لو كان معها من يزجرها وينهاها. و لا سيما إذا كان الأمر يتعلق بخلوة الرجل بالمرأة، فان الشيطان يجتهد في التضليل والإغراء، ويثابر في تزيين المرأة، وكيف لا وهي نفسها فتنة، فما بالك إذا اجتمعت معها وساوس الشيطان ونفثاته. فعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِينَا فَقَالَ: «...أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ..»[5].

---

(١) رواه مسلم: (٢٦٥٧).

(٢) رواه الترمذي: (١٥٩٧)، والنسائي: (٤١٨١)، وابن ماجهْ: (٢٨٧٤) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٥٢٩).

(٣) رواه البخاري: (٥٢٨٨)، ومسلم: (١٨٦٦).

(٤) رواه البخاري: (٥٢٣٣)، ومسلم: (١٣٤١).

(٥) رواه الترمذي: (٢١٦٥)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع: (٢٥٤٦).

فالخلوة حرام بالإجماع كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم منهم النووي، وابن حجر العسقلاني ولا فرق في ذلك أن يكون الرجل أخًا للزوج، أو ابن خاله، أو ابن عمه، بل إن ذلك أشد خطرًا في الخلوة من غيره، فعَنْ عُقْبَةَ بْن عَامرٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «الحَمْوُ المَوْتُ».(١)

وجاء فِي رواية مسلم عن اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ، قال: «الْحَمْوُ أَخُ الزَّوْجِ، وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ أَقَارِبِ الزَّوْجِ، ابْنُ الْعَمِّ وَنَحْوُهُ».

قال النووي رحمه الله تعالى: «اتَّفَقَ أَهْلُ اللُّغَة عَلَى أَنَّ الأحماء أقارب زوج المرأة كأبيه، وعمه، وأخيه، وابن أخيه، وابن عَمِّهِ وَنَحْوِهِمْ، وَالْأُخْتَانِ أَقَارِبُ زَوْجَةِ الرَّجُل، وَالْأَصْهَارُ يَقَعُ عَلَى النَّوْعَيْنِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « **الْحَمْوُ الْمَوْتُ** » فَمَعْنَاهُ أَنَّ الْخَوْف مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْره، وَالشَّرُّ يُتَوَقَّعُ مِنْهُ، وَالْفِتْنَةُ أَكْثَرُ لِتَمَكُّنِه مِنَ الْوُصُول إِلَى الْمَرْأَة وَالْخَلْوَة مِنْ غَيْر أَنْ يُنْكَرَ عَلَيْه بخلاف الأجنبى، والمراد بالحمو هنا أَقَاربُ الزَّوْج غَيْرُ آبَائِه، وَأَبْنَائِه، فَأَمَّا الْآبَاءُ، والأبناء فمحارم لزوجته تجوز لهم الخلوة بها ولَا يوصفون بالموت وإنما المراد الأخ وابن الْأَخ، وَالْعَمُّ، وَابْنُهُ وَنَحْوُهُمْ مِمَّنْ لَيْسَ بِمَحْرَم، وَعَادَةُ النَّاس الْمُسَاهَلَةُ فِيه، وَيَخْلُو بِامْرَأَةِ أخيه فَهَذَا هُوَ الْمَوْتُ وَهُوَ أَوْلَى بِالْمَنْع مِنَ الأجنبي لماذكرناه»(٢).

وقال رحمه الله تعالى: «وَأَمَّا إِذَا خَلَا الْأَجْنَبِيُّ بِالْأَجْنَبِيَّة مِنْ غَيْر ثَالث مَعَهُمَا فَهُوَ حَرَامٌ بِاتِّفَاق الْعُلَمَاء وَكَذَا لَوْ كَانَ مَعَهُمَا مَنْ لَا يُسْتَحَى مِنْهُ لِصِغَرِه كَابْنِ سَنَتَيْنِ وَثَلَاثٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَإِنَّ وُجُودَهُ كَالْعَدَمِ وَكَذَا لَو اجْتَمَعَ رِجَالٌ

(١) رواه البخاري: (٥٢٣٢)، ومسلم: (٢١٧٢).
(٢) شرح النووي على مسلم: (١٤/ ١٥٤).

بِامْرَأَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ فَهُوَ حَرَامٌ"[١].

فاحذر أخي الكريم/ أختي المسلمة من هذه الخصلة المشينة، ولا تستصغرها في قلبك، فكم من صريع تجرع غبها، وتحسى سمها، ولم يكن يُلقي لها بالًا في مبدأها، حتى سقط في شراكها، و تذكر أنها مما نهى الله جل وعلا عنه بقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ (الإسراء:٣٢)، فإن من خلا بامرأة أوشك أن يزني بها، ويفقد عفته وطهارته، وعرضه ونقاءه.

لا يأمنن على النساء أخٌ أخًا ∴ ما في الرجال على النساء أمينُ
إن الأمين وإن تعفف جهده ∴ لابد أن بنظرة سيخون

(هـ) البُعد عن مواطن الفتنة:

ومن مظاهر العفة والطهارة، الفرار من أسباب الفساد والفاحشة، ولا يخفى على أحد أن أسباب الرذيلة قد كثُرت في هذه الأزمان فلم تترك زاوية إلا سكنتها، ولا مغارة إلا دخلتها، ولا طريقًا إلا سلكته.

ومن ذلك: الأغاني الهابطة، والأفلام الساقطة، والصور الخليعة، ناهيك عن القنوات الفضائية وما تحمله من سموم، فالمسلم كيس فطن يدرك بفطنته عواقب الأمور،ويدرك بصفاء قلبه تكالب الأعداء، وأساليب السفهاء في الغواية والإخلال، فيجتنب شراء سفاسف المجلات، ولا يدفع ماله في سبيل هتك عرضه، وفقدان عفته، فان عرضه أغلى، وعفته أثمن وأسمى.

أذود عرضي بمالي لا أبدده ∴ لا بارك الله بعد العرض في المال

وكذلك لا يسمح لنفسه ولا لمن استرعاه الله فيهم من أهله وذويه أن يجلس أمام أفلام الفسق والفجور، ومسلسلات الغواية والرذيلة، فان وقته

(١) المصدر السابق: (٩ / ١٠٩).



أمانة يُسأل عنها يوم القيامة، وإن همته، وإيمانه ليستعلي به عن مجارات الفسق ودواعيه. فالعفة شرف، والشرف لا ينال إلا بالصبر، والمجاهدة، والمغالبة.

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ∴ حتى يُراق على جوانبه الـــدم

فجاهد نفسك واستعن بالله، فقد وعد الله المجاهدين فيه بالنصرة، والهداية والتوفيق فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

واعلم رعاك الله تعالى أن عفتك هي حجاب يستر الله به أهلك، وأقرباءك ويحفظهم، كما حفظت أعراض المسلمين. قال تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾(الرحمن: ٦٠).

عفو تعف نساؤكم في المحرم ∴ وتجنبوا مـا لا يليق بمسـلم
يا هاتكًا سُبل الرجال وقاطعًا ∴ سُبل المـودة عش غير مكـرم
لو كنت حـرًا من سلالة ماجد ∴ ما كنت هاتكًا لحرمة مسـلم
من يـزن يُـزن به ولـو بجداره ∴ إن كنت يا هذا لبيبًا فافهـم
من يـزن في بيت بألفي درهم ∴ في بيته يُـزني بغير الدرهـم

من نماذج العفة وأخبار العفيفين:

عفة نبي الله يوسف عليه الصلاة و السلام-:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن

دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ (يوسف: ٢٣ - ٣٤).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : (فَأَخْبَرَ عَنْ عِشْقِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ لِيُوسُفَ، وَمَا رَاوَدَتْهُ وَكَادَتْهُ به، وَأَخْبَرَ عَنِ الْحَالِ الَّتِي صَارَ إِلَيْهَا يُوسُفُ بِصَبْرِه، وَعِفَّته، وَتَقْوَاهُ، مَعَ أَنَّ الَّذِي ابْتُلِيَ به أَمْرٌ لَا يَصْبِرُ عَلَيْه إِلَّا مَنْ صَبَّرَهُ اللهُ، فَإِنَّ مُوَاقَعَةَ الْفِعْلِ بِحَسَبِ قُوَّةِ الدَّاعِي وَزَوَالِ الْمَانِعِ، وَكَانَ الدَّاعِي هَاهُنَا فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: مَا رَكَّبَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي طَبْعِ الرَّجُلِ مِنْ مَيْله إِلَى الْمَرْأَةِ، كَمَا يَمِيلُ الْعَطْشَانُ إِلَى الْمَاءِ، وَالْجَائِعُ إِلَى الطَّعَامِ، حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَصْبِرُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلَا يَصْبِرُ عَنِ النِّسَاءِ، وَهَذَا لَا يُذَمُّ إِذَا صَادَفَ حَلَالًا، بَلْ يُحْمَدُ كَمَا فِي كِتَابِ الزُّهْدِ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ يُوسُفَ بْنِ عَطِيَّةَ الصَّفَّارِ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ



النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، أَصْبِرُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلَا أَصْبِرُ عَنْهُنَّ».

الثَّانِي: أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ شَابًّا، وَشَهْوَةُ الشَّبَابِ وَحِدَّتُهُ أَقْوَى.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ كَانَ عَزَبًا، لَيْسَ لَهُ زَوْجَةٌ، وَلَا سُرِّيَّةٌ تَكْسِرُ شِدَّةَ الشَّهْوَةِ.

الرَّابِعُ: أَنَّهُ كَانَ فِي بِلَادِ غُرْبَةٍ، يَتَأَتَّى لِلْغَرِيبِ فِيهَا مِنْ قَضَاءِ الْوَطَرِ مَا لَا يَتَأَتَّى لَهُ فِي وَطَنِهِ وَبَيْنَ أَهْلِهِ، وَمَعَارِفِهِ.

الْخَامِسُ: أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، بِحَيْثُ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ يَدْعُو إِلَى مُوَاقَعَتِهَا.

السَّادِسُ: أَنَّهَا غَيْرُ مُمْتَنِعَةٍ وَلَا آبِيَةٍ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُزِيلُ رَغْبَتَهُ فِي الْمَرْأَةِ إِبَاؤُهَا وَامْتِنَاعُهَا، لِمَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ مِنْ ذُلِّ الْخُضُوعِ، وَالسُّؤَالِ لَهَا، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَزِيدُهُ الْإِبَاءُ وَالِامْتِنَاعُ إِرَادَةً وَحُبًّا، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَزَادَنِي كَلَفًا فِي الْحُبِّ أَنْ مَنَعَتْ ∴ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَا

فَطِبَاعُ النَّاسِ مُخْتَلِفَةٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَضَاعَفُ حُبُّهُ عِنْدَ بَذْلِ الْمَرْأَةِ وَرَغْبَتِهَا، وَيَضْمَحِلُّ عِنْدَ إِبَائِهَا وَامْتِنَاعِهَا، وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ الْقُضَاةِ أَنَّ إِرَادَتَهُ وَشَهْوَتَهُ تَضْمَحِلُّ عِنْدَ امْتِنَاعِ امْرَأَتِهِ، أَوْ سُرِّيَّتِهِ وَإِبَائِهَا، بِحَيْثُ لَا يُعَاوِدُهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَضَاعَفُ حُبُّهُ، وَإِرَادَتُهُ بِالْمَنْعِ، فَيَشْتَدُّ شَوْقُهُ كُلَّمَا مُنِعَ، وَيَحْصُلُ لَهُ مِنَ اللَّذَّةِ بِالظَّفَرِ بِالضِّدِّ بَعْدَ امْتِنَاعِهِ وَنِفَارِهِ، وَاللَّذَّةُ بِإِدْرَاكِ الْمَسْأَلَةِ بَعْدَ اسْتِصْعَابِهَا، وَشِدَّةَ الْحِرْصِ عَلَى إِدْرَاكِهَا.

السَّابِعُ: أَنَّهَا طَلَبَتْ، وَأَرَادَتْ، وَبَذَلَتِ الْجُهْدَ، فَكَفَتْهُ مُؤْنَةَ الطَّلَبِ وَذُلَّ الرَّغْبَةِ إِلَيْهَا، بَلْ كَانَتْ هِيَ الرَّاغِبَةَ الذَّلِيلَةَ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمَرْغُوبُ إِلَيْهِ.

الثَّامِنُ: أَنَّهُ فِي دَارِهَا، وَتَحْتَ سُلْطَانِهَا وَقَهْرِهَا، بِحَيْثُ يَخْشَى إِنْ لَمْ يُطَاوِعْهَا

مِنْ أَذَاهَا لَهُ، فَاجْتَمَعَ دَاعِي الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ.

التَّاسِعُ: أَنَّهُ لا يَخْشَى أَنْ تَنِمَّ عَلَيْهِ هِيَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ جِهَتِهَا، فَإِنَّهَا هِيَ الطَّالِبَةُ الرَّاغِبَةُ، وَقَدْ غَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَغَيَّبَتِ الرُّقَبَاءَ.

الْعَاشِرُ: أَنَّهُ كَانَ فِي الظَّاهِرِ مَمْلُوكًا لَهَا فِي الدَّارِ، بِحَيْثُ يَدْخُلُ، وَيَخْرُجُ، وَيَحْضُرُ مَعَهَا وَلَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ، وَكَانَ الأُنْسُ سَابِقًا عَلَى الطَّلَبِ وَهُوَ مِنْ أَقْوَى الدَّوَاعِي، كَمَا قِيلَ لامْرَأَةٍ شَرِيفَةٍ مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ: مَا حَمَلَكِ عَلَى الزِّنَى؟ قَالَتْ: قُرْبُ الْوِسَادِ، وَطُولُ السَّوَادِ، تَعْنِي قُرْبَ وِسَادِ الرَّجُلِ مِنْ وِسَادَتِي، وَطُولَ السَّوَادِ بَيْنَنَا.

الْحَادِيَ عَشَرَ: أَنَّهَا اسْتَعَانَتْ عَلَيْهِ بِأَئِمَّةِ الْمَكْرِ وَالاحْتِيَالِ، فَأَرَتْهُ إِيَّاهُنَّ، وَشَكَتْ حَالَهَا إِلَيْهِنَّ؛ لِتَسْتَعِينَ بِهِنَّ عَلَيْهِ، وَاسْتَعَانَ هُوَ بِاللهِ عَلَيْهِنَّ، فَقَالَ: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٣٣﴾ (يُوسُفَ: ٣٣).

الثَّانِي عَشَرَ: أَنَّهَا تَوَعَّدَتْهُ بِالسِّجْنِ وَالصَّغَارِ، وَهَذَا نَوْعُ إِكْرَاهٍ، إِذْ هُوَ تَهْدِيدُ مَنْ يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ وُقُوعُ مَا هَدَّدَ بِهِ، فَيَجْتَمِعُ دَاعِي الشَّهْوَةِ، وَدَاعِي السَّلَامَةِ مِنْ ضِيقِ السِّجْنِ، وَالصَّغَارِ.

الثَّالِثَ عَشَرَ: أَنَّ الزَّوْجَ لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ الْغَيْرَةُ، وَالنَّخْوَةُ مَا يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَهُمَا، وَيُبْعِدُ كُلًّا مِنْهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ، بَلْ كَانَ غَايَةَ مَا قَابَلَهَا بِهِ أَنْ قَالَ لِيُوسُفَ: ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ وَلِلْمَرْأَةِ: ﴿وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ۝٢٩﴾ (يُوسُفَ: ٢٩)، وَشِدَّةُ الْغَيْرَةِ لِلرَّجُلِ مِنْ أَقْوَى الْمَوَانِعِ، وَهُنَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ غَيْرَةٌ.

وَمَعَ هَذِهِ الدَّوَاعِي كُلِّهَا فَآثَرَ مَرْضَاةَ اللهِ وَخَوْفَهُ، وَحَمَلَهُ حُبُّهُ للهِ عَلَى أَنِ اخْتَارَ السِّجْنَ عَلَى الزِّنَى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ﴾ (يُوسُفَ: ٣٣).

وَعَلِمَ أَنَّهُ لا يُطِيقُ صَرْفَ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَنَّ رَبَّهُ تَعَالَى إِنْ لَمْ يَعْصِمْهُ



وَيَصْرِفْ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ؛ صَبَا إِلَيْهِنَّ بِطَبْعِهِ، وَكَانَ مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ مَعْرِفَتِهِ بِرَبِّهِ، وَبِنَفْسِهِ.

وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنَ الْعِبَرِ، وَالْفَوَائِدِ، وَالْحِكَمِ مَا يَزِيدُ عَلَى الْأَلْفِ فَائِدَةٍ، لَعَلَّنَا إِنْ وَفَّقَ اللهُ أَنْ نُفْرِدَهَا فِي مُصَنَّفٍ مُسْتَقِلٍّ.[1].

عفة موسى عليه الصلاة والسلام في قصة المرأتين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ (القصص:٢٣-٢٦).

وهنا تأملات في مظاهر العفة التي وردت في قصة المرأتين مع موسى عليه الصلاة و السلام - وهي كما يلي:

١- أن المرأتين وقفتا بعيدًا عن الرجال، ولذلك قال الله: ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ ﴾.

٢- أنهما حرصتا كل الحرص على قطع أي سبب يؤدي لاختلاطهما بالرجال، ولذلك كانتا ﴿ تَذُودَانِ ﴾ غنمهما؛ لئلا تختلط بغنم القوم.

٣- من مظاهر العفة كذلك، اختصارهما الكلام، وعدم تطويله مع الرجل الأجنبي موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حيث قالتا: ﴿ لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ بدون أخذ وعطاء، وزيادة ورد.

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: (ص: ٢١٠).

٤- من عفتهما عدم فتحهما الحوار مع موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-؛ لأنه أجنبي عنهما، حيث جمعتا في كلامهما الجواب على جميع الأسئلة المحتملة، فكان الأصل أن موسى - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - يسأل هذه الأسئلة: لماذا تذودان غنمكما ؟، لماذا لا تسقيان ؟، إذن متى تسقيان ؟، ليس عندكما ولي رجل ؟، إذن لماذا لا يأتي ويسقي لكما ؟.

ولأجل ذلك سيطول الكلام بين المرأتين والرجل الأجنبي، فجمعتا في كلامهما الإجابة على جميع الأسئلة المحتملة، بجملة واحدة مختصرة عفيفة.

٥- عفة موسى- عليه الصلاة والسلام - أكمل من عفتهما، فإذا كانت عفة المرأتين تمثلت في جملة واحدة، فإن عفة موسى تمثلت في كلمة واحدة: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ ثم لم يذكر الله عنه بعد ذلك مع المرأتين ولا كلمة واحدة إلى أن تم لقاءه بأبيهما ففتح الكلام على مصراعيه ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾.

٦- عفة موسى - عليه الصلاة والسلام - كذلك ظهرت في قيامه بالسقي لهما بدون سؤال: هل تريدان ذلك، أم لا؟.

فالوضع وظاهر الحال لا يحتاج إلى سؤال، ثم السؤال يحتاج إلى كلام وجواب، وهذا مالا يريده موسى - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -، فقام وسقى لهما.

٧- كذلك أنه لما سقى لهما توجه مباشرة إلى الظل، ولم ينتظر شكرًا منهما، وهذه فرصة لمرضى القلوب أن يزداد مرضهم،وتبادل أطراف الحديث، وكلمات الشكر والعرفان، فقد صنع لهن معروفًا وبدون طلب منهما، ووقف معهن، وسقى لهن.

٨ـ حرص المرأتين على عدم الاختلاط بالرجال، مع وجود المبررات التي نسمعها اليوم، مثل: حاجتهما إلى الخروج.، عدم وجود رجل ذكر قادر يخرج معهن.



الناس عند البئر كثير، فلا خلوة، ظروف الحياة، سيؤدي انتظارهما إلى تأخرهما. والغريب أنه ومع كل هذه الأسباب إلا أنهما لم تختلطا بالرجال، فكيف ببعض الظروف اليوم التي هي أقل من ذلك بكثير؟ لكنها العفة.

٩- من عفة المرأتين تقديمهما النفي في كلامهما، فقالتا: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾، ولم تقدما الإثبات، فلم تقولا: «سنسقي بعد قليل»، وتقديم النفي أبلغ في الجزم، وأن الأمر لا يقبل النقاش.

١٠ - من عفة المرأتين أنهما جعلتا غاية وقوفهما وعدم اختلاطهما بالرجال صدور الرعاء، وليس أن تخف الزحمة فحسب، أو يقل الرعاء.

١١- من عفة المرأتين أن التي أتت موسى - عليه الصلاة والسلام - اختصرت الكلام معه مرة ثانية، فعرفت صور الأسئلة التي يتضح أن موسى - عليه الصلاة والسلام - سيسألها إياها، فأعدت الجواب مباشرة حتى لا ينفتح الحوار للمرة الثانية.

فشيء بدهي أن موسى - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - وبعد رجوع المرأة سيسأل:

ما الذي أتى بك ؟، من أرسلك ؟، ماذا يريد ؟. فأعدت جوابًا يقطع جميع الأسئلة، فقالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فشملت هذه الجملة جواب جميع الأسئلة السابقة.

١٢- من مظاهر العفة في هذه القصة مشي إحدى المرأتين بحد ذاته فقد خلا تمامًا عن: تسكع. تبرج. تبختر. تكسر وتثني. التفات. إغراء. فجمع الله هذه الأشياء بقوله: ﴿ٱسْتِحْيَآءٍ﴾.

لفظ ﴿ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ يختلف عن لفظ " حياء " ؛ لأنه يحتوي على معنى الحياء وزيادة كما تقتضيه زيادة الألف، والسين، والتاء في لغة العرب.

١٣ـ أنه لما طلب أبوهما أن يحضر موسى – عليه الصلاة والسلام –، لم تخرجا جميعًا كما خرجتا في السقي؛ لأن الحاجة لا تستدعي ذلك، وهذا هو تقدير الضرورة بقدرها، فسبحان الله مع العفة فقه.

١٤ـ أن التي أتت موسى – عليه الصلاة والسلام – لم تنسب لنفسها الكلام، فقالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾، ولم تأت بلفظ يحتمل معان، أو فيه تعريض بنفسها.

١٥ أن جلوسهما خلف الرجال، وعدم اختلاطهما لم يكن في أوقات دون أخرى، بل ذلك عادة مستمرة لهما، ولذلك قالتا: ﴿لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ يعني هذه عادة لنا في الماضي، ونستمر عليها في المستقبل، كما يقتضيه دلالة الفعل المضارع "نَسْقِي».

١٦ـ أنهما لم يصرحا بموسى، بل أشارتا إليه كل ذلك حياء، فقالت إحداهما: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾.

ولم تقل: إنه قوي أمين فعل كذا وكذا، بل جاءت بصفات الأجير الناجح، وهو من جمع بين " القوة والأمانة». ولا عجب فمع العفة في عدم المخالطة واختصار الكلام، هناك حياء حتى في الألفاظ، والعناية بها. قيل في سبب قول المرأة عن موسى: ﴿ٱلْأَمِينُ﴾.

لأنه قال لها وهما آتيان إلى أبيها:«كوني ورائي فإذا اختلفت علي الطريق فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق» .

فأي عفة فوق هذه العفة التي تمنع حتى إرشاده إذا ضل الطريق باللسان؟، فصلى الله عليه وعلى رسولنا الكريم.

١٧ – لما كان موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع المرأتين في البداية، ثم مع إحداهما بعد ذلك كانت كلماته مختصرة جدًا، فلما التقى الرجل بالرجل، موسى بأبيهما، لم



يقتصر على جملة واحدة، أو قصة، بل ﴿ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ ﴾ .

عفة الربيع بن خثيم:

عن أبي القاسم محرز الجلاب قال: حدثني سعدان قال:«أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خثيم لعلها تفتنه، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها، فراعه أمرها فأقبلت عليه وهي سافرة، فقال لها الربيع: كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك، فغيرت ما أرى من لونك، وبهجتك؟. أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت، فقطع منك حبل الوتين؟، أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟.

فصرخت صرخة، فسقطت مغشيًا عليها، فوالله لقد أفاقت، وبلغت من عبادة ربها ما أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق[1].

الحمد لله الذي جعل فينا شبيه يوسف :

ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في روضة المحبين عن حصين بن عبد الرحمن : بلغني أن فتىً من أهل المدينة كان يشهد الصلوات كلها مع عمر بن الخطاب- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وكان عمر يتفقده إذا غاب فعشقته امرأة من أهل المدينة، فذكرَت ذلك لبعض نسائها، فقالت: أنا أحتال لك في إدخاله عليك، فقعدت له في الطريق فلما مر بها، قالت له: إني امرأة كبيرة السن ولي شاة لا أستطيع أن أحلبها، فلو دخلت فحلبتها لي وكانوا أرغب شيء في الخير، فدخل فلم ير شاة فقالت: اجلس حتى آتيك بها، فإذا المرأة قد طلعت عليه فلما رأى ذلك عمد إلى محراب في البيت فقعد فيه، فأرادته عن نفسه، فأبى وقال: اتق الله أيتها المرأة فجعلت لا تكف عنه، ولا تلتفت إلى قوله، فلما أبى عليها صاحت

(١) كتاب التوابين لابن قدامة: (ص:٢٦٣).

عليه فجاءوا، فقالت: إن هذا دخل علي يريدني عن نفسي فوثبوا عليه، وجعلوا يضربونه، وأوثقوه فلما صلى عمر الغداة فقده، فبينا هو كذلك إذ جاءوا به في وثاق، فلما رآه عمر قال: اللهم لا تخلف ظني به. قال: مالكم ؟.قالوا: استغاثت امرأة بالليل، فجئنا فوجدنا هذا الغلام عندها، فضربناه، وأوثقناه.

فقال عمر- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -: أصدقني، فأخبره بالقصة على وجهها، فقال له عمر- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - أتعرف العجوز فقال: نعم إن رايتها عرفتها، فأرسل عمر إلى نساء جيرانها وعجائزهن. فجاء بهن فعرضهن فلم يعرفها فيهن حتى مرت به العجوز. فقال: هذه يا أمير المؤمنين فرفع عمر عليها الدرة، وقال: أصدقيني، فقصت عليه القصة كما قصها الفتى، فقال عمر:«الحمد لله الذي جعل فينا شبيه يوسف» [١].



(١) روضه المحبين: (ص : ٤٦٢).



7 حفظ الأمانة وأداء الحقوق لأهلها

وأما الرجل الثالث فقد كان عمله الصالح: حفظ الأمانة، وأداء الحق لصاحبه بعد زمن طويل، والناظر في النصوص الشرعية يجد الكثير في الحث على حفظ الأمانة، وفضل أدائها لأهلها.

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (النساء:٥٨)[١].

عن زيد بن أسلم قال: نزلت هذه الآية: «﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ في ولاة الأمر» [٢].

فمن ولي أمر المسلمين، وتربع على عروشهم فليعلم أن الأمر تكليف لا تشريف، وأن المسؤولية عظيمة، والأمانة كبيرة يسأل عنها بين يدي الله تعالى يوم القيامة.

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى : (هو خطاب من الله لولاةَ أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من وَلُوا أمره في فيئهم وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم، بالعدل بينهم في القضية، والقَسْم بينهم بالسوية)[٣].

ومع تناول هذه الآية الولاة بالدرجة الأولى، فإن نصها لا يخلو من مخاطبة عامة الناس.

(١) قال القرطبي: (٥ / ١): «سُورَةُ النِّسَاء وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ إِلَّا آيَةً وَاحِدَةً نَزَلَتْ بِمَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ فِي عُثْمَانَ ابْن طَلْحَةَ الْحَجَبِيِّ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ عَلَى مَا يَأْتِي بَيَانُهُ ، وَقال (٥/ ٢٥٥): « هَذِه الآيَةُ مِنْ أُمَّهَاتِ الأَحْكَامِ تَضَمَّنَتْ جَمِيعَ الدِّينِ وَالشَّرْعِ».
(٢) تفسير الطبري ت شاكر: (٨/ ٤٩٠).
(٣) المصدر السابق: (٨ / ٤٩٢).

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى :«وَالْأَظْهَرُ فِي الْآيَةِ أَنَّهَا عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ النَّاسِ فَهِيَ تَتَنَاوَلُ الْوُلَاةَ فِيمَا إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَمَانَاتِ فِي قِسْمَةِ الْأَمْوَالِ، وَرَدِّ الظُّلَامَاتِ، وَالْعَدْلِ فِي الْحُكُومَاتِ. وَهَذَا اخْتِيَارُ الطَّبَرِيِّ. وَتَتَنَاوَلُ مَنْ دُونَهُمْ مِنَ النَّاسِ فِي حِفْظِ الْوَدَائِعِ، وَالتَّحَرُّزِ فِي الشَّهَادَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، كَالرَّجُلِ يَحْكُمُ فِي نَازِلَةٍ مَا وَنَحْوِهِ، وَالصَّلَاةُ، وَالزَّكَاةُ، وَسَائِرُ الْعِبَادَاتِ أَمَانَةُ اللهِ تَعَالَى وَرُوِيَ هَذَا الْمَعْنَى مَرْفُوعًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (**الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ يكفر الذنوب كلها**)، أو قال: (**كل شي إِلَّا الْأَمَانَةَ، وَالْأَمَانَةُ فِي الصَّلَاةِ، وَالْأَمَانَةُ فِي الصَّوْمِ، وَالْأَمَانَةُ فِي الْحَدِيثِ، وَأَشَدُّ ذَلِكَ الْوَدَائِعُ**). ذَكَرَهُ أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ فِي الْحِلْيَةِ.

وَمِمَّنْ قَالَ: إِنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي الْجَمِيعِ: الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَأُبَيُّ ابن كعب. قالوا: الأمانة في كل شي فِي الْوُضُوءِ، وَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْجَنَابَةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْكَيْلِ، وَالْوَزْنِ، وَالْوَدَائِعِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (لَمْ يُرَخِّصِ اللهُ لِمُعْسِرٍ وَلَا لِمُوسِرٍ أَنْ يُمْسِكَ الْأَمَانَةَ). قُلْتُ: وَهَذَا إِجْمَاعٌ. وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْأَمَانَاتِ مَرْدُودَةٌ إِلَى أَرْبَابِهَا الْأَبْرَارِ مِنْهُمْ وَالْفُجَّارِ، قَالَهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ»[١].

وقال رحمه الله تعالى :«فَالْآيَةُ شَامِلَةٌ بِنَظْمِهَا لِكُلِّ أَمَانَةٍ وَهِيَ أَعْدَادٌ كَثِيرَةٌ كَمَا ذَكَرْنَا. وَأُمَّهَاتُهَا فِي الْأَحْكَامِ: الْوَدِيعَةُ، وَاللُّقَطَةُ، وَالرَّهْنُ، وَالْعَارِيَةُ».

وفي ذكره تعالى لصفات المفلحين، والمؤمنين الصادقين كانت أبرز صفاتهم المباركة رعاية الأمانة، وأدائها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

(١) تفسير القرطبي: (٥/ ٢٥٦).

حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾﴾ (المؤمنون: ١ – ١٠).

واستثنى الله تعالى أهل الأمانة فيمن استثناهم من الهلع، والجزع، والمنع.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (المعارج: ١٩ – ٣٥).

ومع كل هذا يعدهم المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالجنة، والفردوس الأعلى، والكرامة العظمى، وما ذلك إلا لفضيلة هذه الخصال، وعلو شأن ماذكره تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. ولعظم هذه الصفة كانت من صفات أنبياء الله – عليهم الصلاة و السلام – حيث ذكرها الأنبياء في خطابهم لقومهم فكان قول نبي الله هود لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ (الأعراف: ٦٧).

وقال - عَزَّوَجَلَّ - عن قوم نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾ (الشعراء: ١٠٦ – ١١٠).

وفي خطاب نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام لقومه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ (الشعراء: ١٤١ - ١٤٥).

ونبي الله لوط عليه الصلاة والسلام يخبر الله عنه وعن قومه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (الشعراء: ١٦٠ - ١٦٥).

وعن أصحاب الأيكة مع نبي الله، وخطيب الأنبياء شعيب عليه الصلاة والسلام

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ (الشعراء: ١٧٥ - ١٨٠).

وقال نبي الله موسى وكليم الرحمن عليه الصلاة والسلام لقومه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ ﴾ (الدخان: ١٨ -١٩).

وقال الملكُ ليوسف عليه الصلاة والسلام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (يوسف: ٥٤).

وقالت إحدى المرأتين لأبيها واصفة نبي الله موسى – عليه الصلاة و السلام بالقوة والأمانة ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ (القصص: ٢٦).



وأما سيد الأنبياء، وإمام الأصفياء، نبينا، وحبيبنا محمد ﷺ فقد عُرف بالأمانة، وكان يُلقبُ بالصادق الأمين قبل البعثة، وقصة وضع الحجر الأَسود مشهورة حيث ألهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أحد عقلائهم وهو أبو أمية بن المغيرة المخزومي، فقال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد، فرضوا وقبلوا، فاشخصوا أبصارهم إلى باب المسجد، واشرأبت الأعناق إلى من يا ترى يكون هذا الداخل، فإذا به الأمين محمد أرسله الله تعالى ليخلص العرب من هذا الشر المستطير، فلما رأوه قالوا: «هذا الأمين رضيناه، هذا محمد!!».

ولم ينفوا عنه صفة الأمانة وهم يعادونه، كما جاء في حوار أبي سفيان وهرقل، حيث قال هرقل: «وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ»[١].

وقد شاع خبر أمانته ﷺ وتحليه بهذه الخصلة الحميدة مما جعل خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تستأجره لما اشتهر عندها من أمره، وصدقه، وأمانته، حيث كانت تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، فقبل رسول الله ﷺ وخرج في مالها، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام، ثم باع سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري ثم أقبل قافلًا إلى مكة، ومعه ميسرة، فلما قدم على خديجة بمالها باعت ما جاء به، فأضعف، وبلغها من ميسرة من سيرة محمد ﷺ بما ترتب عليه أن بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا ابن عمي إني قد رغبت فيك لقرابتك، وشرفك في قومك وأمانتك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه الزواج منها،

(١) رواه البخاري: (٧)، مسلم: (١٧٧٣). عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وكانت حينئذ أوسط نساء قريش نسبًا، وأعظمهن شرفًا، وأكثرهن مالًا، كل قومها كان حريصًا على الزواج منها لو يقدر عليه، فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكره لأعمامه، وخطبها، وتزوجها وكان صداقها عشرين بكرة[1]، وكانت أول امرأة تزوجها، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ.

ووصف الله رسوله إلى رسله،جبريل ﷺ في سورة التكوير، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ٢١** ﴾ (التكوير:١٩)، **وقَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣** ﴾ (الشعراء: ١٩٣).

فالأمانة صفة امتدح الله عَزَّوَجَلَّ بها الأنبياء، والصالحين من عباده، وفي هذا إشارة عظيمة إلى حبه تعالى لهذا الخُلق، وحب أهلها المتصفين به فاللهم اجعلنا منهم **وقَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٢٨٣** ﴾ (البقرة: ٢٨٣) .

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى :«وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: إِذَا ائْتَمَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلَا بَأْسَ أَلَّا تَكْتُبُوا أَوْ لَا تُشهدوا».

وَقَوْلُهُ: ﴿ **وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ** ﴾ يُعْنَى: المؤتَمن، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السُّنَنِ، مِنْ رِوَايَةِ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلمَ قَالَ:« **عَلَى الْيَدِ مَا أَخَذَتْ حَتَّى تُؤَدِّيَهُ**[2] »[3] .

---

(١) قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْبَكْرُ مِنَ الْإِبِلِ الْفَتَى وَالْخِيَارُ الْمُخْتَارُ الْجَيِّدُ. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: (٤ / ٥٨).

(٢) أخرجه أبو داود: (٣٥٦١)، والترمذي: (١/ ٢٣٩)، وابن ماجه: (٢٤٠٠)، وهو ضعيف انظر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: (٥ / ٣٤٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم: (١/ ٧٢٨).



وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الأنفال: ٢٧).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عقب ذكره أقوال أهل العلم في سبب نزول الآية: «قُلْتُ: وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ، وَإِنْ صَحَّ أَنَّهَا وَرَدَتْ عَلَى سَبَبٍ خَاصٍّ، فَالْأَخْذُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ عِنْدَ الْجَمَاهِيرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ. وَالْخِيَانَةُ تَعُمُّ الذُّنُوبَ الصِّغَارَ وَالْكِبَارَ اللَّازِمَةَ وَالْمُتَعَدِّيَةَ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ ﴾ الْأَمَانَةُ الْأَعْمَالُ الَّتِي ائْتَمَنَ اللهُ عَلَيْهَا الْعِبَادَ -يَعْنِي الْفَرِيضَةَ يَقُولُ: لَا تَخُونُوا: لَا تَنْقُضُوهَا.

وَقَالَ فِي رِوَايَةٍ: ﴿ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ يَقُولُ: بِتَرْكِ سُنَّتِهِ، وَارْتِكَابِ مَعْصِيَتِهِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَيْ: لَا تُظْهِرُوا للهِ مِنَ الْحَقِّ مَا يَرْضَى بِهِ مِنْكُمْ، ثُمَّ تُخَالِفُوهُ فِي السِّرِّ إِلَى غَيْرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هَلَاكٌ لِأَمَانَاتِكُمْ، وَخِيَانَةٌ لِأَنْفُسِكُمْ.

وَقَالَ السُّدِّيّ: إِذَا خَانُوا اللهَ وَالرَّسُولَ، فَقَدْ خَانُوا أَمَانَاتِهِمْ.

وَقَالَ أَيْضًا: كَانُوا يَسْمَعُونَ مِنَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْحَدِيثَ فَيُفْشُونَهُ حَتَّى يَبْلُغَ الْمُشْرِكِينَ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: نَهَاكُمْ أَنْ تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ، كَمَا صَنَعَ الْمُنَافِقُونَ »[١].

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في تعظيم شأن الأمانة: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا

---

(١) تفسير القرآن العظيم: (٢/ ٣١٣).

جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (الأحزاب: ٧٢).

ومما جاء عن الإمام عبد الرزاق الصنعاني [١] - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: قال عَنْ معْمر، عَن الْحَسَن، وَقَتَادَةَ في قَوْله تَعَالَى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ إِلَى آخر السُّورَة، قَالَ: «هِيَ فَرَائِضُ اللهِ الَّتي عَرَضَ عَلَى السَّمَوَاتِ، وَالأَرْضِ، وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا».

* وعَن الثَّوْرِيِّ، عَنْ غَيْر وَاحد عَن الضَّحَّاك بْن مُزَاحِم، في قَوْله تَعَالَى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ قَالَ: هِيَ الْفَرَائِضُ، قَالَ: وَقَوْلُهُ: ﴿ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾ قَالَ: فَلَمْ يَسْتَطِعْنَهَا، قَالَ: فَقيلَ لآدَمَ هَلْ أَنْتَ آخذُهَا بِمَا فيهَا، قَالَ: وَمَا فِيهَا؟ قَالَ: «إِنْ أَحْسَنْتَ أُجِرْتَ وَإِنْ أَسَأْتَ جُوزِيتَ، قَالَ فَحَمَلَهَا».

* و عَن الثَّوْرِيِّ، عَن الأَعْمَش، عَنْ مُسْلم أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: «مِنَ الأَمَانَةِ أَنَّ الْمَرْأَةَ ائْتُمِنَتْ عَلَى فَرْجِهَا» [٢].

فالأمانة لعظيم شأنها، وكبير أمرها أشفقت، وخافت السماوات السبع الطباق أن تحملها وتتحملها، وأشفقت الأرضين السبع الشداد التي شُدّت بالأوتاد أن تتحملها وتحملها، وكذلك الجبال الشُّم الشوامخ الصلاب.

وذلك مهابة ورهبة من الجبّار جل وعلا ؛ لأن تضييعها تضييع لحقٍ من أعظمِ الحقوق، وتفويتها تفويت لمصالح كثيرة ترتبط بها.

---

(١) أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، مولى حمير؛ قال أبو سعد ابن السمعاني: (قيل ما رحل الناس إلى أحد بعد رسول الله ﷺ مثل ما رحلوا إليه). انظر وفيات الأعيان: (٣ / ٢١٦) لابن خلكان.

(٢) تفسير عبد الرزاق الصنعاني (٣/ ٥٤).

فكما رتّب الله جل وعلا الأجر العظيم لمن قام بالأمانة، وحفظها كذلك جعل العقاب الشديد لمن فرّط فيها، وخان ما اؤتمن عليه. فقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾(الأنفال: ٥٨).

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (يوسف: ٥٢) وخيانة الأمانة من صفات المنافقين، وأخلاق الأرذلين، فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَن النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -قَالَ:«**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ** »[١].

ومما جاء من الوعيد في خيانة الأمانة ما ثبت عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ:«**الْقَتْلُ في سَبيلِ الله يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا إِلَّا الأَمَانَةَ، قَالَ: يُؤْتَى بِالْعَبْد يَوْمَ الْقِيَامَة، وَإِنْ قُتلَ في سَبيلِ الله فَيُقَالُ: أَدِّ أَمَانَتَكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ ذَهَبَت الدُّنْيَا؟** قَالَ: **فَيُقَالُ: انْطَلقُوا به إِلَى الْهَاوِيَة، فَيُنْطَلَقُ به إِلَى الْهَاوِيَة، وَيُمَثَّلُ لَهُ أَمَانَتُهُ كَهَيْئَتهَا يَوْمَ دُفعَتْ إِلَيْه، فَيَرَاهَا فَيَعْرفهَا فَيَهْوي في أَثَرِهَا حَتَّى يُدْركَهَا، فَيَحْملهَا عَلَى مَنْكبَيْه حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ خَارِجٌ زَلَّتْ عَنْ مَنْكبَيْه، فَهُوَ يَهْوي في أَثَرِهَا أَبَدَ الآبدينَ، ثُمَّ قَالَ: الصَّلاةُ أَمَانَةٌ، وَالْوُضُوءُ أَمَانَةٌ، وَالْوَزْنُ أَمَانَةٌ، وَالْكَيْلُ أَمَانَةٌ، وَأَشْيَاءُ عَدَّدَهَا، وَأَعْظَمُ ذَلكَ الْوَدائعُ**»، فَأَتَيْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازب فَقُلْتُ: أَلا تَرَى إِلَى مَا قَالَ ابْنُ مَسْعُود؟ قَالَ: كَذَا " قَالَ، كَذَا قَالَ، صَدَقَ أَمَا سَمعْتَ يَقُولُ اللهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾(النساء: ٥٨)».[٢]

ولفظاعة شأن الغدر، وخيانة الأمانة، والتفريط فيها تكون الفضيحة والعياذ بالله على مشهد الخلائق، ومرأى الجميع يوم القيامة فعن ابْن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ:«**إِنَّ الْغَادرَ يُرْفَعُ لَهُ**

(١) رواه البخاري: (٣٣)، ومسلم: (٥٩).
(٢) رواه البيهقي في الشعب: (٤٨٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم:(٢٩٩٥).

لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ [(١)] » [(٢)].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: اللِّوَاءُ الرَّايَةُ الْعَظِيمَةُ لَا يَمْسكُهَا إِلَّا صَاحِبُ جَيْشِ الْحَرْبِ، أَوْ صَاحِبُ دَعْوَةِ الْجَيْشِ، وَيَكُونُ النَّاسُ تَبَعًا لَهُ. قَالُوا: فَمَعْنَى لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ أَيْ: عَلَامَةٌ يُشْهَرُ بِهَا فِي النَّاسِ لِأَنَّ مَوْضُوعَ اللِّوَاءِ الشُّهْرَةُ مَكَانَ الرَّئِيسِ عَلَامَةً لَهُ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَنْصِبُ الْأَلْوِيَةَ فِي الْأَسْوَاقِ الْحَفِلَةِ لِغَدْرَةِ الْغَادِرِ لِتَشْهِيرِهِ بِذَلِكَ، وَأَمَّا الْغَادِرُ فهو الَّذِي يُوَاعِدُ عَلَى أَمْرٍ وَلَا يَفِي بِهِ يُقَالُ غَدَرَ يَغْدِرُ بِكَسْرِ » [(٣)].

ولقد جعل الرسول ﷺ الأمانة دليلًا على إيمان المرء وحسن خلقه، فعَنْ أَنَس بْنِ مَالِك - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلاَّ قَالَ: « **لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ** » [(٤)].

وخير لك من الدنيا، ومتاعها الخادع أن تتحلى بأربع ومنها الأمانة، فعَنْ عَبْد اللهِ بْن عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ، فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ** » [(٥)].

ويأتي زمان تضيع فيه الأمانة، ويندر أهلها كما جاء عَنْ زَيْد بْن وَهْب، حَدَّثَنَا حُذَيْفَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى الفتح (١٠/ ٥٦٣): «فَتَضَمَّنَ الْحَدِيثُ أَنَّهُ يُنْسَبُ إِلَى أَبِيه فِي الْمَوْقِفِ الْأَعْظَم... وَقَالَ ابن بَطَّال فِي هَذَا الْحَدِيث رَدٌّ لِقَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ لَا يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَة إِلَّا بِأُمَّهَاتِهِمْ سَتْرًا عَلَى آبَائِهِمْ. قُلْتُ: هُوَ حَدِيثٌ أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيّ من حديث ابن عَبَّاس وَسَنَده ضَعِيف جِدًا، وَأخرج ابن عَدِيٍّ مِنْ حَدِيث أَنَسٍ مِثْلَهُ وَقَالَ: مُنْكَرٌ أَوْرَدَهُ فِي تَرْجَمَة إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم الطَّبَرِيِّ "

(٢) رواه البخاري: (٦١٧٧)، ومسلم: (١٧٣٥).

(٣) شرح النووي على مسلم: (١٢ / ٤٣).

(٤) أخرجه أحمد: (١٣٦٣٧)، وصححه الألباني انظر حديث رقم: (٧١٧٩) في صحيح الجامع.

(٥) رواه أحمد: (٢ / ١٧٧)، وأخرجه الخرائطي في " مكارم الأخلاق ": (ص ٦، ٢٧، ٥٢)، والحاكم: (٤ / ٣١٤)، وعنه البيهقي في " الشعب ": (٢ / ١٠٤ / ١). انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٢ / ٣٦١).

وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ: حَدَّثَنَا: «أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ" وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: «**يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ، فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الإِسْلَامُ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا اليَوْمَ: فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا**» [١].

قال ابن بطال رحمه الله تعالى: «هذا الحديث من أعلام النبوة؛ لأن فيه الإخبار عن فساد أديان الناس، وقلة أمانتهم في آخر الزمان، ولا سبيل إلى معرفة ذلك قبل كونه إلا من طريق الوحي، وهذا كقوله: (**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**)» [٢].

وقد أوصى النبي ﷺ بالأمانة مع الخائن، وعدم معاملته بالمثل فعن أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «**أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**» [٣].

ومما حدثنا به النبي ﷺ من أخبار السابقين، وحفظهم للأمانات ما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: «**اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الآخَرُ لِي جَارِيَةٌ،**

---

(١) رواه البخاري: (٦٤٩٧)، ومسلم: (١٤٣).
(٢) شرح صحيح البخارى: (١٠ / ٣٨). وقوله: (في جذر قلوب الرجال) الجذر: الأصل، (الوكت): سواد اللّون، و(المجل): أثر العمل باليد يعالج به الإنسان الشيء حتى تغلظ جلودها.
(٣) رواه أبوداود: (٣٥٣٥)، والترمذي: (١٢٦٤)، وصححه الألباني في الصحيحة: (٤٢٣).

قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ، وَتَصَدَّقَا» (١).

ومن تهاون بحقوق الناس في الدنيا، وضيعها ولم يعطها لأهلها فالحساب يوم القيامة، والحقوق هناك لا تضيع، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ: **«لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ"** (٢).

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «هذا وهي بهائم لا يعقلن ولا يفهمن؛ لكن الله عزّ وجلّ حكم عدل، أراد أن يُري عباده كمال عدله حتى في البهائم العجم، فكيف ببني آدم ». (٣)

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «هَذَا تَصْرِيحٌ بِحَشْرِ الْبَهَائِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِعَادَتِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا يُعَادُ أَهْلُ التَّكْلِيفِ مِنَ الْآدَمِيِّينَ وَكَمَا يُعَادُ الْأَطْفَالُ، وَالْمَجَانِينُ وَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ دَعْوَةٌ وَعَلَى هَذَا تَظَاهَرَتْ دَلَائِلُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ ﴾ .

وَإِذَا وَرَدَ لَفْظُ الشَّرْعِ، وَلَمْ يَمْنَعْ مِنْ إِجْرَائِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ عَقْلٌ وَلَا شَرْعٌ وَجَبَ حَمْلُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْحَشْرِ وَالْإِعَادَةِ فِي الْقِيَامَةِ الْمُجَازَاةُ، وَالْعِقَابُ، وَالثَّوَابُ.

وَأَمَّا الْقِصَاصُ مِنَ الْقَرْنَاءِ لِلْجَلْحَاءِ فَلَيْسَ هُوَ مِنْ قِصَاصِ التكليف إذ لا تَكْلِيفَ عَلَيْهَا بَلْ هُوَ قِصَاصُ مُقَابَلَةٍ، وَالْجَلْحَاءُ بِالْمَدِّ هِيَ: الْجَمَّاءُ الَّتِي لَا قَرْنَ لَهَا وَاللهُ أَعْلَمُ " (٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-أَنَّ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: **«أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ،**

---

(١) رواه البخاري: (٣٤٧٢)، ومسلم: (١٧٢١).
(٢) رواه مسلم: (٢٥٨٢).
(٣) شرح رياض الصالحين: (٢ / ٤٨٨).
(٤) شرح النووي على مسلم (١٦ / ١٣٦).

فَقَالَ:« إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» (١).

الغسل من الجنابة أمانة.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:**«خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ: مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، عَلَى وُضُوئِهِنَّ، وَرُكُوعِهِنَّ، وَسُجُودِهِنَّ، وَمَوَاقِيتِهِنَّ، وَأَعْطَى الزَّكَاةَ مِنْ مَالِهِ طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا»**، وَكَانَ يَقُولُ:« **وَايْمُ اللهِ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَصَامَ رَمَضَانَ، وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ"** قَالُوا: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ وَمَا الْأَمَانَةُ؟ **قَالَ: الْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَأْمَنِ ابْنَ آدَمَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ غَيْرَهُ »** (٢).

وَعَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي وَهْبٌ الدِّينَارِيُّ، قَالَ: فِي الزَّبُورِ مَكْتُوبٌ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ:« مَنِ اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ فَهُوَ عَبْدِي حَقًّا، وَمَنْ لَمْ يَغْتَسِلْ مِنَ الْجَنَابَةِ فَهُوَ عَدُوِّي حَقًّا » (٣).

ومما يحكيه العلامة الألباني حافظ العصر رحمه الله تعالى من أحوال بعض المسلمين مع أمانة الغسل من الجنابة أن قال:« فقد سألني أحدهم هاتفيًا عن امرأة تزوجها، وكانت تصلي دون أن تغتسل من الجماع!.

وقريبًا سألني إمام مسجد ينظر إلى نفسه أنه على شيء من العلم يسوغ له أن يخالف العلماء! سألني عن ابنه أنه كان يصلي جنبًا بعد أن بلغ مبلغ الرجال واحتلم؛ لأنه كان لا يعلم وجوب الغسل من الجنابة » (٤).

(١) رواه مسلم: (٢٥٨١).
(٢) رواه أبوداود: (٤٢٩)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٣٦٩).
(٣) تفسير عبد الرزاق الصنعاني: (٣/ ٥٥).
(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٧/ ١٤٥).



8 الصلاة على النبي -صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

عن أُبي بن كعب- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: «كَانَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللهَ، جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ**».

قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي ؟.

فَقَالَ: (مَا شِئْتَ }.

قَالَ قُلْتُ: الرُّبُعَ ؟.

قَالَ: (مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ }.

قُلْتُ: النِّصْفَ ؟.

قَالَ: (مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ }.

قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ ؟.

قَالَ: (مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ }.

قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا ؟.

قَالَ: (إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ }.[١].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ

(١) رواه الترمذي: (٢٤٥٧)، وصححه الألباني في: (١٦٧٠).



عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى :«قال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة، صلاة الملائكة الدعاء».

قال الحافظ أبو الفداء ابن كثير رحمه الله تعالى :«والمقصود من هذه الآية أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر عباده بمنزلة عبده، ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين: العلوي والسفلي جميعًا » [١].

ومن إكرام المولى عَزَّوَجَلَّ للنبي ﷺ ماصح:« أن كعبًا دخل على عائشة فذكروا رسول الله ﷺ فقال كعب: ما من فجر يطلع إلا وينزل سبعون ألفًا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم، ويصلون على النبي ﷺ حتى إذا أمسوا عرجوا، وهبط سبعون ألفًا حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم فيصلون على النبي ﷺ سبعون ألفًا بالليل،وسبعون ألفًا بالنهار، حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفًا من الملائكة يزفونه». [٢]

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾(الشرح:٤)، يقول مجاهد: لا أذكر إلا ذكرت أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله. [٣]

* وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَقُولُ:«**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**»[٤].

* وَعَن أَبِي طَلْحَة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

(١) تفسير القرآن العظيم: (٣/ ٥١٤).
(٢) رواه الإمام إسماعيل بن إسحاق الجهضي القاضي المالكي فضل الصلاة على النبي ﷺ. تحقيق العلامة محمد ناصر الدين الألباني ص: ٨٣.وقال: (إسناده صحيح).
(٣) صحيح. انظر المصدر السابق.
(٤) رواه مسلم: (٣٨٤).

جاءَ ذَاتَ يَوْم وَالْبِشْرُ فِي وَجْهِه فَقَالَ:«**إِنَّهُ جَاءَنِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ أَمَا يُرْضِيكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ لا يُصَلِّيَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا؟**».[(١)]

* وعن أَنَسُ بْنُ مَالك – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:«**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ**»[(٢)].

وسجد النبي ﷺ شكرًا لربه على ما حباه تعالى من الأجر لمن يصلي عليه عليه الصلاة والسلام فعن سَعْد بن إبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيه، عَنْ جَدِّه عَبْد الرَّحْمَنِ ابْن عَوْف، قَالَ: كَانَ لاَ يُفَارِقُ النَّبِيَّ ﷺ ، أَوْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ خَمْسَةٌ، أَوْ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَصْحَابه، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْم، فَاتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ حَائطًا مِنْ حيطَان الأَسْوَاقِ، فَصَلَّى، فَسَجَدَ، فَأَطَالَ السُّجُودَ، فَقُلْتُ: قَبَضَ اللهُ رَوْحَ رَسُوله ﷺ ، لاَ أَرَاهُ أَبَدًا، فَحَزِنْتُ وَبَكَيْتُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَرَآني فَدَعَاني، فَقَالَ: مَا الَّذي بكَ، أَوْ مَا الَّذي أَرَابَكَ ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَطَلْتَ السُّجُودَ، فَقُلْتُ: قَدْ قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ لاَ أَرَاهُ أَبَدًا فَحَزِنْتُ وَبَكَيْتُ، قَالَ: سَجَدْتُ هَذه السَّجْدَةَ شُكْرًا لرَبِّي فِيمَا أَبْلاني في أُمَّتِي ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ منْهُمْ صَلاةً كُتبَتْ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ.[(٣)]

وأعظم الناس بخلًا من بخل بالصلاة على النبي ﷺ :

فعن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله–ﷺ –:«**بحسب امرئ في البخل أن أذكر عنده فلا يصلي علي** »[(٤)].

وعن أبي ذر– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قال: خرجت ذات يوم، فأتيت رسول الله ﷺ **قال:**

---

(١) رواه النسائي: (١٢٩٥)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح:(٩٢٨).
(٢) رواه النسائي: (١٢٩٧)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح:(٩٢٢).
(٣) مسند البزار: (١/ ١٨٣).وصححه الألباني في تحقيق كتاب "فضل الصلاة على النبي ": (١ / ٢٦).
(٤)رواه الإمام إسماعيل بن إسحاق القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ ، وقال العلامة محمد ناصر الدين الألباني ص: ٤٢. وقال: (صحيح).



ألا أخبركم بأبخل الناس؟ .

قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**من ذكرت عنده فلم يصل علي، فذلك أبخل الناس**». [(١)]

وعَنْ عَبْد الله بن عَلِيِّ بن الْحُسَيْن، عَنْ أَبيه، عَنْ جَدِّه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**». [(٢)]

وقد دعا جبريل عليه الصلاة والسلام على من ذكر عنده رسول الله ولم يصل عليه، وأمن خير الورى ﷺ على ذلك.

فعن أبي هريرة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ: «**رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة. قال عبد الرحمن: وأظنه قال أو أحدهما**» [(٣)].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «قال أهل اللغة: معناه ذل، وقيل كره وخزي وهو بفتح الغين وكسرها، وهو الرغم بضم الراء وفتحها وكسرها وأصله لصق أنفه بالرغام، وهو تراب مختلط برمل، وقيل الرغم كل ما أصاب الأنف مما يؤذيه». [(٤)]

والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ طريق إلى الجنة، ومن تركها فقد خطئ أبواب الجنة كما دل على ذلك ما ثبت عنه، عَن أَبِي جَعْفَر مُحَمَّد بن عَلِيِّ ابن حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ حُسَيْنِ بن عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى الله

(١) قال العلامة الألباني رحمه الله (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٨٤): «(صحيح لغيره). رواه ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة من طريق علي بن يزيد عن القاسم».
(٢) رواه الترمذي: (٣٥٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (١٦٨٣).
(٣) رواه الترمذي: (٣٥٤٥)، والحاكم: (١ / ٥٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (١٦٨٠).
(٤) شرح مسلم: (١٦/ ١٠٩).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :«مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَخَطِئَ الصَّلاةَ عَلَيَّ، خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ».[١]

والصلاة عليه عليه الصلاة والسلام سبب في نيل شفاعته في يوم الكرب الأعظم، والخطب الأفظع.

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله - ﷺ -:«**من صلى علي، أو سأل لي الوسيلة حقت عليه شفاعتي يوم القيامة** »[٢].

وعن أبي الدرداء- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال:« من صلى عليَّ حين يصبح عشرًا، وحين يمسي عشرًا، أدركته شفاعتي يوم القيامة».[٣]

ولعظيم أجر الصلاة على نبي الله يتحسر التاركون للصلاة عليه يوم القيامة سواء من الصالحين، أو غيرهم، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:«**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلسًا لَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ رَبَّهُمْ، وَيُصَلُّوا فيه عَلَى نَبِيِّهِمْ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ شَاءَ آخَذَهُمْ بِهِ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُمْ** »[٤].

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «**مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ** »[٥] .

---

(١) واه الطبراني في الكبير: (٣ / ٢١٠)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة: (٢٣٣٧).

(٢) رواه الإمام إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ ، وقال العلامة محمد ناصر الدين الألباني ص: ٤٩. وقال: (صحيح).

(٣) رواه الطبراني في الكبير، وهو من الأحاديث التي تراجع عن تصحيحها العلامة الألباني، فصححه في صحيح الجامع: (٦٣٥٧). ثم ضعفه في ضعيف الترغيب: (٣٩٦)، والضعيفة: (٥٧٨٨).

(٤) رواه أحمد في مسنده: (٢/ ٤٨٤)، وصححه الألباني في " فضل الصلاة على النبي ﷺ " ص: (٥١).

(٥) رواه أحمد في مسنده: (٢/ ٤٦٣). و ابن حبان في " صحيحه ": (٢٣٢٢ - موارد)، و الحاكم: (١ / ٤٩٢)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٧٦).



ومن إكرام الله تعالى لنبيه ﷺ أن خص ملائكة معينين يبلغونه عن أمته السلام، فعن عبد الله بْن مَسْعُود- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - -:«**إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلامَ**».(١)

بل إنه أكثر من ذلك، يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الحسن الذي رواه الطبراني عن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ قال:«**إن لله تعالى ملكا أعطاه سمع العباد فليس من أحد يصلي علي إلا أبلغنيها، و إني سألت ربي أن لا يصلي علي عبد صلاة إلا صلى عليه عشر أمثالها**».(٢)

وعن أبي بكر الصديق- رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال:«أكثروا الصلاة علي، فإن الله وكل بي ملكًا عند قبري، فإذا صل علي رجل من أمتي قال لي ذلك الملك: يا محمد إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة »(٣).

ولقد بلغ من فضل الله علينا أنه جعل صلاتنا على رسوله ﷺ تبلغ الرسول ﷺ أينما كان المصلي عليه في أي مكان من أقطار الأرض، فعن أبي هريرة رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:« **لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**».

وعلى العبد أن يكثر من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ لينال صلاة الملائكة فعَنْ عَاصِم بْنِ عُبَيْدِ الله قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ عَامِر بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ أَبِيه عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - قَالَ:«**مَا مِنْ مُسْلِم يُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ** »(٤).

---

(١) أخرجه النسائي: (١ / ١٨٩)، و ابن حبان: (١٣٩٢)، و الحاكم: (٢ / ٤٢١)، و الدارمي: (٢ / ٣١٧)، و أحمد: (١ / ٤٤١ و ٤٥٢). انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٢٨٥٣).

(٢) رواه الطبراني وحسنه الألباني انظر حديث رقم: (٢١٧٦) في صحيح الجامع.

(٣) رواه الديلمي: (١ / ١ / ٣١). انظر السلسلة الصحيحة رقم: (١٥٣٠).

(٤) رواه ابن ماجهْ: (٩٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع:(٥٧٤٤).

المواطن التي يشرع فيها الصلاة على النبي - ﷺ - :

الصلاة على النبي - ﷺ - في التشهد الأخير من الصلاة :

وهي الصلاة الإبراهيمية المعروفة:«اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد»، ولهذه الصلاة صيغ كثيرة فمنها:

عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، فَقَالَ: أَلاَ أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَأَهْدِهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ الصَّلاَةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ:«**قُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ** »[(١)].

عن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:«**قُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ** »[(٢)].

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ

---

(١) رواه البخاري: (٣٣٧٠)، ومسلم: (٤٠٦).
(٢) رواه البخاري: (٣٣٦٩)، ومسلم: (٤٠٧).



الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:«**قُولُوا اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ** »[1].

وهناك صيغ أخرى، فإذا أتى بأي نوع منها فيما صح عن النبي ﷺ صحت صلاته.

« وأما التشهد الأول، فلا تجب الصلاة على النبي -ﷺ- قولًا واحدًا ولكن تستحب على الصحيح، يصلي على النبي - ﷺ - في التشهد الأول ثم يقوم، فإن لم يفعل فلا حرج عليه، إنما الخلاف في التشهد الأخير، هل تجب الصلاة فيه على النبي -ﷺ- ؟، وهل هي ركن أم فرض أم سنة؟ هذا محل خلاف بين أهل العلم، وتقدم أنه ينبغي الإتيان بها في التشهد الأخير خروجًا من خلاف العلماء، وعملًا بالأحاديث التي فيها ترغيب النبي- ﷺ - للأمة أن يصلوا عليه -عليه الصلاة والسلام - »[2].

الصلاة على النبي - ﷺ - في صلاة الجنازة :

لحديث أبي أمامة أنه أخبره رجل من أصحاب النبي ﷺ :«أن السُّنَّة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرًا في نفسه، ثم يصلي على النبي ﷺ ، ويخلص الدعاء للجنازة في التكبيرات الثلاث، لا يقرأ في شيء منهم، ثم يسلم سرًا في نفسه حين ينصرف عن يمينه، والسُّنَّة أن يفعل من وراءه مثلما فعل إمامه »[3].

قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى:«وأما صيغة الصلاة على النبيﷺ في

---

(١) رواه مسلم: (٤٠٥). قِالِ الإمام النووي: شرحِ النووي علىِ مسلمِ (٤ / ١٢٥):«(وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ) مَعْنَاهُ: قَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيَّ، فَأَمَّا الصَّلَاةُ فَهَذِهِ صِفَتُهَا، وَأَمَّا السَّلَامُ فَكَمَا عَلِمْتُمْ فِي التَّشَهُّدِ وَهُوَ قَوْلُهُمْ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهُ وَبَرَكَاتُهُ».
(٢) من فتاوى" نورعلى الدرب" للعلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله نقلًا عن الموقع الرسمي لفضيلته.
(٣) أخرجه الشافعي في " الأم ": (١ / ٢٣٩ - ٢٤٠)، ومن طريقه البيهقي:(٤ / ٣٩)، وابن الجارود: (٢٦٥).

الجنازة فلم أقف عليها في شيء من الأحاديث الصحيحة، فالظاهر أن الجنازة ليس لها صيغة خاصة، بل يؤتى فيها بصيغة من الصيغ الثابتة في التشهد في المكتوبة "[١].

الصلاة على النبي ـ ﷺ ـ بعد إجابة المؤذن :

عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو بْن الْعَاص - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -يَقُولُ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْه بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّة، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْد مِنْ عِبَادِ الله، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»[٢].

الصلاة على النبي ـ ﷺ ـ عند الدعاء :

ومن المواطن كذلك: الصلاة عليه ﷺ عند الدعاء، فعن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْد، يَقُولُ: سَمِعَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِه فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - ـ:«**عَجِلَ هَذَا**»، **ثُمَّ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِه**:«**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْميد الله وَالثَّنَاء عَلَيْهِ، ثُمَّ لْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ثُمَّ لْيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ** »[٣].

بل إن الصلاة على النبي -ﷺ- قبل الدعاء؛ سبب لاستجابة الدعاء. فعن علي بن أبي طالب- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال:«**كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي ﷺ** »[٤].

---

(١) أحكام الجنائز: (ص: ١٢٢).
(٢) رواه مسلم: (٣٨٤).
(٣) رواه أبو داود: (١٤٨١)، والترمذي: (٣٤٧٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود: (١٣٣١).
(٤) رواه ابن مخلد في " المنتقى من أحاديثه ": (٧٦ / ١)، والأصبهاني في " الترغيب ": (ق ١٧١ / ٢) عن سلام بن سليمان حدثنا قيس عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي مرفوعًا، والطبراني في " الأوسط ": (٤ / ٤٤٨ - مصورة الجامعة الإسلامية)، عن علي موقوفًا . انظر السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني رحمه الله تعالى : (٢٠٣٥).



قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :«وَالصَّلَاة على النَّبِي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- للدُّعَاء بِمَنْزِلَة الْفَاتِحَة من الصَّلَاة، وَهَذِه المواطن الَّتِي تقدّمت كلهَا شرعت الصَّلَاة على النَّبِي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- فِيهَا أمام الدُّعَاء، فمفتاح الدُّعَاء الصَّلَاة على النَّبِي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- كَمَا أَن مِفْتَاح الصَّلَاة الطّهُور فصلى الله عَلَيْهِ وعَلى آله وَسلم تَسْلِيمًا.

وَقَالَ أَحْمد بن أبي الْحوَارِي: سَمِعت أَبَا سُلَيْمَان الدَّارَانِي يَقُول: من أَرَادَ أَن يسْأَل الله حَاجته فليبدأ بِالصَّلَاة على النَّبِي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وليسأل حَاجته، وليختم بِالصَّلَاةِ على النَّبِي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- فَإِن الصَّلَاة على النَّبِي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- مَقْبُولَة وَالله أكْرم أَن يرد مَا بَينهمَا ».[(١)]

الصلاة على النبي - ﷺ - عند دخول المسجد والخروج منه:

عَنْ عَبْد الْمَلِك بْن سَعِيد بْن سُوَيْد، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حُمَيْد، أَوْ أَبَا أُسَيْد الْأَنْصَارِيَّ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:«**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، فَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ** »[(٢)]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:«**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَلْيَقُلْ: اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَلْيَقُلْ: اللهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** »[(٣)].

---

(١) جلاء الأفهام: (ص: ٣٧٧).

(٢) أخرجه أبوداود: (٤٦٥)، وابن ماجة: (٧٧٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود: (٤٨٤)، والحديث في مسلم: (٧١٣) دون ذكر التسليم بلفظ:«إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ».

(٣) أخرجه ابن ماجه: (١ / ٢٦٠)، والحاكم: (١ / ٢٠٧)، وعنه البيهقي: (٢ / ٤٤٢)، وابن السني: (ص ٣١ رقم ٨٤). انظر كتاب "الثمر المستطاب " للألباني:(١/ ٦٠).

قال السندي:«وإنما شرع السلام على رسول الله ﷺ عند دخول المصلي المسجد وعند خروجه لأنه السبب في دخوله المسجد، ووصول الخير العظيم، فينبغي أن يذكره بالخير.

وتخصيص الرحمة بالدخول والفضل بالخروج لأن الدخول وضع لتحصيل الرحمة والمغفرة، وخارج المسجد هو محل طلب الرزق وهو المراد بالفضل»[١].

قال الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى:«وواجب على من دخل المسجد أن يقول: اللهم افتح لي أبواب رحمتك فإذا خرج منه فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك. وهذا إنما هو من شروط دخول المسجد متى دخله لا من شروط الصلاة فصلاة من لم يقل ذلك جائزة وقد عصى في تركه قوله ما أمر به»[٢].

الصلاة على النبي - ﷺ - عند اجتماع القوم وقبل تفرقهم :

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:«**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا فيهِ رَبَّهُمْ، وَيُصَلُّوا فيهِ عَلَى نَبِيِّهِمْ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ شَاءَ آخَذَهُمْ بِهِ ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُمْ** »[٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:«**مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ** »[٤]

قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى :«لقد دل هذا الحديث الشريف وما في معناه على وجوب ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكذا الصلاة على النبي ﷺ في كل مجلس، ودلالة الحديث على ذلك من وجوه:

---

(١) نقلًا عن كتاب " الثمر المستطاب " للعلامة الألباني رحمه الله تعالى : (١/ ٦١٢).
(٢) المحلى: (٤ / ٦٠).
(٣) رواه أحمد في مسنده: (٢/ ٤٨٤)، وصححه الألباني في" فضل الصلاة على النبيﷺ"ص: ٥١.
(٤) رواه أحمد في مسنده: (٢/ ٤٦٣). و ابن حبان في " صحيحه ": (٢٣٢٢ - موارد)، و الحاكم: (١ / ٤٩٢) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٧٦).



أولًا - قوله:«فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم»، فإن هذا لا يقال إلا فيما كان فعله واجبا وتركه معصية.

ثانيًا - قوله:«وإن دخلوا الجنة للثواب».

فإنه ظاهر في كون تارك الذكر، والصلاة عليه ﷺ، يستحق دخول النار، وإن كان مصيره إلى الجنة ثوابًا على إيمانه.

ثالثًا: قوله:«وإلا قاموا على مثل جيفة حمار».

فإن هذا التشبيه يقتضي تقبيح عملهم كل التقبيح، وما يكون ذلك - إن شاء الله تعالى - إلا فيما هو حرام ظاهر التحريم. والله أعلم.

فعلى كل مسلم أن يتنبه لذلك، ولا يغفل عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، والصلاة على نبيه ﷺ، في كل مجلس يقعده، وإلا كان عليه ترة، وحسرة يوم القيامة.[1]

استحباب كثرة الصلاة على النبي - ﷺ - في يوم الجمعة ، وفي ليلته:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:«**أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَة فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ وَإِنَّ أحدًا لن يُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا» قَالَ: قُلْتُ: وَبَعْدَ الْمَوْت؟ قَالَ:«إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ فَنَبِيُّ اللهِ حَيٌّ يُرْزَقُ**»[2].

وعن أنس بن مالك- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :«**أكثروا الصلاة عَلي يوم الجمعة وليلة الجمعة، فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا**» [3].

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١ / ١٦٢).

(٢) رواه ابن ماجهْ: (١٦٣٧)، وصححه الألباني في تحقيق المشكاة: (١٣٦٦).

(٣) أخرجه البيهقي في " سُننه " (٣ / ٢٤٩). انظر السلسلة الصحيحة: (١٤٠٧).

الصلاة على النبي - ﷺ - من أذكار الصباح والمساء :

عن أبي الدرداء- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النبي ﷺ قال:« من صلى عليَّ حين يصبح عشرًا، وحين يمسي عشرًا، أدركته شفاعتي يوم القيامة » (١).

الصلاة على النبي - ﷺ - على الصفا والمروة:

ومن المواطن كذلك: الصلاة عليه فوق الصفا والمروة؛ عن عمر بن الخطاب- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يقول:«إذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعًا، وصلوا عند المقام ركعتين، ثم أتوا الصفا، فقوموا من حيث ترون البيت، فكبروا سبع تكبيرات بين كل تكبيرتين حمد لله، وثناء عليه، وصلاة على النبي ﷺ ، ومسألة لنفسك وعلى المروة مثل ذلك » (٢).

فهذه بعض المواطن التي ورد فيها الصلاة على نبي الله ﷺ ، وينبغي للمسلم أن يحرص على الإتيان بها في مواطنها لينال الأجر من الله لاسيما وبعضها للوجوب يأثم تاركها.

مخالفات في صلاة البعض ، وسلامه على النبي - ﷺ - :

* كتابة (ص)، أو (صلعم).

مما شاع في زمننا هذا وقبله من الأزمان الرمز للصلاة والسلام على النبي ﷺ عند الكتابة بـ(ص)، أو (صلعم)، و(صم)وغيرها. وإليك أخي القارئ أقوال أهل العلم في استنكار هذا الفعل، واستقباحه.

قال العلامة السخاوي رحمه الله تعالى:«واجتنب أيها الكاتب الرمز لها أي

(١) رواه الطبراني في الكبير، وهو من الأحاديث التي تراجع عن تصحيحها العلامة الألباني، فصححه في صحيح الجامع: (٦٣٥٧). ثم ضعفه في ضعيف الترغيب: (٣٩٦)، الضعيفة: (٥٧٨٨).

(٢) أخرجه إسماعيل القاضي في " فضل الصلاة على النبي ﷺ : (ص: ٧١)، وصححه الألباني في تحقيقه.



الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ في خطك بأن تقتصر منها على حرفين ونحو ذلك، فتكون منقوصة صورةً كما يفعله (الكتاني) والجهلة من أبناء العجم غالبًا، وعوام الطلبة، فيكتبون بدلًا من ﷺ (ص)، أو (صم)، أو(صلم)، أو (صلعم) فذلك لما فيه من نقص الأجر لنقص الكتابة خلاف الأولى ».(١)

وقال العلامة الكناني رحمه الله تعالى :«وَإذا كتب اسْم الله تَعَالَى أتبعه بالتعظيم كـ (عز وَجل) وَنَحْوه، ويحافظ على كِتَابَة الصَّلَاة وَالتَّسْلِيم على رَسُول الله –صلى الله عَلَيْهِ وَسلم– كلما كتبه، وَلَا يسأم من تكراره وَإِن لم يكن فِي الأَصْل، وَمن أغفل ذَلِك حرم حظًا عَظِيمًا وَيُصلي على النَّبِي –صلى الله عَلَيْهِ وَسلم– كلما كتبه أَيْضا ... وَيكرهُ الِاقْتِصَار على الصَّلَاة دون التَّسْلِيم، وَيكرهُ الرَّمْز بِالصَّلَاةِ، والترضي بِالْكِتَابَةِ بل يكْتب ذَلِك بِكَمَالِهِ » (٢).

بل لقد بلغ من دقة بعض العلماء، وهو عبد الرحمن بن مهدي من المحدثين أنه قال: كنا في عجلة من أمرنا ونحن نكتب الحديث، ولم يكن عندنا وقت لكتابة ﷺ لأننا نكتب عن الشيخ، والشيخ يسرع في الحديث فتركنا فراغًا بيضنا له، فإذا انتهى مجلس الإملاء ذهبنا فملأنا الفراغات كلها ﷺ .

وقال سفيان الثوري– رحمه الله تعالى– : «بحسب أهل الحديث خيرًا أنهم كلما كتبوا حديث رسول الله صلوا عليه وسلموا ».

فكان المشتغلون بحديث رسول الله ﷺ تقع لهم هذه الفائدة أكثر مما تقع لغيرهم، جعلنا الله وإياكم من أهل الحديث، وأتباع السُّنَّة، وصلى الله على نبينا محمد.

الاقتصار على السلام دون الصلاة ، أو الصلاة دون السلام :

كقول البعض: عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أو صلى الله عليه فقط، والجمع بينهما هو ما أمر به

---

(١) فتح المغيث شرح ألفية الحديث: (٣/ ٧١_ ٧٢) .
(٢) المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي: (ص: ٩٣_ ٩٤).

القرآن بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

قال العلامة شمس الدين السخاوي رحمه الله تعالى: « (وَ) كَذَا (اجْتَنِب الْحَذْفَا) لِوَاحد (مِنْهَا صَلَاةً أَوْ سَلَامًا) حَتَّى لَا تَكُونَ مَنْقُوصَةً مَعْنًى أَيْضًا (تُكْفَى) بِإِكْمَالِ صَلَاتِك عَلَيْهِ مَا أَهَمَّكَ مِنْ أَمْرِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْخَبَرِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي كَوْنِ ذَلِكَ أَيْضًا خِلَافَ الْأَوْلَى، لَكِنْ قَدْ صَرَّحَ ابْنُ الصَّلَاحِ بِكَرَاهَةِ الِاقْتِصَارِ عَلَى: عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَطْ، وَقَالَ ابْنُ مَهْدِيٍّ كَمَا رَوَاهُ ابْنُ بَشْكُوَالٍ وَغَيْرُهُ: إِنَّهَا تَحِيَّةُ الْمَوْتَى.

وَصَرَّحَ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي « الْأَذْكَار » وَغَيْرِهِ بِكَرَاهَةِ إِفْرَادِهِمَا عَنِ الْآخَرِ مُتَمَسِّكًا بِوُرُودِ الْأَمْرِ بِهِمَا مَعًا فِي الْآيَةِ».[١]

ونقل ابن الصلاح: «عن حمزة الكناني رحمه الله تعالى أنه كان يقول: (كنت أكتب الحديث، وكنت أكتب عند ذكر النبي (صلى الله عليه) ولا أكتب (وسلم) فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: ما لك لا تتم الصلاة عليَّ ؟ قال: فما كتبت بعد ذلك (صلى الله عليه) إلا كتبت (وسلم)، وقال ابن الصلاح عقبه: قلت: ويكره أيضًا الاقتصار على قوله: (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) والله أعلم بالصواب »[٢].

الصلاة على النبي - ﷺ - عند إقامة الصلاة :

سؤال: عند إقامة الصلاة يقول المؤذن: اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، تم يشرع في إقامة الصلاة: (الله أكبر، الله أكبر)، فهل هذا سُنَّة ؟.

الجواب: الحمد لله، الواجب على من أراد أن يؤدي عبادة أن يتعلم أحكامها وكيفيتها من سُنَّة النبي ﷺ حتى لا يعبد الله على جهل، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يعبد إلا بما شرع. ومن تعبد لله تعالى بعبادة لم يشرعها الله ورسوله ﷺ فهي

(١) فتح المغيث شرح ألفية الحديث: (٣/ ٧٢- ٧٣) .
(٢) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث: (ص: ١٩٠-١٨٩).



مردودة عليه غير مقبولة، لقول النبي ﷺ :«**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** » رواه مسلم (١٧١٨).

ومن البدع التي أدخلت في إقامة الصلاة ما ذكره السائل من صلاة المؤذن على النبي ﷺ قبل إقامة الصلاة. فإن هذا الفعل بدعة لم يفعله الرسول ﷺ ولا أحد من أصحابه.

وقد نص على كونها بدعة الشيخ جمال الدين القاسمي -رحمه الله- في كتابه «إصلاح المساجد من البدع والعوائد » ص (١٣٤) [١].

قلت: ومن البدع كذلك قراءة بعض المؤذنين عقب أذانه قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

قال العلامة القاسمي رحمه الله تعالى في الرد على من يزيد في الأذان وألفاظه غير ما سَنَّه رسول الله ﷺ بحجة التعظيم :«والأعجب أن بعض المتفقهة يقول: إن في ذلك تعظيماً له ﷺ فالأحسن ذكره فلو قلنا له: هل أنت معظم له أكثر أم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وبلال، وأبو محذورة، وابن أم مكتوم، وأضرابهم؟. فبالضرورة يقول: هم. فنقول له: هؤلاء خلفاؤه الراشدون، والبقية مؤذنوه، وقد روى صيغة أذانهم من لا يحصى من حفاظ السُّنَّة فأوجدنا عن أحد لفظ سيدنا، فإن لم توجد ولن توجد فلا جرم أنك لم تفهم معنى تعظيمه ﷺ وأن تعظيمه إنما هو باتباع ما سنه وطلبه بلا زيادة ولا نقصان لا بالتطرف، والانحراف عن سنته، وإحداث ألقاب كان نهى عنها لكون الأعاجم كانوا يرغبون فيها ويؤلهون بها رؤساءهم، فنعوذ بالله من الجهل بالهدي النبوي ومن عدم التفقه بالدين » [٢].

---

(١) فتاوى الشيخ محمد صالح المنجد رقم: (٢٢٦٤٦). من موقع الإسلام سؤال وجواب.
(٢) إصلاح المساجد من البدع والعوائد: (ص: ١٤٠).

حكم قول: -سيدنا- في الصلاة على النبي - ﷺ -:

وقال العلامة بكر أبو زيد رحمه الله تعالى: «(ب) السيادة للنبي - ﷺ - من استقرأ صيغ الصلاة على النبي - ﷺ - الواردة لم يجد فيها لفظ (السيادة)، لا داخل الصلاة ولا خارجها، ومن استقرأ أحاديث الأذان لم يجدها في ذكر (الشهادة بأن محمدًا رسول الله). والمحدثون كافة في كتب السُّنَّة لا يذكرون لفظ السيادة عند ذكر النبي - ﷺ -.

وقد استقرأ جماعة من المحققين ومنهم الحافظ ابن حجر كما نقله عنه: السخاوي في: (القول البديع)، والقاسمي في (الفضل المبين في شرح الأربعين) للعجلوني إذ قرر - رحمه الله تعالى - أن لفظ (السيادة) لم يثبت في الصلاة على النبي - ﷺ -، ولا في الشهادة له بالرسالة - ﷺ -، وأنها داخل الصلاة لا تشرع لعدم التوقيف بالنص، وأما خارجها فلا بأس».

ونقل عن القاسمي عن ابن حجر ما يؤكد ذلك فقال رحمه الله تعالى:

" وهذا نص ما في (الفضل المبين ص/ ٧٠ - ٧١) للقاسمي: (لطيفة: للعلماء اختلاف في زيادة لفظ (سيدنا) في الصلاة على النبي -ﷺ-، وقد وقفت على سؤال رفع لأبي الفضل الحافظ ابن حجر في ذلك فأجاب عنه وأجاد، وهاكه بنصه: (سُئِل الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - عن صفة الصلاة على النبي - ﷺ - في الصلاة أو خارج الصلاة، سواء قيل بوجوبها، أو بندبها: هل يشترط فيها أن يصفه - ﷺ - بالسِّيادة بأن يقول مثلًا: صلِّ على سيِّدنا محمد، أو على سيِّدِ الخلق، أو سيّد ولد آدم؟ أو يقتصر على قوله: اللهم صلِّ على محمد؟ وأيها أفضل: الإتيانُ بلفظ السيادة؛ لكونها صفةً ثابتةً له - ﷺ-، أو عدمُ الإتيان؛ لِعدم ورُود ذلك في الآثار؟.

فأجاب - رضي الله عنه -: نعم اتِّباعُ الألفاظ المأثور أرجح، ولا يقال: لعلَّةُ ترك



ذلك تواضعًا منه -ﷺ- كما لم يكن يقول عند ذكره:ﷺ، وأمّتهُ مندوبة إلى أن تقول ذلك كلما ذُكر؛ لأنَّا نقول: لو كان ذلك راجحًا لجاء عن الصحابة، ثم عن التابعين، ولم نقِفْ في شيءٍ من الآثار عن أحدٍ من الصحابة ولا التابعين أنه قال ذلك، من كثرة ما ورد عنهم من ذلك، هذا الإمامُ الشافعي - أعلى الله درجته- وهو من أكثر الناسِ تعظيماً للنبي-ﷺ- قال في خطبة كتابه الذي هو عمدة أهل مذهبه: اللهم صلِّ على محمد، إلى آخر ما أدَّاه إليه اجتهاده وهو قوله: كلما ذكره الذاكرون، وكلما غفل عن ذكره الغافلون؛ وكأنه استنبط ذلك من الحديث الصحيح الذي فيه (سبحان الله عدد خلقه)، وقد ثبت أنه -ﷺ - قال لأمِّ المؤمنين ورآها قد أكثرت التسبيح وأطالته: (لقد قلت بعدك كلمات لو وزنت بما قلت لوزنتهن) وذكر ذلك وكان - ﷺ- يعجبه الجوامع في الدعاء) انتهى[(١)].

فائدة: حديث:«لا تسودوني في الصلاة»، لا يصح عن رسول الله ﷺ .

قال الحافظ السخاوي -رحمه الله تعالى- : حديث: « لا تسيدوني في الصلاة » لا أصل له.[(٢)]

وقال العجلوني رحمه الله تعالى :«قال في " المقاصد ": لا أصل له، وقال الناجي في أوائل مولده المسمى بـ" كنز العفاة": وأما النقل عن سيد الورى:«لا تسودوني في الصلاة » ؛ فكذب مولد مفترى، والعوام مع إيرادهم له يلحنون فيه أيضًا فيقولون:«لا تسيدوني - بالياء- ؛ وإنما اللفظة بالواو».[(٣)]

الصلاة على غير رسول الله- ﷺ - استقلالاً :

الصلاة على غير الأنبياء إن كانت ضمنًا وعلى سبيل التبعية فلا حرج فيه

(١) معجم المناهي اللفظية: (ص ٣٠٤- ٣٠٥).
(٢) المقاصد الحسنة:(١٢٩٢).
(٣) في " كشف الخفا ": (٣٠١٨).

وهو جائز بالإجماع، وقد دلت النصوص الكثيرة على ذلك.

كما في الحديث **"اللهُمَّ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ"** [١] وأما إفراد شخص بلفظ الصلاة والسلام، فهذا من بدع الألقاب التي اخترعها الرافضة وغيرهم.

يقول العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى: «وَقَالَ الْجُمْهُورُ مِنَ الْعُلَمَاءِ: لَا يَجُوزُ إِفْرَادُ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ بِالصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ هَذَا قَدْ صَارَ شِعَارًا لِلْأَنْبِيَاءِ إِذَا ذُكِرُوا، فَلَا يَلْحَقُ بِهِمْ غَيْرُهُمْ، فَلَا يُقَالُ: «قَالَ أَبُو بَكْرٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ». أَوْ: «قَالَ عَلِيٌّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ». وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى صَحِيحًا، كَمَا لَا يُقَالُ: «قَالَ مُحَمَّدٌ، عَزَّ وَجَلَّ»، وَإِنْ كَانَ عَزِيزًا جَلِيلًا؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ شِعَارِ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَحَمَلُوا مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى الدُّعَاءِ لَهُمْ؛ وَلِهَذَا لَمْ يَثْبُتْ شِعَارًا لِآلِ أَبِي أَوْفَى، وَلَا لِجَابِرٍ وَامْرَأَتِهِ. وَهَذَا مَسْلَكٌ حَسَنٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: لَا يَجُوزُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ صَارَتْ مِنْ شِعَارِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، يُصَلُّونَ عَلَى مَنْ يَعْتَقِدُونَ فِيهِمْ، فَلَا يُقْتَدَى بِهِمْ فِي ذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ اخْتَلَفَ الْمَانِعُونَ مِنْ ذَلِكَ: هَلْ هُوَ مِنْ بَابِ التَّحْرِيمِ، أَوِ الْكَرَاهَةِ التَّنْزِيهِيَّةِ، أَوْ خِلَافِ الْأَوْلَى؟ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ، حَكَاهُ الشَّيْخُ أَبُو زَكَرِيَّا النَّوَوِيُّ فِي كِتَابِ الْأَذْكَارِ. ثُمَّ قَالَ: وَالصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ أَنَّهُ مَكْرُوهٌ كَرَاهَةَ تَنْزِيهٍ؛ لِأَنَّهُ شِعَارُ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَقَدْ نُهِينَا عَنْ شِعَارِهِمْ، وَالْمَكْرُوهُ هُوَ مَا وَرَدَ فِيهِ نَهْيٌ مَقْصُودٌ. قَالَ أَصْحَابُنَا: وَالْمُعْتَمَدُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الصَّلَاةَ صَارَتْ مَخْصُوصَةً فِي اللِّسَانِ بِالْأَنْبِيَاءِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَنَّ قَوْلَنَا: «عَزَّ وَجَلَّ»، مَخْصُوصٌ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَكَمَا لَا يُقَالُ: «مُحَمَّدٌ عَزَّ وَجَلَّ»، وَإِنْ كَانَ

---

(١) رواه البخاري: (٣٣٦٩)، ومسلم: (٤٠٧).

عَزِيـزًا جَلِيلًا لَا يُقَالُ: «أَبُو بَكْـرٍ – أَوْ: عَلِـيٌّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ». هَذَا لَفْظُهُ بِحُرُوفِهِ.

قَالَ: وَأَمَّا السَّلَامُ فَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّد الجُوَينِي مِنْ أَصْحَابِنَا: هُوَ فِي مَعْنَى الصَّلَاة، فَلَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْغَائِب، وَلَا يُفْرَدُ بِه غَيْرُ الْأَنْبِيَاء، فَلَا يُقَالُ: «عَلِيٌّ عَلَيْه السَّلَامُ»، وَسَوَاءٌ فِي هَذَا الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ، وَأَمَّا الْحَاضِرُ فَيُخَاطَبُ بِه، فَيُقَالُ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، أَوْ سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَوِ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَوْ عَلَيْكُمْ. وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْه. انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ.

قُلْتُ: وَقَدْ غَلَبَ هَذَا فِي عِبَارَة كَثِيرٍ مِنَ النُّسَّاخِ لِلْكُتُب، أَنْ يُفْرَدَ عَلِيٌّ –رَضِيَ اللهُ عَنْه– بِأَنْ يُقَالَ: «عَلَيْهِ السَّلَامُ»، مِنْ دُونِ سَائِرِ الصَّحَابَة، أَوْ: «كَرَّمَ الله وجهه»[1] وهذا وإن كان معناه صَحِيحًا، لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُسَاوى بَيْنَ الصَّحَابَة فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّ هَذَا مِنْ بَاب التَّعْظِيم وَالتَّكْرِيم، فَالشَّيْخَانِ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْهُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

قَالَ إِسْمَاعِيلُ الْقَاضِي: حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ عَبْدِ الْوَهَّاب، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنِ حَكِيم بْنِ عَبَّاد بْنِ حُنَيف، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ

(١) يحتج البعض على صحة قولهم لعلي- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «كرم الله وجهه» أنه لم يسجد لصنم، وذكر العلامة السخاوي رحمه الله تعالى في فتح المغيث بشرح ألفية الحديث: (٣ / ٧٥): «وَفِي "تَارِيخ إِرْبل" لابْنِ الْمُسْتَوْفِي عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّه كَانَ يَسْأَلُ عَنْ تَخْصِيصِهِمْ عَلِيًّا بِـ " كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ" فَرَأَى فِي الْمَنَامِ مَنْ قَال لَهُ: لأَنَّهُ لَمْ يَسْجُدْ لِصَنَم قَطُّ». وهذه حجة واهية لا تقاوم قوله تعالى في الصحابة ومنهم علي ابن أبي طالب- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : «﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ﴾ (التوبة: ١٠٠)، وعلينا أن نختار لهم عند ذكرهم ما اختاره الله تعالى لهم، لا ما ابتدعه الرافضة لمقاصد، ومكائد معروفة من التقليل، والطعن في بقية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.
ولئن كانت العلة في تخصيص علي بـ " كرم الله وجهه " أنه لم يسجد لصنم، لكان أبوبكر- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أولى من علي- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بهذا لأنه لم يعهد عنه أنه سجد لصنم قط، وهو من كبر سنه، وقضى عمرًا طويلًا في صفوف الجاهليين ولكن عصمه الله من ذلك، وأما علي- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فقد كان صغيرًا، وهناك غيره من الصحابة من لم يسجد لصنم وهم كثر ممن ولد في الإسلام كعبد الله بن الزبير وغيره. ويقال أنه من أجل أنه لم يطلع على عورة أحد أصلًا، وهذا يحتاج إلى دليل صحيح، وإن صح فيه فهو أيضًا ليس خاصًا به بل يشاركه غيره من الصحابة ولا شك.

عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – أَنَّهُ قَالَ: لَا تَصِحُّ الصَّـلَاةُ عَلَى أَحَـد إِلَّا عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَلَكِنْ يُدْعَى لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ بِالْمَغْفِرَةِ .

وَقَالَ أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ جَعْفَر بْن بَرْقان قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيز -رَحِمَهُ اللهُ تعالى- : أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أُنَاسًا مِنَ النَّاس قَد الْتَمَسُوا الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَة، وَإِنَّ نَاسًا مِنَ الْقُصَّاص قَدْ أَحْدَثُوا فِي الصَّلَاة عَلَى خُلَفَائِهِمْ وَأُمَرَائِهِمْ عدْلَ الصَّلَاة عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَمُرْهم أَنْ تَكُونَ صَلَاتُهُمْ عَلَى النَّبِيِّينَ وَدُعَاؤُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً، وَيَدْعُوا مَا سِوَى ذَلِكَ. أَثَرٌ حَسَنٌ ».

صلوات مبتدعة:

إن بُعد الناس عن عهد النبوة، ومشكاتها المضيئة جعل الكثير منهم يستحسن ما لم ينزل الله به سلطانًا، وماليس من سُنَّة النبي -ﷺ-.

ولم تخلو الصلاة والسلام على سيد الأنام من اختراعات المخترعين، وفضول المبتدعين، فجعلوا لها صلوات خاصة، في أزمنة، أو أمكنة معينة، تحمل في طياتها البدعة، وفي جنباتها عبارات الشرك بالله العظيم، وانحرفوا عن خير الهدي. ومن هذه الصلوات التي ابتدعها قوم من الصوفية وغيرهم : الصلاة النارية، الصلاة التفريجية، والنور الذاتي، وصلاة السعادة، وصلاة الشقاء وغيرها من الصلوات التي لو كانت خيرًا لسبقنا إليها من رسول الله أحب إليهم من أولادهم، أمهاتهم، وآبائهم، ومن الماء البارد على الظمأ.

وعلى كل فخير الهدي هدي محمد ﷺ ولن نكون أعلم بالله، ودينه من رسوله، وخيرة خلقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ.



9
الجهاد في سبيل الله تعالى

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«عَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُذْهِبُ اللهُ بِهِ الْهَمَّ، وَالْغَمَّ»**[(١)].

إن بذل المهج، والتضحية بالروح وهي أغلى مايملكه الإنسان في سبيل الله تعالى لهو أعظم الأعمال، وأجل القربات، وعليه قوام الدنيا والدين، وبه يمكن الله للمسلمين، ويرفع عنهم الذل المكين، والهوان المستديم.

وهو في نفس الوقت مذهبة للهموم التي تكالبت، والغموم التي اجتمعت، ومطردة للأحزان، ومذهب للكروب في حياة الإنسان، كما دل عليه هذا الحديث من فم سيد ولد آدم -عليه الصلاة والسلام-.

وفي الكتاب والسُّنَّة من النصوص الجمة ما يشيد بالجهاد، ويحث الأمة على التمسك به، والعض عليه.

ومما ورد في فضل الجهاد، والمجاهدين من الكتاب المبين:

قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ (التوبة: ٤١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ

---

(١) أخرجه أحمد: (٥ / ٣٢٦)، والطبراني في الأوسط: (٨٣٣٤)، والضياء المقدسي في المختارة: (٣٥٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (١٩٤١).

ﱡﭐ ٱلَّذِى بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﱠ (التوبة: ١١١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﱡﭐ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ ﱠ (الصف: ١٠ - ١٣).

والآيات في فضل الجهاد و الترغيب فيه وبيان فضل المجاهدين كثيرة جدًا، وفيما ذكر سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في هذه الآيات التي سلف ذكرها ما يكفي ويشفي، ويحفز الهمم، ويحرك النفوس إلى تلك المطالب العالية، والمنازل الرفيعة، والفوائد الجليلة، والعواقب الحميدة.

وأما الأحاديث الواردة في فضل الجهاد والمجاهدين، والتحذير من تركه، والإعراض عنه فهي أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر. ولكن نذكر طرفًا منها ليعلم المسلمون شيئًا مما قاله نبيهم العظيم، ورسولهم الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم في فضل الجهاد، ومنزلة أهله:

فعَنْ سَهْلِ بْن سَعْد السَّاعديِّ -رَضيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: **«رِبَاطُ يَوْم في سَبيلَ الله خَيْرٌ منَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضعُ سَوْط أَحَدكُمْ منَ الْجَنَّة خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ في سَبيلِ الله، أَوْ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ منَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»** [١].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - يَقُولُ: **«مَثَلُ الْمُجَاهد في سَبيلِ الله وَاللهُ أَعْلَمُ بمَنْ يُجَاهدُ في سَبيله كَمَثَل الصَّائم الْقَائم، وَتَوَكَّلَ اللهُ للْمُجَاهَد في سَبِيلِه بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخلَهُ الْجَنَّة، أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»**.

---

(١) رواه البخاري: (٢٧٣٥)، ومسلم: (١٨٨١).

وعن أبي هريرة- رَضيَ اللهُ عَنْهُ - عَنْ النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - قَالَ: «**انْتَدَبَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ في سَبيله لا يُخرجُهُ إلَّا إيمَانٌ بي، وَتَصْديقٌ برُسُلي أَنْ أُرْجعَهُ بمَا نَالَ منْ أَجْرٍ، أَوْ غَنيمَةٍ، أَوْ أُدْخلَهُ الْجَنَّةَ. وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ،ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ**» (١).

وعنَّ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «**مَثَلُ الْمُجَاهد في سَبيل الله وَاللهُ أَعْلَمُ بمَنْ يُجَاهدُ في سَبيله كَمَثَلِ الصَّائم الْقَائم، وَتَوَكَّلَ اللهُ للْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ** » (٢).

وقال: «**غدوة في سبيل الله، أو روحة خير من الدنيا وما فيها**» (٣).

وعن فضالة بن عبيد- رَضيَ اللهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا زعيم - والزعيم: الحميل - لمن آمَنَ بي وأسلم وهاجر ببيت في رَبَض الجنة، وببيت في وسط الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة، وببيت في وسط الجنة، وببيت في أعلى غرف الجنة، من فعل ذلك، لم يدع للخير مطلبًا، ولا من الشر مهربًا، يموت حيث شاء أن يموت**» (٤).

وعَنْ أَبى هُرَيْرَةَ -رَضىَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَجُلًا منْ أَصْحَاب رَسُول الله - ﷺ- مَرَّ بشعْب فيه عُيَيْنَةٌ منْ مَاء عَذْب فَأَعْجَبَهُ طيبُهُ وَحُسْنُهُ فَقَالَ: لَو اعْتَزَلْتُ النَّاسَ وَأَقَمْتُ في هَذَا الشِّعْب ثُمَّ قَالَ: لاَ أَفْعَلُ حَتَّى أَسْتَأْمرَ رَسُولَ الله -ﷺ-، فَذَكَرَ ذَلكَ لرَسُول الله - ﷺ - فَقَالَ: « **لاَ تَفْعَلْ فَإنَّ مُقَامَ أَحَدكُمْ في سَبيل الله أَفْضَلُ مِنْ صَلاَتِهِ فِي أَهْلِهِ سِتِّينَ عَامًا. أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ**

(١) البخاري (٣٦).
(٢) البخاري (٢٧٨٧).
(٣) البخاري (٢٨٩٢).
(٤) النسائي: (٣١٣٣)،، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١٤٦٥).

الْجَنَّةَ اغْزُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ »[١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«**مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ،أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا**»، **فَقَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ ؟**.

قَالَ:«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ: وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ [٢].

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - قَالَ:«**يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**». فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ فَفَعَلَ ثُمَّ قَالَ:«**وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**». **قَالَ وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: « الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»**. [٣]

والأحاديث في فضل الجهاد والمجاهدين كثيرة جدًا، وقد أفردت في مجلدات، وخصت في مصنفات.

الجهاد من خصائص هذه الأمة:

وعيسى عليه الصلاة والسلام كان في مظهر الجمال، وكانت شريعته شريعة فضل وإحسان، وكان لا يقاتل ولا يحارب، وليس في شريعته قتال البته،

(١) رواه الترمذي: (١٦٥٠)، و الحاكم: (٢ / ٦٨)، و البيهقي: (٩ / ١٦٠)، و أحمد: (٢/ ٥٢٤). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (٩٠٢)، وفواق ناقة: قَدْرُ ما بين الحلبتين من الوقت.
(٢) البخاري: (٢٧٩٠).
(٣) مسلم (١٨٨٤).



والنصارى يحرم عليهم دينهم القتال، وهم به عصاة لشرعه، فإن الإنجيل يأمرهم فيه: أن «من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، ومن نازعك ثوبك فأعطه رداءك، ومن سخرك ميلاً فامش معه ميلين» ونحو هذا، وليس في شريعتهم مشقة، ولا آصار، ولا أغلال؛ إنما النصارى ابتدعوا تلك الرهبانية من قبل أنفسهم، ولم تكتب عليهم [(١)].

في هديه ﷺ في الجهاد:

* وكان النبي ﷺ يبايع أصحابه رضي الله عنهم في الحرب على ألا يفروا، وربما بايعهم على الموت، وبايعهم على الجهاد كما بايعهم على الإسلام، وبايعهم على الهجرة قبل الفتح، وبايعهم على التوحيد والتزام طاعة الله ورسوله، وبايع نفرًا من أصحابه ألا يسألوا الناس شيئًا.

* وكان السوط يسقط من يد أحدهم، فينزل عن دابته، فيأخذه، ولا يقول لأحد: ناولني إياه [(٢)].

* وكان يشاور أصحابه رضي الله عنهم في أمر الجهاد، وأمر العدو، وتخير المنازل، وفي المستدرك عن أبي هريرة: «ما رأيت أحدًا أكثر مشورة لأصحابه رضي الله عنهم من رسول الله ﷺ» [(٣)].

* وكان يتخلف في ساقتهم في المسير، فيزجي الضعيف، ويردف المنقطع، وكان أرفق الناس بهم في المسير [(٤)].

* وكان إذا أراد غزوة ورى بغيرها [(٥)]، فيقول مثلًا إذا أراد غزوة حنين: كيف طريق نجد ومياهها ومن بها من العدو ونحو ذلك. وكان يقول: «**الحرب**

(١) مدارج السالكين: (٢/ ٤٥٨).
(٢) مسلم: (١٠٤٣).
(٣) الترمذي: (١٧١٤).
(٤) أبو داود: (٢٦٣٩).
(٥) البخاري: (٢٩٤٧)، ومسلم: (٢٧٦٩/ ٥٤).

خدعة» [١].

* وكان يبعث العيون يأتونه بخبر عدوه، ويطلع الطلائع،ويبيت الحرس [٢].

* وكان إذا لقي عدوه وقف ودعا واستنصر الله، وأكثر هو وأصحابه من ذكر الله، وخفضوا أصواتهم [٣].

* وكان يرتب الجيش والمقاتلة، ويجعل في كل جنبة كفئًا لها، وكان يبارز بين يديه بأمره، وكان يلبس للحرب عدته، وربما ظاهر بين درعين، وكان له الألوية والرايات [٤].

* وكان إذا ظهر على قوم، أقام بعرصتهم ثلاثًا، ثم قفل [٥].

* وكان إذا أراد أن يغير، انتظر؛ فإن سمع في الحي مؤذنًا لم يغر وإلا أغار [٦].

* وكان ربما بيت عدوه، وربما فاجأهم نهارًا [٧].

* وكان يحب الخروج يوم الخميس بكرة النهار [٨].

وكان العسكر إذا نزل انضم بعضه إلى بعض حتى لو بسط عليهم كساء لعمهم [٩].

* وكان يرتب الصفوف [١٠]، ويعبئهم عند القتال بيده، ويقول:«تقدم يا فلان، تأخر يا فلان».

---

(١) البخاري: (٣٠٣٠)، ومسلم: (١٧٣٩).
(٢) البخاري: (٢٨٨٥)، ومسلم: (١٩٠١).
(٣) البخاري: (٤١١٥).
(٤) البخاري: (٤٢٨٠).
(٥) البخاري: (٣٠٦٥).
(٦) البخاري: (٦١٠)، ومسلم: (٣٨٢).
(٧) البخاري: (٣٠١٢)، ومسلم :(١٧٤٥).
(٨) البخاري: (٢٩٤٩).
(٩) أبو داود:(٢٦٢٨).
(١٠) البخاري: (٢٩٣٠)، ومسلم: (١٧٢٦).



* وكان يستحب للرجل منهم أن يقاتل تحت راية قومه.

* وكان إذا لقي العدو، قال:« اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم،وانصرنا عليهم" [١]، وربما قال:﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾(القمر: ٤٥- ٤٦) [٢].

* وكان يقول:«اللهم أنزل نصرك» [٣].

* وكان يقول:«اللهم أنت عضدي وأنت نصيري، وبك أقاتل» [٤].

* وكان إذا اشتد له بأس، وحمي الحرب، وقصده العدو، يُعْلم بنفسه، ويقول:

« أنا النَّبي لا كذب ∴ أنا ابن عبد المطلب »

* وكان الناس إذا اشتد الحرب اتقوا به ﷺ وكان أقربهم إلى العدو[٥].

* وكان يجعل لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ شعارًا في الحرب يعرفون به إذا تكلموا، وكان شعارهم مرة:«أمت أمت» [٦]، ومرة:«يا منصور»، ومرة:«حم لا ينصرون» [٧].

* وكان يلبس الدرع والخوذة، ويتقلد السيف، ويحمل الرمح والقوس العربية، وكان يتترس بالترس، وكان يحب الخيلاء في الحرب، وقال:«إن منها ما يحبه الله، ومنها ما يبغضه الله؛ فأما الخيلاء التي يحبها الله، فاختيال الرجل بنفسه عند اللقاء، واختياله عند الصدقة، وأما التي يبغض الله -عَزَّوَجَلَّ- فاختياله

(١) البخاري: (٢٩٣٢)، ومسلم: (١٧٤٢/ ٢١).
(٢) البخاري: (٢٩٥٣).
(٣) مسلم: (١٧٧٦/ ٧٩).
(٤) أبو داود: (٢٦٣٢)، والترمذي: (٣٥٨٤).
(٥) مسلم:(١٧٧٦/ ٧٩).
(٦) أبو داود: (٢٥٩٦)، والحاكم في المستدرك: (٢/ ١٠٧، ١٠٨) وقال:«صحيح على شرط مسلم».
(٧) أبو داود: (٢٥٩٧)، والترمذي: (١٦٨٢).

في البغي والفخر»[١].

وقاتل مرة بالمنجنيق، نصبه على أهل الطائف، وكان ينهى عن قتل النساء والولدان[٢]، وكان ينظر في المقاتلة؛ فمن رآه أنبت قتله، ومن لم ينبت، استحياه[٣].

* وكان إذا بعث سرية يوصيهم بتقوى الله، ويقول:«سيروا بسم الله وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليدًا»[٤].

* وكان ينهى عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو[٥].

* وكان يأمر أمير سريته أن يدعو عدوه قبل القتال إما إلى الإسلام والهجرة، أو إلى الإسلام دون الهجرة؛ ويكونون كأعراب المسلمين؛ ليس لهم في الفيء نصيب- أو بذل الجزية؛ فإن هم أجابوا إليه قبل منهم، وإلا استعان بالله وقاتلهم.

وكان إذا ظفر بعدوه أمر مناديًا فجمع الغنائم كلها، فبدأ بالأسلاب فأعطاها لأهلها، ثم أخرج خمس الباقي فوضعه حيث أراه الله وأمره به من مصالح الإسلام، ثم يرضخ من الباقي لمن لا سهم له من النساء، والصبيان، والعبيد، ثم قسم الباقي بالسوية بين الجيش، للفارس ثلاثة أسهم: سهم له، وسهمان لفرسه، وللراجل سهم[٦]، هذا هو الصحيح الثابت عنه.

وكان ينفل من صلب الغنيمة بحسب ما يراه من المصلحة، وقيل: بل كان النفل من الخمس. وقيل- وهو أضعف الأقوال: بل كان من خمس الخمس. وجمع لسلمة

---

(١) أبو داود: (٢٦٥٩)، والنسائي: (٢٥٥٨).
(٢) البخاري: (٣٠١٥)، ومسلم:(١٧٤٤).
(٣) أبو داود:(٤٤٠٤)، والترمذي: (١٥٨٤).
(٤) مسلم: (١٧٣١).
(٥) البخاري: (٢٩٩٠)، ومسلم: (١٨٦٩).
(٦) البخاري: (٤٢٢٨)، ومسلم:(١٧٦٢).



ابن الأكوع رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في بعض مغازيه بين سهم الراجل والفارس، فأعطاه أربعة أسهم لعظم غنائه في تلك الغزوة [(١)].

وكان يسوي الضعيف في القسمة ما عدا النفل [(٢)].

وكان إذا أغار في أرض العدو بعث سرية بين يديه، فما غنمت أخرج خمسه، ونفلها ربع الباقي، وقسم الباقي بينها وبين سائر الجيش، وإذا رجع فعل ذلك، ونفلها الثلث [(٣)]، ومع ذلك فكان يكره النفل ويقول: «ليرد قوي المؤمنين على ضعيفهم» [(٤)].

وكان له ﷺ سهم من الغنيمة يدعى الصفي؛ إن شاء عبدًا، وإن شاء أمةً، وإن شاء فرسًا يختاره قبل الخمس [(٥)].

قالت عائشة : وكانت صفية من الصفي. رواه أبو داود [(٦)]؛ ولهذا جاء في كتابه إلى بني زهير بن أقيش: «إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأديتم الخمس من المغنم وسهم النبي ﷺ وسهم الصفي، أنتم آمنون بأمان الله ورسوله» [(٧)].

وكان سيفه ذو الفقار من الصفي [(٨)].

وكان يسهم لمن غاب عن الوقعة لمصلحة المسلمين، كما أسهم لعثمان سهمه من بدر، ولم يحضرها لمكان تمريضه لامرأته رقية ابنة رسول الله ﷺ فقال: «إن

---

(١) مسلم: (١٨٠٧).
(٢) أبو داود: (٢٧٣٧ - ٢٧٣٩)، وأحمد: (٥/ ٣٢٣، ٣٢٤).
(٣) أبو داود: (٢٧٤٩، ٢٧٥٠)، وصححه ابن حبان: (١٦٧٢).
(٤) أحمد: (٥/ ٣٢٣، ٣٢٤).
(٥) أبو داود: (٢٩٩١)، والنسائي: (٤١٤٥).
(٦) أبو داود: (٢٩٩٤)، وصححه ابن حبان: (٢٢٤٧).
(٧) أبو داود: (٢٩٩٩)، والنسائي: (٤١٤٦)، وأحمد: (٥/ ٧٧/ ٧٨).
(٨) الترمذي: (١٥٦١)، وأحمد: (١/ ٢٧١).

عثمان انطلق في حاجة الله وحاجة رسوله ﷺ » . فضرب له سهمه وأجره[١].

وكانوا يشترون معه في الغزو ويبيعون وهو يراهم ولا ينهاهم، وأخبره رجل أنه ربح ربحًا لم يربح أحد مثله، فقال:«ما هو؟ » قال: مازلت أبيع وأبتاع حتى ربحت ثلاثمائة أوقية، فقال:«أنا أنبئك بخير رجل ربح». قال: ما هو يا رسول الله؟ قال:«ركعتين بعد الصلاة»[٢].

وكانوا يستأجرون الأجراء للغزو على نوعين؛ أحدهما: أن يخرج الرجل، ويستأجر من يخدمه في سفره. والثاني: أن يستأجر من ماله من يخرج في الجهاد، ويسمون ذلك الجعائل، وفيها قال النبي ﷺ :«**للغازي أجره، وللجاعل أجره وأجر الغازي**»[٣].

وكانوا يتشاركون في الغنيمة على نوعين أيضًا:

أحدهما: شركة الأبدان.

والثاني: أن يدفع الرجل بعيره إلى الرجل، أو فرسه يغزو عليه على النصف مما يغنم، حتى ربما اقتسما السهم فأصاب أحدهما قدحه، والآخر نصله وريشه.

وقال ابن مسعود: اشتركت أنا، وعمار، وسعد فيما نصيب يوم بدر، فجاء سعد بأسيرين، ولم أجئ أنا وعمار بشيء[٤].

* وكان يبعث بالسرية فرسانًا تارة، ورجالًا أخرى.

* وكان لا يسهم لمن قدم من المدد بعد الفتح[٥].

(١) أبو داود: (٢٧٢٦).
(٢) أبو داود: (٢٧٨٥).
(٣) أبو داود: (٢٥٢٦)، وأحمد: (٢/ ١٧٤).
(٤) أبو داود: (٣٣٨٨)، والنسائي: (٣٩٣٧).
(٥) روى البخاري: (٤٢٣٨).



* وكان يعطي سهم ذي القربى في بني هاشم وبني المطلب دون إخوتهم من بني عبد شمس وبني نوفل، وقال:«**إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد**». وشبك بين أصابعه وقال:«**إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام**» (٦).

* وكان المسلمون يصيبون معه في مغازيهم العسل، والعنب، والطعام فيأكلونه، ولا يرفعونه في المغانم(٧).

قال ابن عمر: إن جيشًا غنموا في زمان رسول الله ﷺ طعامًا وعسلًا، ولم يؤخذ منهم الخمس. ذكره أبو داود (٨).

وانفرد عبد الله بن المغفل يوم خيبر بجراب شحم وقال: لا أعطي اليوم أحدًا من هذا شيئًا، فسمعه رسول الله ﷺ فتبسم ولم يقل له شيئًا (٩).

وقيل لابن أبي أوفى: كنتم تخمسون الطعام في عهد رسول الله ﷺ ؟ فقال: أصبنا طعامًا يوم خيبر، وكان الرجل يجيء، فيأخذ منه مقدار ما يكفيه، ثم ينصرف (١٠).

وقال بعض الصحابة: كنا نأكل الجوز في الغزو ولا نقسمه؛ حتى إن كنا لنرجع إلى رحالنا وأجربتنا منه مملوءة (١١).

وكان ينهى في مغازيه عن النهبة والمثلة، وقال:«من انتهب فليس منا» (١٢)، وأمر بالقدور التي طبخت من النهبى فأكفئت (١٣).

---

(٦) البخاري: (٣١٤٠).
(٧) البخاري عن ابن عمر: (٣١٥٤).
(٨) أبو داود: (٢٧٠١).
(٩) البخاري: (٣١٥٣)، ومسلم: (١٧٧٢).
(١٠) أبو داود:(٢٧٠٤).
(١١) أبو داود: (٢٧٠٦).
(١٢) الترمذي: (١٦٠١).
(١٣) البخاري: (٢٤٨٨)، ومسلم: (١٩٦٨/ ٢١).

وذكر أبو داود عن رجل من الأنصار قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فأصاب الناس حاجة شديدة وجهد، وأصابوا غنماً، فانتهبوها وإن قدورنا لتغلي؛ إذ جاء رسول الله ﷺ يمشي على قوسه، فأكفأ قدورنا بقوسه، ثم جعل يرمل اللحم بالتراب، ثم قال:«إن النهبة ليست بأحل من الميتة»، أو:«إن الميتة ليست بأحل من النهبة»(١).

وكان ينهى أن يركب الرجل دابة من الفيء حتى إذا أعجفها ردها فيه، وأن يلبس الرجل ثوبًا من الفيء حتى إذا أخلقه رده فيه (٢)، ولم يمنع من الانتفاع به حال الحرب(٣).

وكان هديه أن من أسلم على شيء في يده فهو له، ولم ينظر إلى سببه قبل الإسلام، بل يقره في يده كما كان قبل الإسلام(٤).

وكان يستحب القتال أول النهار، كما يستحب الخروج للسفر أوله، فإن لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر(٥)(٦).



(١) أبو داود: (٢٧٠٥).
(٢) أبو داود: (٢٧٠٨).
(٣) زاد المعاد: (٣/ ٩٥ – ١٠٦).
(٤) زاد المعاد: (٣/ ١١٥ – ١١٦).
(٥) البخاري: (٣١٦٠).
(٦) هذا الفصل منقول مع حواشيه من كتاب "زاد المعاد المجلد الثالث".



10 الاستغفار

إن الذنوب لها عواقب وخيمة، ونتائجُ أليمة في الدنيا والآخرة، فهي تُزيل النِّعم وتحلُّ النِّقم، فما زالت عن العبد نعمةٌ إلاَّ بذنب، ولا حلَّت به نقمة إلاَّ بذنب، وعلاج الذنوب في الاستغفار، كما قال عليٌّ بنُ أبي طالب- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - :«**ما نزل بلاءٌ إلاَّ بذنب، ولا رُفع إلاَّ بتوبة** ».

و إذا استغفر العبد ربه من ذنبه، حلت عليه البركات، ونزلت به الرحمات، وفك الله كربه، ويسر أمره .فالاستغفار دواء يرفع داء الذنوب والمعاصي، وهذا ما أكده أنبياء الله تعالى في خطابهم لقومهم، ودعوتهم للتوبة والاستغفار.

فعن نوح -عليه الصلاة والسلام- يقول تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ (نوح: ١٠ - ١٢).

وقال هود -عليه الصلاة والسلام- لقومه :﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (هود: ٥٢).

وعن محمد -عليه الصلاة والسلام- قال تعالى:﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾ (هود: ٣).

قال بعض السلف:«إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار ».

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: «مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ».[1]

من فضائل الاستغفار:

« الاستغفار له شأنٌ عظيم ومكانةٌ عاليةٌ، فهو كما بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى " يُخرج العبدَ من الفعلِ المكروه إلى الفعلِ المحبوب، ومن العمل الناقص إلى العمل التامِّ، ويرفعُ العبدَ من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل، فإنَّ العابدَ لله، والعارفَ بالله في كلِّ يوم، بل في كلِّ ساعة، بل في كلِّ لحظة يزدادُ علماً بالله وبصيرةً في دينه وعبوديَّته، بحيث يجدُ ذلك في طعامه وشرابه، ونومِه، ويَقَظتِه، وقولِه، وفعلِه، ويرى تقصيرَه في حضورِ قلبه في المقامات العالية وإعطائِها حقّها، فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، بل هو مضطَّرٌ إليه دائماً في الأقوال والأحوال، في الغوائب والمشاهد؛

---

(١) أخرجه أبو داود: (١٥١٨)، وابن ماجه: (٣٨١٩)، و أحمد: (١ / ٢٤٨). وضعفه العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة: (٧٠٥). وقال العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى (مجموع فتاوى ابن باز: ٢٦ / ٢٥٨):«حديث:«مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ " وأخرجه الحاكم من طريق الوليد المذكور عن الحكمَ بن مصعب المذكور. قال أبو حاتم الرازي: الحكم مجهول، وتناقض ابن حبان رحمه الله فذكره في الثقات والضعفاء، وجزم الحافظ في التقريب، قاله أبو حاتم، فقال فيه ما نصه: الحكم بن مصعب المخزومي الدمشقي مجهول من السابعة، ورمز له بعلامة أبي داود والنسائي وابن ماجه، أما الحاكم فصححه، واعترض عليه الذهبي بقوله: الحكم فيه جهالة، وذكره البخاري في التاريخ الكبير، وذكر أنه روى عن محمد بن علي، وروى عنه الوليد بن مسلم، وسكت فلم يوثقه ولم يجرحه، وجزم الشيخ العلامة أحمد شاكر في حاشيته على المسند بأنه صحيح بناء على سكوت البخاري عنه، وهو دليل عند الشيخ أحمد على ثقته عند البخاري، وهذا فيه نظر إلا أن يثبت بالنص، أو الاستقراء ما يدل على أن البخاري أراد ذلك، ومن تأمل حاشية العلامة أحمد شاكر اتضح له منها تساهله في التصحيح لكثير من الأسانيد التي فيها بعض الضعفاء كابن لهيعة، وعلي بن زيد بن جدعان وأمثالهما، والله يغفر له ويشكر له سعيه، ويتجاوز له عما زل به قلمه، أو أخطأ فيه اجتهاده إنه سميع قريب.
وعلى كل حال فالحديث المذكور يصلح ذكره في الترغيب والترهيب ؛ لكثرة شواهده الدالة على فضل الاستغفار، ولأن أكثر أئمة الحديث قد سهلوا في رواية الضعيف في باب الترغيب والترهيب لكن يروى بصيغة التمريض كـ: يروى، ويذكر، ونحوهما لا بصيغة الجزم».

لِما فيه من المصالح، وجلب الخيرات، ودفع المضرَّات، وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبيةَ، والبدنية اليقينية الإيمانيةَ». [(١)]

وممَّا يُبيِّن عِظَمَ شأن الاستغفار، ورفيع مكانته أنَّه كثيرًا ما يأتي في النصوص مقرونًا مع كلمة التوحيد لا إله إلاَّ الله التي هي خيرُ الكلمات، وأفضلُها، وأجلُّها على الإطلاق، كقوله تعالى: ﴿ **فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ** ﴾ (محمد: ١٩).

وقوله تعالى: ﴿ **وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٍ فَضۡلَهُۥۖ** ﴾ (هود: ٣).

وقوله تعالى: ﴿ **قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ** ﴾ (فصلت: ٦)، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ۝٥٠ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٥١ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ۝٥٢** ﴾ (هود: ٥٠-٥٢).

وكقوله ﷺ في كفَّارة المجلس: «**سبحانك اللَّهمَّ وبحمدك ،أشهد أن لا إله إلاَّ أنت أستغفرك وأتوب إليك** » [(٢)]، وكقوله ﷺ عقب الانتهاء من الوضوء: «**أشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، اللَّهمَّ اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين** »[(٣)] .

وكقوله ﷺ في دعائه الذي كان يختم به الصلاةَ: «**اللَّهمَّ اغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، وما أنت أعلم به منِّي، أنت المقدِّم وأنت**

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٦٩٦).
(٢) سُنن أبي داود: (٤٨٥٧)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع: (٤٤٨٧).
(٣) سُنن الترمذي: (٥٥)، وصححه الألباني رحمه الله في الإرواء: (١/ ١٣٤).

المؤخِّر لا إله إلاَّ أنت » [١]، والنصوصُ في هذا المعنى كثيرة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

« وقد ثبتت دائرة الاستغفار بين أهل التوحيد ، واقترانها بشهادة أن لا إله إلاَّ الله، مِن أولهم إلى آخرهم، ومن آخرهم إلى أوَّلِهم، ومن الأعلى إلى الأدنى، وشمول دائرة التوحيد والاستغفار للخلق كلهم، وهم فيها درجات عند الله، ولكلِّ عاملٍ مقامٌ معلوم، فشهادةُ أن لا إله إلاَّ الله بصدق ويقين تُذهبُ الشركَ كلَّه، دقَّه وجلَّه خطأه وعمده، أوَّلَه وآخرَه، سرَّه وعلانيتَه، وتأتي على جميع صفاتِه وخفاياه ودقائقه، والاستغفار يمحو ما بَقي من عثراته، ويَمحو الذنبَ الذي هو من شُعب الشرك، فإنَّ الذنوبَ كلَّها من شعب الشرك، فالتوحيد يُذهبُ أصلَ الشرك، والاستغفار يمحو فروعَه، فأبلغ الثناء قولُ لا إله إلاَّ الله، وأبلغُ الدعاء قول أستغفر الله » [٢]

وقد جمع النبيُّ ﷺ بين التوحيد والاستغفار في حديث أنس بن مالك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يقول ﷺ : «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ؛ ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**» [٣].

وهو حديث عظيمٌ جامعٌ لأهمِّ وأعظم أسباب مغفرة الذنوب، حيث تضمَّن الحديثُ ثلاثةَ أسباب عظيمةٍ يحصُلُ بها مغفرةُ الذنوب:

أحدها: دعاءُ الله مع رجائه، فمِن أعظم أسباب المغفرة أنَّ العبدَ إذا أذنبَ ذنبًا لَم يرج مغفرته من غير ربِّه، ويعلم أنَّه لا يغفر الذنوب إلاَّ الله تعالى.

---

(١) رواه مسلم: (٧٧١).
(٢) مجموع الفتاوى: (١١/ ٦٩٦ ٦٩٧).
(٣) سُنن الترمذي: (٣٥٤٠)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة: (١٢٧).

الثاني: الاستغفار، فإنَّ الذنوبَ ولو عظُمت وبلغت من الكثرةِ عنانَ السماء، فإنَّ الله يغفرُها إذا طلبَ العبدُ من ربِّه المغفرةَ.

الثالث: التوحيد، وهو السببُ الأعظمُ للمغفرة، فمَن فقده فقد المغفرة، ومَن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ (النساء: ٤٨، ١١٦)، فمَن جاء يوم القيامة موحِّدًا فقد أتى بأعظم أسباب المغفرةِ[1].

فهذه أبوابُ الخيرِ مفتوحةٌ، ومداخلُه مشرعةٌ، ومناراته ظاهرةٌ، فنسأله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الهداية إليها، والتوفيق لتحقيقها.

مكانة الاستغفار وحال المستغفرين:

إنَّ للاستغفار مكانةً في الدِّين عظيمة، وللمستغفرين عند الله أجورًا كريمة، وثمارُ الاستغفار ونتائجُه الحميدةُ في الدنيا والآخرة لا يحصيها إلاَّ الله، ولهذا كثرت النصوصُ القرآنية، والأحاديثُ النبويةُ المرشدةُ إلى الاستغفار، والحاثَّةُ عليه، والمبيِّنةُ لفضله وعظيمِ أجرِه.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠ ﴾ (النساء: ١١٠)، ويقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران: ١٣٥)، ويقول تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣ ﴾ (الأنفال: ٣٣)، ويقول تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ ﴾ (نوح: ١٠- ١٢).

والآياتُ في هذا المعنى كثيرة، وهي دالَّةٌ على عظيم شأن الاستغفار وتنوُّع

(١) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب رحمه الله تعالى: (ص: ٣٦٧ ٣٧٥).

فوائده وثمراته.

جاء في الأثر عن الحسن البصري رحمه الله تعالى: «أنَّ رجلًا شكى إليه الجدبَ، فقال: اسْتَغْفِرِ الله، وشكى إليه آخر الفقرَ، فقال: اسْتَغْفِرِ الله، وشكى إليه آخر جفاف بُستانه، فقال: اسْتَغْفِر الله، وشكى إليه آخر عدم الولد، فقال: اسْتَغْفِر الله، ثمَّ تلا عليهم قول الله تعالى عن نوح عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾﴾ (نوح: ١٠- ١٢)»[1].

«أي إذا تُبتُم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدر لكم الضرع، وأمدَّكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنَّات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها»[2]، وفي هذا دلالةٌ على عِظم فوائد الاستغفار، وكثرة خيراته، وتعدُّد ثمراته.

وهذه الثمرات المذكورة هنا هي مِمَّا يناله العبدُ في دنياه من الخيرات العميمة، والعطايا الكريمة، والثمرات المتنوِّعة، وأمَّا ما يناله المستغفرون يوم القيامة من الثواب الجزيل، والأجر العظيم، والرحمةِ، والمغفرةِ، والعِتقِ من النار، والسلامة من العذاَب، فأمرٌ لا يُحصيَه إلاَّ الله تعالى.

روى ابن ماجه في سُننه عن عبد الله بن بُسر- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**طوبى لِمَن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا**»، وسنده صحيح[3].
وروى الطبراني في الأوسط، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة عن الزبير- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَن أحبَّ أن تسرَّه صحيفتُه،**

(١) ذكره الحافظ في الفتح: (١١/ ٩٨).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٨/ ٢٦٠).
(٣) سُنن ابن ماجه: (رقم:٣٨١٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع: (٣٩٣٠).



فليُكثر فيها من الاستغفار »[١].

وروى أبو داود والترمذي وغيرُهما عن بلال بن يسار بن زيد، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّه سمع النبي ﷺ يقول: «**مَن قال: أستغفر الله الذي لا إله إلاَّ هو الحيُّ القيوم وأتوب إليه، غُفر له، وإن كان فرَّ من الزحفِ** »[٢].

وفي هذا الحديث دلالةٌ على أنَّ الاستغفارَ يمحو الذنوبَ سواء كانت كبائر أو صغائرَ، فإنَّ الفرارَ من الزحفِ من الكبائر.

لكن ممَّا ينبغي أن يُعلم هنا أنَّ المرادَ بالاستغفار ما اقترن به ترك الإصرار، فهو حينئذ يُعدُّ توبةً نصوحًا تجُبُّ ما قبلَها، أما إن قال المرءُ بلسانه: أستغفر الله، وهو غير مقلع عن ذنب، فهو داع لله بالمغفرة، كما يقول: اللَّهمَّ اغفر لي، وهذا طلبٌ من الله المغفرةَ ودعاءٌ بها، فيكون حكمُه حكمَ سائر الدعاء لله، ويُرجى له الإجابة.

وقد ذكر أهلُ العلم أنَّ القائلَ: أستغفر الله وأتوب إليه له حالتان:

الأولى: أن يقول ذلك وهو مصرٌّ بقلبه على الذنب، فهذا كاذبٌ في قوله: وأتوب إليه؛ لأنَّه غير تائب، فإنَّ التوبةَ لا تكون مع الإصرار من العبدِ على الذنب.

والحالة الثانية: أن يقول ذلك وهو مقلعٌ بقلبه، وعزمه، ونيَّته عن المعصية، وجمهور أهل العلم على جواز قول التائب: أتوب إلى الله، وعلى جواز أن يُعاهد العبدُ ربَّه على أن لا يعود إلى المعصية أبدًا، فإنَّ العزمَ على ذلك واجبٌ عليه، فهو مخبرٌ بما عزم عليه في الحال، وقد تقدَّم أنَّ من شروط قبول التوبة العزمَ من العبد على عدم العودةِ إلى الذنب، فإن صحَّ منه العزمُ على ذلك قُبلت توبتُه،

(١) الأوسط: (٨٣٩)، والأحاديث المختارة: (٨٩٢)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة: (٢٢٩٩).
(٢) سُنن أبي داود: (١٥١٧)، وسُنن الترمذي: (٣٥٧٧).

فإن عاد إلى الذنب مرَّة ثانية احتاج إلى توبة أخرى ليغفر له ذنبه، ولهذا فإنَّ العبدَ ما دام كذلك كلَّما أذنب تاب، وكلَّما أَخطأ استغفر فهو حريٌّ بالمغفرة، وإن تكرَّر الذنب والتوبة.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، عن النبيِّ ﷺ فيما يحكي عن ربِّه عزَّ وجلَّ ـ: قال:«**عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ:«أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»، قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى: لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ:«اعْمَلْ مَا شِئْتَ»**[١]. أي: ما دُمتَ تائبًا أوَّاهًا منيبًا.

فهذه توبةٌ مقبولةٌ وإن تكرَّر الذنبُ، فإنَّه كلَّما كرَّر العبدُ التوبةَ مستوفيًا شروطها قُبلت منه، أما الاستغفار بدون توبة فلا يستلزم المغفرةَ، بل هو سببٌ من الأسباب التي ترجى بها المغفرة.

ولا ينبغي للعبدِ أن يقنَطَ من رحمة الله تعالى وإن عظُمت ذنوبُه، وكثرت وتنوَّعت، فإنَّ بابَ التوبةِ، والمغفرَةِ، والرحمة واسعٌ، فالله يقول:﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾(الزمر: ٥٣).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « **مَنْ آيس عبادَ الله من التوبة بعد هذا ؛ فقد جَحَدَ**

---

(١)صحيح البخاري: (٧٥٠٧)، وصحيح مسلم: (٢٧٥٨).



كتاب الله -عزَّ وجلَّ- »[١].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ (التوبة: ١٠٤)، ويقول: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ (النساء: ١١٠).

وقال الله تعالى في حقِّ المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟﴾ (التوبة: ١٤٥).

وقال في شأن النصارى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ (المائدة: ٧٣ - ٧٤).

وقال في شأن الكُفَّار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ (البروج: ١٠).

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: «انظروا هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه، وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة»[٢].

مُلازمة النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم للاستغفار:

لقد كان إمامُ المرسَلين، وقدوةُ الموحِّدين، وقائدُ الغُرِّ المُحجَّلين الرسولُ الكريم ﷺ كثيرَ الاستغفار والتوبة إلى الله، مع أنَّه ﷺ قد غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ (الفتح: ١-٢).

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره: (٤/ ٥٩).
(٢) انظر تفسير ابن كثير: (٤/ ٥٨).

وفي الصحيح عن عائشة- رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -قالت:«كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى قام حتى تتفطَّر رجلاه، فقلَت له يا رسول الله: **أتصنَعُ هذا وقد غفر لك الله ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ فقال: يا عائشة، أفلا أكون عبدًا شكورًا** »[١].

قال ابن كثير رحمه الله: «هذا من خصائصه صلواتُ الله وسلامه عليه التي لا يشاركه فيها غيرُه، وليس في حديث صحيحٍ في ثواب الأعمال لغيره غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، وهذا فيه تشريفٌ عظيمٌ للرسول ﷺ، وهو صلوات الله وسلامه عليه في جميع أموره على الطاعةِ، والبرِّ، والاستقامة التي لَم ينلها بشرٌ سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو أكملُ البشر على الإطلاق، وسيِّدُهم في الدنيا والآخرة».[٢]

ومع ذلك كلِّه فقد كان صلواتُ الله وسلامه عليه يُكثر في جميع أوقاته من الاستغفارِ، وكان الصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُحصون له في مجالسه الاستغفارَ الكثيرَ.

روى مسلم في صحيحه عن الأغر المزنيّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّه ليُغان على قلبي، وإنِّي لأستغفر الله في اليوم مائة مرَّة** »[٣].

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:«**والله إنِّي لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة** »[٤].

وروى أبو داود، والترمذي، وابن ماجه عن ابن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال:«كنَّا نعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلسِ الواحدِ مائةَ مرة: ربِّ اغفر لي، وتُب عليَّ،

---

(١)صحيح البخاري: (٤٨٣٧)، وصحيح مسلم: (٢٨٢٠).
(٢) تفسير القرآن العظيم: (٧/ ٣١٠).
(٣) صحيح مسلم:(٢٧٠٢).
(٤)صحيح البخاري: (٦٣٠٨).



إنَّك أنت التواب الرحيم »[1].

وأخرج النسائي عن أبي هريرة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أنَّ رسول الله ﷺ جمع الناسَ فقال: « **يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإنِّي أتوب إليه في اليوم مائة مرة** »[2].

وقد ثبت عنه ﷺ في الاستغفار صيغٌ عديدة، منها قوله:«**أستغفر الله وأتوب إليه**»، قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:«**ما رأيتُ أحدًا أكثر من أن يقول: أستغفر الله وأتوب إليه مِن رسول الله** ﷺ »[3].

ومنها ما ثبت في الصحيحين: أنَّ أبا بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال للنبيِّ -ﷺ-:«**علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي؟ قال: قل: اللَّهمَّ إنِّي ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلاَّ أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني، إنَّك أنت الغفور الرحيم**»[4].

ومنها ما في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعريِّ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبيِّ ﷺ أنَّه كان يدعو بهذا الدعاء:«**اللَّهمَّ اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به منِّي، اللَّهمَّ اغفر لي جدِّي وهزلي، وخطأي وعمدي، وكلُّ ذلك عندي، اللَّهمَّ اغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، وما أنت أعلمُ به منِّي، أنتَ المقدِّم وأنت المؤخِّر، وأنتَ على كلِّ شيء قدير**».[5]

ومنها ما ثبت في صحيح مسلم أنَّه كان من آخر ما يقوله ﷺ بين التشهد والتسليم:«**اللَّهم اغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، وما**

---

(١) سُنن أبي داود: (١٥١٦)، وسُنن الترمذي: (٣٤٣٤)، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة: (٥٥٦).

(٢) النسائي في الكبرى: (١٠٢٦٥)، وهو عند مسلم من حديث الأغر: (٤/ ٢٠٧٦) بلفظ مقارب.

(٣) السُنن الكبرى للنسائي: (١٠٢٨٨)، وصحيح ابن حبان: (٩٢٨).

(٤) صحيح البخاري: (٨٣٤)، وصحيح مسلم: (٢٧٠٥).

(٥) صحيح مسلم: (٢٧١٩).

أسرفتُ، وما أنتَ أعلم به منِّي، أنتَ المقدِّم وأنت المُؤخِّر، لا إله إلاَّ أنت »[١].

ومنها، وهو أتمُّها وأكملُها ما ثبت في صحيح البخاري عن شدَّاد بن أوس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النبيِّ ﷺ قال:«**سيِّدُ الاستغفار أن يقول العبدُ: اللَّهمَّ أنتَ ربِّي لا إله إلاَّ أنت، خلقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدك ووعدِكَ ما استطعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوء لك بنعمَتِك عليَّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلاَّ أنتَ »**[٢].

فهذا الحديث لَمَّا كان جامعًا لمعاني التوبة، مشتملًا على حقائق الإيمان، مُتضمِّنًا لمحض العبودية، وتمام الذُّلِّ والافتقار فاق سائرَ صِيَغِ الاستغفار في الفضيلة، وارتفع عليها.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :«فتضمَّن هذا الاستغفار الاعترافَ من العبد بربوبيَّة الله وإلهيَّته وتوحيده، والاعتراف بأنَّه خالقُه، العالمُ به؛ إذ أنشأه نشأةً تستلزمُ عجزَه عن أداء حقِّه وتقصيره فيه، والاعتراف بأنَّه عبدُه الذي ناصيتُه بيده وفي قبضتِه، لا مهربَ له منه، ولا وليَّ له سواه، ثمَّ التزامُ الدخول تحت عهده وهو أمره ونهيه الذي عَهدَه إليه على لسان رسوله، وأنَّ ذلك بحسب استطاعتي، لا بحسب أداء حقِّك، فإنَّه غير مقدور للبشر، وإنَّما هو جهد المقلِّ، وقدر الطاقة، ومع ذلك فأنا مصدِّقٌ بوعدك الذي وعدته لأهلِ طاعتك بالثواب، ولأهل معصيتك بالعقاب، فأنا مقيمٌ على عهدك مُصدِّقٌ بوعدك، ثمَّ أفزع إلى الاستعاذة، والاعتصام بك من شرِّ ما فرطتُ فيه من أمركَ ونهيكَ، فإنَّك إن لَم تعذْني من شرِّه، وإلاَّ أحاطت بي الهلكة، فإنَّ إضاعةَ حقِّك سببُ الهلاك، وأنا أُقرُّ لك وألتزم بنعمتك عليَّ، وأقِرُّ وألتزم وأنجعِ بذنبي، فمنك النعمةُ والإحسانُ والفضلُ، ومنِّي الذنبُ والإساءةُ، فأسألكَ

---

(١) صحيح مسلم: (٧٧١).
(٢) صحيح البخاري: (٦٣٠٦).

أن تغفر لي بمحو ذنبي، وأن تُعفيني من شرِّه، إنَّه لا يغفر الذنوبَ إلاَّ أنتَ، فلهذا كان هذا الدَعاءُ سيِّدَ الاستغفار »[١].

ومِن صِيَغ الاستغفار التي وردت عنه ﷺ ما رواه البخاري عن عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- : أنَّها سمعت رسول الله ﷺ وأصْغَت إليه قبل أن يموت وهو مسندٌ إليها ظهرَه يقول : « **اللَّهمَّ اغفر لي، وارحمني، وألحِقني بالرفيق الأعلى** »[٢].

وفي هذا إشارةٌ إلى ملازمتِه ﷺ للاستغفار في كلِّ أوقاته، وجميع أحيانه إلى آخر لحظات حياته الكريمة صلواتُ الله وسلامه عليه، وكما أنَّه - ﷺ - كان يختم أعماله الصالحة، كالصلاة، والحج، وقيام الليل، وسائر مجالسِه بالاستغفار فقد ختم حياتَه كلَّها به »[٣].



(١) مدارج السالكين: (١/ ٢٢١ ٢٢٢).
(٢) صحيح البخاري: (٤٤٤٠).
(٣) من كتاب " فقه الأدعية والأذكار: (الجزء الأول / القسم الثاني ص:٤٩٨-٥١٠). لشيخنا العلامة عبد الرزاق ابن العلامة المحدث عبد المحسن العباد- حفظهما الله تعالى ، نقلته بصفحاته مع تصرف لحسن ترتيبه، وبديع إسلوبه، وغزير فوائده، وهكذا هو حفظه الله تعالى في جميع مؤلفاته، وكثيرًا ما أستفيد من كتبه .



11
ذكر الموت (هاذم اللذات)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**اسْتَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ، فَإِنَّهُ مَا ذَكَرَهُ أَحَدٌ فِي ضِيقٍ إِلا وَسَّعَهُ اللهُ، وَلا ذَكَرَهُ فِي سَعَةٍ إِلا ضَيَّقَهَا عَلَيْهِ**» (١).

وجاء ذكر السبب في حديث أَنَس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -؛ أَن رسول الله ﷺ مر بمجلس وهم يضحكون فقال: «**أكثروا مَن ذكر هاذم اللذات**- أحسبه قال- **فإنه ما ذكره أحد في ضيق من العيش إلاَّ وسعه عليه، ولا في سعة إلاَّ ضيقه عليه**».

قال الأسنوي في المهمات: الهاذم بالذال المعجمة هو القاطع كما قاله الجوهري وهو المراد هنا، وقد صرح السهيلي في الروض الأنف بأن الرواية بالذال المعجمة ذكر ذلك في غزوة أحد في الكلام على قتل وحشي لحمزة.

وقال الشيخ الجزري: هادم يروى بالدال المهملة أي دافعها، أو مخربها وبالمعجمة أي قاطعها واختاره بعض من مشايخنا وهو الذي لم يصحح الخطابي غيره وجعل الأول من غلط الرواة كذا في المرقاة " (٢).

قال المناوي رحمه الله تعالى في شرح الحديث: «قال العسكري: لو فكر البلغاء في هذا اللفظ لعملوا أنّ المصطفى أوفى بهذا القليل على كل ما قيل في الموت نظمًا، ونثرًا.

---

(١) أخرجه ابن حبان: (٧/ ٢٦٠)، والطبراني في الأوسط: (٨/ ٢٥٦)، والبيهقي: (٧/ ٣٥٤)، و أخرجه البزار: (٢/ ٣٢٧) عن أنس بن مالك- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٣٣٣٣)، و صحيح الجامع: (١٢١١).
(٢) تحفة الأحوذي: (٦/ ٤٨٩).



قال الغزالي: وللعارف في ذكره فائدتان: النفرة عن الدنيا، والثانية: الشوق إلى لقاء الله، ولا يصير إلى إقبال الخلق على الدنيا إلا قلة التفكر في الموت».[1]

وقال العلامة الصنعاني رحمه الله تعالى: «وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَغْفُلَ عَنْ ذِكْرِ أَعْظَمِ الْمَوَاعِظِ وَهُوَ الْمَوْتُ، وَقَدْ ذَكَرَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ فَائِدَةَ الذِّكْرِ بِقَوْلِهِ: فَإِنَّكُمْ لَا تَذْكُرُونَهُ فِي كَثِيرٍ إلَّا قَلَّلَهُ وَلَا قَلِيلٍ إلَّا كَثَّرَهُ»[2].

وفي شرح بلوغ المرام[3] يقول الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله تعالى:

(أكثروا من ذكر هاذم اللذات؛ فإنه ما ذُكر في قليل إلا كثره، ولا ذُكر في كثير إلا قلَّله) بمعنى: إنسان يعيش عيشة كفاف، ولديه القليل القليل من متاع الدنيا، فإذا ما تذكر الموت رأى أن الذي عنده كثير؛ لأنه لا يدري متى يأتيه الموت، وإذا كانت عنده كنوز قارون، وتذكر الموت؛ صارت قليلة في نظره، ماذا يفعل بها؟! لا تنفعه في شيء، وليس هناك أنفع للإنسان من دوام ذكر الموت، يهوّن عليه مصائب الدنيا وشدائدها.

وكنت دائماً أسمع من والدنا الشيخ الأمين رحمة الله تعالى علينا وعليه يزهد في الدنيا، ويبسط أمرها في قوله:

الجـوع يطرد بالرغيف اليابس ∴ فعلام تكثر حسرتي ووساوسي

كأن الدنيا ما لها قيمة. وكذلك الإنسان فيما أعطاه الله، إن كان مريضًا مبتلىً متألمًا وذكر الموت هان عليه المرض والألم، وإن كان متعافيًا وينظر إلى نفسه في حالته».

وقال المناوي أيضًا: «**(أكثروا ذكر هاذم اللذات)** قال الغزالي: أي نغصوا

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير: (١ / ٤٠٣).
(٢) سبل السلام: (٣/ ٥٤).
(٣) الدرس رقم: (٢٣١).

بذكره لذاتكم حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله (فإنه) أي الموت (لا يكون في كثير) من الأمل والدنيا (إلا قلله) أي صيره قليلًا (ولا في قليل) من العمل (إلا أجزله) أي صيره جليلًا عظيمًا كثيرًا، فإن العبد إذا قرب من نفسه موته، وتذكر حال أقرانه، وإخوانه الذين عافصهم الموت في وقت لم يحتسبوا أثمر له ما ذكر.

قالوا هذا الحديث كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة، وأبلغ في الموعظة فإنه من ذكر الموت حقيقة ذكره نقص لذته الحاضرة، ومنعه من تمنيها أجلًا، وزهده فيما كان حقيقة منها يؤمل، لكن النفوس الراكدة، والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعظ، وتزويق الألفاظ وإلا ففي قوله عليه الصلاة والسلام أكثروا إلى آخره مع قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، لم يكف السامع له ويشف الناظر فيه، ومن ثم قال معبد الجهيني: نعم مصلحة القلب ذكر الموت يطرد فضول الأمل، ويكف عزب التمني، ويهون المصائب، ويحول بين القلب والطغيان.

وقال الحكماء: من ذكر المنية نسي الأمنية.

وقال الحافظ: وجد مكتوبًا على حجر لو رأيت يسير ما بقي من عمرك لزهدت في ما ترجو من أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، وأقصرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غدًا ندمك. لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، وتبرأ منك القريب، وانصرف عنك الحبيب. وقال التميمي: شيئان قطعا عني لذة النوم ذكر الموت، والوقوف بين يدي الله -عَزَّوَجَلَّ- وكان عمر بن عبد العزيز يجمع الفقراء فيتذكرون الموت، والقيامة، والآخرة، فيبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة.

قال عنبسة بن سعيد: دخلت على عمر بن عبد العزيز أودعه، فلما ودعته



وانصرفت، نادى: «يا عنبسة» مرتين، فأقبلت عليه، فقال: **«أكثر من ذكر الموت، فإنك لا تكون في واسع من الأمر إلا ضيقه عليك، ولا تكون في ضيق من الأمر إلا وسعه عليك»** (١).

وكان الثوري إذا ذكر الموت لا ينتفع به أيامًا فإن سئل عن شيء قال: لا أدري لا أدري.

وقال اللفاف: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة.

ومن نسيه عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة. فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله فكفى بالموت مفرحًا للقلوب، ومبكيًا للعيون، ومفرقًا للجماعة، وهاذمًا للذات، وقاطعًا للأمنيات» (٢).

معنى الحديث في كلام السلف رحمهم الله تعالى:

قال صلة بن أشيم لمعاذة: «ليكن شعارك الموت، فإنك لا تبالين على يسر أصبحت من الدنيا، أم على عسر».

وقال شميط بن عجلان: «من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها».

قيل: «ولا يدخل ذكر الموت بيتًا إلا رضي أهله بما قسم لهم».

وقال المروذي: «كان أبو عبد الله يعني الإمام أحمد إذا ذكر الموت خنقته العبرة، وكان يقول: هان علي كل أمر الدنيا إذا ذكرت الموت إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنما هي أيام قلائل، ما أعدل بالفقر شيئًا، ولو

---

(١) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا: (٨٥).
(٢) فيض القدير: (٢ / ٨٥).

وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذكر».

وقال بعض العلماء:«من ذكر الموت هانت عليه مصائب الدنيا».

وقال أبو نعيم الأصبهاني: حدثنا محمد بن إبراهيم، ثنا عبدالله بن جابر، ثنا عبد الله بن خبيق، ثنا عبد الله بن السندي قال:«كتب مبارك إلى أخيه سفيان يشكو إليه ذهاب بصره فكتب إليه يا أخي فهمت كتابك تذكر فيه شكايتك ربك اذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام » (1).

قد قلت:

إذا مدحوا الحياة فأكثروا ∴ في الموت ألف فضيلة لا تعرف

أمره ﷺ بتذكر الموت:

ولأهمية ذكر الموت، وأمر الآخرة كان النبي ﷺ يحث أصحابه، ويوجه الأمة لذكرها فمن ذلك:

عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ- رَضيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ:زَارَ النَّبىُّ - ﷺ - قَبْرَ أُمِّه فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ:«**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّى فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ** » (2).

« لأن الإنسان إذا شاهد القبور تذكر الموت وما بعده، وفيه عظة واعتبار، وكان ربيع بن خثيم إذا وجد غفلة يخرج إلى القبور ويبكي ويقول: كنا وكنتم ثم يحيي الليل كله عندهم، فإذا أصبح كأنه نشر من قبره » (3).

«و ليس للقلوب سيما القاسية أنفع من زيارة القبور، فزيارتها وذكر الموت يردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ويذهب الفرح بالدنيا، ويهون

(1) حلية الأولياء: (٧/ ٢٢).
(2) رواه مسلم: (٩٧٦).
(3) فيض القدير:(٤ / ٦١).



المصائب، وزيارة القبور تبلغ في دفع رين القلب، واستحكام دواعي الذنب ما لا يبلغه غيرها، فإنه وإن كان مشاهدة المحتضر تزعج أكثر لكنه غير ممكن في كل وقت وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في كل أسبوع بخلاف الزيارة، وللزيارة آداب منها أن يحضر قلبه ولا يكون حظه التطوف على الأجداث فقط ؛ فإنها حالة تشاركه فيها البهائم بل يقصد بها وجه الله، وإصلاح فساد قلبه... » [١].

عَنْ أَنَس– رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: إن رَسُولُ الله – ﷺ – قَالَ: « **كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ أَلا فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبِ، وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ، وَلاَ تَقُولُوا هُجْرًا**» .[٢]

قال النووي رحمه الله تعالى: والهجر: الكلام الباطل، وكان النهي أولًا لقرب عهدهم من الجاهلية فربما كانوا يتكلمون بكلام الجاهلية الباطل، فلما استقرت قواعد الإسلام، وتمهدت أحكامه، واشتهرت معالمه أبيح لهم الزيارة، واحتاط ﷺ بقوله: (ولا تقولوا هجرا).

قلت: ولا يخفي أن ما يفعله العامة وغيرهم عند الزيارة من دعاء الميت والاستغاثة به، وسؤال الله بحقه لهو من أكبر الهجر والقول الباطل، فعلى العلماء أن يبينوا لهم حكم الله في ذلك، ويفهموهم الزيارة المشروعة والغاية منها » [٣].

وقد قال الصنعاني في (سبل السلام) (٢ / ١٦٢) عقب أحاديث في الزيارة والحكمة منها: (الكل دال على مشروعية زيارة القبور، وبيان الحكمة فيها،

(١) فيض القدير: (٤ / ٦٧)
(٢) أخرجه الحاكم: (١ / ٣٧٦) بسند حسن، انظر كتاب " أحكام الجنائز " للعلامة الألباني: (١ / ١٨٠).
(٣) المجموع: (٥ / ٣١٠).

وأنها للاعتبار...، فإذا خلت من هذه لم تكن مرادة شرعًا).[١]

وعلمنا النبي عليه الصلاة والسلام معنى الحياء الذي يريده الله، ورسوله، ومن معانيه ذكر الموت فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:« **اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ للهِ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَاءَ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ** »[٢].

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى :«قوله: (وليذكر الموت والبلى) لأن من ذكر أن عظامه تصير بالية، وأعضاؤه متمزقة هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة، وأهمه ما يلزمه من طلب الآجلة، وعمل على إجلال الله وتعظيمه.

وهذا معنى قوله: (ومن أراد الآخرة) أي الفوز بنعيمها (ترك زينة الدنيا) لأن الآخرة خلقت لحظوظ الأرواح، وقرة عين الإنسان، والدنيا خلقت لمرافق النفوس وهما ضرتان: إذا أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى، فمن أراد الآخرة وتشبث بالدنيا كان كمن أراد أن يدخل دار ملك دعاه لضيافته وعلى عاتقه جيفة، والملك بينه وبين الدار عليه طريقه وبين يديه ممره وسلوكه فكيف يكون حياؤه منه ؟ فكذا مريد الآخرة مع تمسكه بالدنيا، فإذا كان هذا حال من أراد الآخرة فكيف بمن أراد من ليس كمثله شيء ؟ ، فمن أراد الله فليرفض جميع ما سواه استحياء منه بحيث لا يرى إلا إياه »[٣].

* وفي حديث أنس بن مالك- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وصية النبي ﷺ بذكر الموت في الصلاة حتى يخشع في صلاته، ويحسن أدائها، إذ يقول النبي ﷺ :« **اذكر الموت**

(١) أحكام الجنائز: (١ / ١٧٩).
(٢) رواه الترمذي: (٢٤٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٣٣٣٧).
(٣) فيض القدير: (١ / ٤٨٧).

في صلاتك، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحري أن يحسن صلاته، و صل صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها،و إياك و كل أمر يعتذر منه» [١].

وفي هذا المعنى أيضًا وصية النبي ﷺ في حديث أبي أيوب-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي وَأَوْجِزْ، قَالَ: **إِذَا قُمْتَ فِي صَلاتِكَ فَصَلِّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ، وَلا تَكَلَّمْ بِكَلامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ، وَاجْمَعِ الْيَأْسَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ »** [٢].

فعلى المؤمن أن يخشع في الصلاة التي هو فيها فإنه لا يدري لعلها تكون هذه هي آخر صلواته، ليلقى الله بقلب خاشع، وعمل صالح .

وقد خاطب جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ النبي ﷺ بحقيقة غفل عنها كثير من الناس، وتناسوها في واقعهم، وحياتهم.

فعن علي بن أبي طالب- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَالَ:«يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ» [٣].

ولكي يجمع الله للمؤمن شمله، ويكفيه ما أهمه، عليه أن يجعل الآخرة همه.

فعن أنس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قال: قال رسول الله ﷺ ـ:**«مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلا مَا**

---

(١) قال الألباني في السلسلة الصحيحة: (٣ / ٤٠٨):«أخرجه الديلمي في " مسند الفردوس ": (١ / ١/ ٥١ – مختصره).

(٢) أخرجه ابن ماجهْ: (٤١٧١)، و أحمد: (٥ / ٤١٢)، و أبو نعيم في " الحلية ": (١ / ٤٦٢)، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة": (١ / ٦٨٧، ٤٠١).

(٣) أخرجه الطبراني في " الأوسط ":(١ / ٦١ / ٢ – من الجمع بينه و بين" الصغير ") و السهمي في " تاريخ جرجان": (٦٢)، وأبو نعيم في " الحلية ": (٣ / ٢٥٣)، و الحاكم: (٤ / ٣٢٤ – ٣٢٥). انظر السلسلة الصحيحة رقم: (٨٣١).

قُدِّرَ لَهُ »[١].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده تحمّل الله عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حوائجه كلها، وحمل عنه كلّ ما أهمّه، وفرّغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته، وإن أصبح وأمسى والدنيا همه حمّله الله همومها، وغمومها، وأنكادها، ووكَلَه إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم، فهو يكدح كدح الوحوش في خدمة غيره.

فكلّ من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلِيَ بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الزخرف: ٣٦).[٢]

واذكـــر المـــوت تجـد راحــة ∴ في ذكـر المـوت تقصير الأمل

أهمية تذكر الموت:

في زحمة الدنيا، والاغترار ببهرجتها، وزينتها نسي كثير من الناس الموت، وركنوا إلى الدنيا، وغفلوا عن حقيقة محتومة، لا مفر منها، ولا مهرب إلا إليها، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (الجمعة:٨).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ (ق:١٩)، ويوم يجيء لا محيد ولامناص، ولا فكاك ولا خلاص.

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب ∴ متى حط ذا عن نعشه ذاك يركب

نؤمل آمــالًا ونـرجـو نتاجها ∴ وعل الـردى مما نرجوه أقرب

(١) رواه الترمذي: (٢٣٨٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٦٥١٠).
(٢) الفوائد: (ص: ١٥٩).



فليس مخلوق على وجه هذه الأرض، ولا نفس في هذه الحياة إلا وقد كتب عليه الموت، وعُزيت قبل أن تفارق الحياة قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأنبياء:٣٥).

الموت باب وكل الناس داخله ∴ ياليت شعري بعد الموت ما الدار ؟

قال ثابت البناني رحمه الله تعالى: «طوبى لمن ذكر ساعة الموت، وما أكثر عبد ذكر الموت إلا رؤي ذلك في عمله».

ومن هؤلاء القعقاع بن حكيم الذي قال: «قد استعددت للموت منذ ثلاثين سَنَة ، فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء».

ونحن دهانا ذكر الموت والحديث فيه، بل الكثير يغضب إذا ذكر الموت، ويرى أنه لا داعي لتكدير حياة الناس، وإفساد مجالسهم بذكر الموت، ومواعظه.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾ (الأنعام:٩٣) ، إن هذا الموت يا عباد الله آت لا محالة، كيف بأمر إذا نزل قطَّع الأوصال، أمر يقطع أوصالك، ويفرقٍ أعضاءك، ويهدم أرٍكانك؟ إنه حقًا أمرٌ عظيمٌ وخطبٌ جسيم، وإن يومه لهو اليوم العظيم، قال ابن مسعود رحمه الله تعالى: «ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله».

وهذا الأمر قد نسيناه، دهانا مجرد ذكر الموت والحديث فيه، والكثير يغضب إذا ذكر الموت ويقول: تنغص علينا حياتنا وعيشتنا، تنغص علينا أكلنا ومعيشتنا، وذِكر الموت ليس لتكدير حياة الناس وإفساد مجالسهم ونزع السعادة منهم، ولكن لإصلاح حالهم وتنوير قلوبهم، وجعلهم مستعدين للقاء الله والقدوم عليه.

قيل للحسن رحمه الله تعالى: «يا أبا سعيد ! كيف نصنع؟ نجالس أقوامًا

يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير، فقال: والله أن تخالل أقوامًا يخوفونك حتى يدركك أمنٌ؛ خيرٌ من أن تصحب أقوامًا يؤمنونك حتى يدركك الخوف».

وقال رحمه الله تعالى :«كان من كان قبلكم يقربون هذا الأمر، كان أحدهم يأخذ ماءً لوضوئه ثم يتنحى لحاجته مخافة أن يأتيه أمر الله وهو على غير طهارة، فإذا فرغ من حاجته توضأ».

موت الْفُجَاءَةِ:

عن أنس بن مالك- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال:«**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرَى الْهِلَالُ قَبَلًا**[١]**، فَيُقَالُ هَذَا ابْنُ لَيْلَتَيْنِ، وَأَنْ يَمُرَّ الرَّجُلُ بِالْمَسْجِدِ فَلَا يُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَمَوْتُ الْفُجَاءَةِ**».[٢]

وعَنْ عُبَيْدِ بْنِ خَالد السُّلَمِيِّ - رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ مَرَّةً عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ قَالَ:«**مَوْتُ الْفَجْأَةِ أَخْذَةُ أَسَفٍ**».[٣]

وقد بوب البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز بقوله:«باب موت الفجأة البغتة" ثم ساق حديث عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :«**إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا قَالَ:«نَعَمْ»**.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى :«وَالْفُجَاءَة: بِضَمِّ الْفَاء وَبَعْد الْجِيم مَدّ ثُمَّ هَمْز، وَيُرْوَى بِفَتْحِ ثُمَّ سُكُون بِغَيْرِ مَدّ، وَهِيَ الْهُجُوم عَلَى مَنْ لَمْ يَشْعُر بِهِ. وَمَوْت الْفَجْأَة وُقُوعه بِغَيْرِ سَبَب مِنْ مَرَض وَغَيْره» .[٤]

---

(١) قال في فيض القدير: (٦ / ١٠):(بفتح القاف والباء أي: يرى ساعة ما يطلع لعظمه ووضوحه من غير أن يتطلب).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط: (٩/ ١٤٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه: (٧/ ٥٠٢). وهو حسن انظر حديث رقم: (٥٨٩٩) في صحيح الجامع.

(٣) أخرجه أبو داود:(٣١١٢)، (صحيح) انظر حديث رقم: (٦٦٣١) في صحيح الجامع.

(٤) فتح الباري لابن حجر: (٤ / ٤٦٩).



يقول العلامة عبد الرحمن الجبرين رحمه الله تعالى :«وموت الفجأة له صور كثيرة، فمنها ما يسمى بالسكتة القلبية، بأن تتوقف حركة القلب، ويحصل بعدها الموت في تلك اللحظة، ولا يتمكن الأهالي من العلاج ولا من استدعاء الأطباء، لحصول تلك السكتة بغتة بدون مقدمات آلام أو أمراض، ومن صورها الغشية والإغماء الذي يحصل بعده خروج الروح، يحصل الموت فجأة، ولا يكون هناك مقدمات، ولا علامات قبل هذه الغيبوبة، فتحصل الوفاة في تلك اللحظات.

ومن الصور ما تكاثر من الحوادث المرورية للسيارات،والتي يحصل بسببها موت العديد من أفراد وجماعات،وذلك بسبب تهور بعض السائقين وركوبهم الأخطار،وتعرضهم لأسباب الحوادث، فتارة بالسرعة الجنونية، والتي يكون من آثارها حوادث الانقلاب والاصطدام، وينتج عن ذلك زهوق أرواح في تلك اللحظة، أو الموت دماغيًا زيادة على الخسائر الفادحة بالجراحات، وإتلاف السيارات وما أشبهها، وأحيانًا يكون بسبب غلبة النوم، والنعاس على قائد السيارة ، مما يحصل بسببه الكثير من الحوادث باصطدام أو انقلاب، أو خروج عن الطريق، ووقوع في حفر أو مرتفعات، أو اصطدام بحجارة، أو حيطان، أو صبات في حواجز الطرق، وتارة يكون بسبب خلل في السيارات، كما يكون في انفجار العجلات، والتي تسمى كفرات، أو اختلال الأذرعة، أو الفرامل، ويحصل بسبب ذلك اختلال في السير، وارتباك في التصرف يكون ذلك سببًا في الانقلاب وحصول الوفيات. ومن صور موت الفجأة ما يحصل بالقتال مع اللصوص، والصائلين، وقطاع الطرق.

الذين يعرضون للناس، ومعهم أسلحة فتاكة، ويطلبون منهم أخذ ما معهم من الأموال، أو فعل الفاحشة بالنساء والصبيان، وإذا حصلت مقاومة كان

هناك قتل، وإطلاق للنار، وسفك للدماء وذلك من أسباب موت الفجأة. وإذا مات فجأة لا يجوز تجهيزه حتى يتحقق موته ويعلن خروج روحه، وعلامات ذلك انخساف صدغيه، وميل أنفه، وغيبوبة سواد عينيه في البالغين، وانفصال كفيه بأن تسترخي عصبة اليد، وتنخلع الكف من الذراع وتبقى كأنها منفصلة في جلدتها عن عظم الزند وكذا استرخاء رجليه ولينها، واسترسالها بعد خروج الروح، وكذا امتداد جلدة وجهه، وأوضح علامات الموت تغير رائحته، ولا ريب أن هذه العلامات دالة على موته يقينًا، وسبب تأخير تجهيزه إذا مات فجأة مخافة أن يكون عرضت له سكتة قلبية، وقد يفيء بعد يوم أو يومين، كما حصل ذلك كثيرًا.

وقد روي عن الإمام أحمد قال: (أكره موت الفوات)، وسبب الكراهية لما فيه من خوف حرمان الوصية، وفوات الاستعداد للمعاد بالتوبة وغيرها من الأعمال الصالحة، وذلك لأن الإنسان في صحته يأمل حياة طويلة، ويتهاون بكتابة الوصية وما له وما عليه مع أن ذلك مندوب مؤكد، لقول النبي ﷺ : «**ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا وصيته مكتوبة عنده**».

ولكن كثيرًا من الناس يتهاون بها له وما عليه، فيأتيه الموت فجأة قبل أن يتمكن من كتابة وصيته فتضيع الحقوق التي له والتي عليه، ومع ذلك فقد روي عن عائشة وابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- :«**مَوْتُ الْفَجْأَةِ رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَأَسَفٌ عَلَى الْفَاجِرِ**»، ولعل ذلك أن المرض والألم الطويل تستثقله النفس، ويعتريها الضجر، والألم، وعدم التحمل، حتى يتمنى الموت للتخلص من ذلك الألم » [(١)].

---

(١) من فتوى للشيخ العلامة عبد الرحمن الجبرين رحمه الله تعالى من موقعه على النت.

كان الإمام البخاري -رحمه الله- يقول:

اغتنم في الفراغ فضلَ ركوع ∴ فعسى أن يكون موتُك بغتة
كم صحيح رأيتُ من غير سُقْم ∴ ذَهَبَتْ نفسُه الصحيحةُ فلتة

« ثم إن موت الفجأة يحتمل أن يكون خيرًا، ويحتمل أن يكون شرًا، وذلك بحسب اختلاف حال المتوفى، وما له عند الله عَزَّوَجَلَّ : فإذا كان المتوفَّى من أهل الصلاح والخير، وله عند الله من الحسنات والأعمال الصالحة ما يُرجَى أن تكون نورًا بين يديه يوم القيامة: جميع صور الموت بالنسبة له من الخير، سواء موت الفجأة، أو بعد معاناة سكرات الموت: موت الفجأة رحمة، وتخفيف، وعفو من رب العباد، فلا يجد من ألم الموت، وشدة سكراته، ومعاناة مرضه شيئًا يذكر. وإن وقع له ذلك ولم يكن موته فجأة كان تكفيرًا لسيئاته، ورفعة لدرجاته عند الله، وذلك تصديق لما أخبر النبي ﷺ أن أمر المؤمن كله له خير، وأن موت المؤمن راحة له من نصب الدنيا وعذابها، إلى نعيم الآخرة.

أما إذا كان المتوفَّى من المقصرين، أو الفسقة الظلمة، أو الكفرة: فموت الفجأة بالنسبة له نقمة وغضب، إذ عوجِل بالموت قبل التوبة، ولم يمهل كي يستدرك ما مضى من تفريطه وتقصيره، فأُخذَ أخذةَ انتقام وغضب كما وصف النبي ﷺ فقال: «**مَوْتُ الْفَجْأَةِ أَخْذَةُ أَسَفٍ** » رواه أبو داود.

ولما كان الجزم بصلاح النفس أو تقصيرها من الأمور العسرة، وتتفاوت فيها القلوب، وتتنازعها أسباب الورع والخوف، أو الثبات واليقين، وجدنا في الآثار عن السلف بعض الاختلاف في نظرتهم لموت الفجأة، فمَن غَلَّبَ جانب الخوف من الله، وظنَّ في نفسه التقصير: كان يستعيذ من موت الفجأة، ويرجو أن يكفر الله خطاياه بمعالجة سكرات الموت، ومَن غَلَّب جانب الرجاء، وسعة

رحمة الله: رأى في موت الفجأة فرجًا ورحمةً،وعفوًا من الله -عَزَّوَجَلَّ- .

فإذا قرأنا عن السلف كلامًا عن موت الفجأة ظاهره التعارض، فهو في الحقيقة والباطن ليس اختلاف تعارض، وإنما اختلاف تنوع.

عن عبد الله بن مسعود وعائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قالا: «أسف على الفاجر وراحة للمؤمن: يعني الفجأة " انتهى.[1]"

وعن تميم بن سلمة، قال: مات منا رجل بغتة، فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ أخذة غضب، فذكرته لإبراهيم - وقل ما كنا نذكر لإبراهيم حديثًا إلا وجدنا عنده فيه - فقال: كانوا يكرهون أخذة كأخذة الأسف.[2]

لم يثبت عن النبي ﷺ دعاء خاص يحفظ من موت الفجأة، وما ينتشر في المنتديات عن ذلك الدعاء الذي يكتب لمن قاله أجر (٣٦٠) حجة، ويحفظ من موت الفجأة وغير ذلك، إنما هو كذب موضوع لا أصل له في كتب السُّنَّة، وقد سبق أن بينا ذلك في جواب السؤال رقم: (١٢٦٦٣٥)، (١٢٧٦١٥).

والأولى أن يدعو الإنسان بما كان النبي ﷺ يدعو به:

عَنْ عَبْد اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ:كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُول اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**» رواه مسلم (٢٧٣٩)والله أعلم[3].



(١) مصنف ابن أبي شيبة " (٣/ ٣٧٠)، " السُنن الكبرى " للبيهقي (٣/ ٣٧٩).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة " (٣/ ٣٧٠)
(٣) من فتوى للشيخ محمد بن صالح المنجد في موقع الإسلام سؤال وجواب فتوى رقم: ١٣٥٣١٤ .بتصرف.

12 الصَّــلاة

عَنْ حُذَيْفَةَ بْن اليَمَان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: «**كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى** »[١].

وعَنْ سَالِمِ بْن أَبِى الْجَعْد قَالَ: قَالَ رَجُلٌ - قَالَ مِسْعَرٌ أُرَاهُ مِنْ خُزَاعَةَ -: لَيْتَنِى صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ، فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «**يَا بِلاَلُ أَقِمِ الصَّلاَةَ أَرِحْنَا بِهَا**». [٢].

وعن أَنَس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ** »[٣].

وعن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - « **أن رسول الله ﷺ قام من الليل، و امرأة تصلي بصلاته، فلماَ أحس، التفت إليها،فقال لها: اضطجعي إن شئت، قالت: إني أجد نشاطًا، قال:«إنك لست مثلي إنما جعل قرة عيني في الصلاة** »[٤].

سروري من الدهر لقياكم ∴ ودار سلامي مغناكم
وأنتم منتهى أملي ما حييت ∴ وما طاب عيشي لولاكم
إذا ازدحمت في فؤادي الهموم ∴ أروح قلبي بذكراكم
فلا تنسوا العهد فيما مضى ∴ فلسنا مدى الدهر ننساكم

---

(١) رواه أبوداود: (١٣٢١). وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (٤٧٠٣) ومعنى: (حزبه):هو بحاء مهملة، ثم زاى مفتوحتين، ثم موحدة أى نابه وألم به أمر شديد.
(٢) رواه أبوداود: (٤٩٨٥)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع: (٧٨٩٢).
(٣) رواه النسائي: (٣٩٣٩)، وأحمد: (٣/ ١٢٨).
(٤) أخرجه ابن نصر في " الصلاة ": (٦٨ / ٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة :(١١٠٧).

قال العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى : «وكما أن الصوم ثمرته تطهير النفس، و ثمرة الزكاة تطهير المال، و ثمرة الحج وجوب المغفرة، و ثمرة الجهاد تسليم النفس إليه، التي اشتراها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من العباد، وجعل الجنة ثمنها؛ فالصلاة ثمرتها الإقبال على الله، و إقبال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على العبد، وفي الإقبال على الله في الصلاة جميع ما ذكر من ثمرات الأعمال، وجميع ثمرات الأعمال في الإقبال على الله فيها.

و لهذا لم يقل النبي ﷺ : جعلت قرة عيني فِي الصوم، ولا في الحج و العمرة، و لا في شيء من هذه الأعمال و إنما قال:«**جُعِلَت قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**».

و تأمل قوله:«**وَجُعِلَت قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»، و لم يقل:«بالصلاة»، إعلامًا منه بأن عينه لا تقر إلا بدخوله كما تَقَر عين المحب بملابسته لمحبوبه، و تقر عين الخائف بدخوله في محل أنسه و أمنه، فقرة العين بالدخول في الشيء أمن وأكمل مِن قرة العين به قبل الدخول فيه، و لما جاء إلى راحة القلب من تعبه ونصبه قال:«يا بلال أرحنا بالصلاة».

لماذا الراحة بالصلاة ؟:

أي: أقمها لنستريح بها من مقاساة الشواغل كما يستريح التعبان إذا وصل إلى مأمنه، و منزله و قرَّ فيه، و سكن وفارق ما كان فيه من التعب، و النصب.

و تأمل كيف قال:«**أرحنا بالصّلاة**» و لم يقل:«أرحنا منها»، كما يقوله المتكلف الكاره لها، الذي لا يصليها إلا على إغماض و تكلف، فهو في عذاب ما دام فيها، فإذا خرج منها وجد راحة قلبه و نفسه ؛ و ذلك أنَّ قلبه ممتلئ بغيره، و الصلاة قاطعة له عن أشغاله، و محبوباته الدنيوية، فهو معذَّب بها حتى يخرج منها، و ذلك ظاهر في أحواله فيها، من نقرها، و التفات قلبه إلى غير ربه، وترك الطمأنينة و الخشوع فيها، و لكن قد عَلِمَ أنَّه لا بدّ له من أدائها،



فهو يؤديها على أنقص الوجوه، قائل بلسانه ما ليس في قلبه، ويقول بلسان قلبه حتى نصلي فنستريح من الصلاة، لا بها ، فهذا لونٌ و ذاك لونٌ آخر.

ففرق بين مَن كانت الصلاة لجوارحه قيدًا ثقيلًا، و لقلبه سجنًا ضيقا حرجًا، ولنفسه عائقًا، و بين مَن كانت الصلاة لقلبه نعيمًا، و لعينه قرةً، ولجوارحه راحةً، و لنفسه بستانًا و لذةً.

فالأول: الصلاة سجن لنفسه، و تقييد لجوارحه عن التورط في مساقط الهلكات، و قد ينال بها التكفير و الثواب، أو ينال من الرحمة بحسب عبوديته لله تعالى فيها، و قد يعاقب على ما نقص منها.

و القسم الآخر: الصلاة بستان له، يجد فيها راحة قلبه، و قرّة عينه، و لذَّة نفسه، و راحة جوارحه، و رياض روحه، فهو فيها في نعيم يتفكَّه، و في نعيم يتقلَّب يوجب له القرب الخاص والدنو، والمنزلة العالية من الله عَزَّوَجَلَّ، و يشارك الأولين في ثوابهم، بل يختص بأعلاه، و ينفرد دونهم بعلو المنزلة والقربة، التي هي قدر زائد على مجرد الثواب» (١).

وأمر الله عَزَّوَجَلَّ بالاستعانة بالصلاة عند الشدائد، والكرب ؛ قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ (البقرة: ٤٥) .

فالصلاة سلوة الحزين، وفرج للمكروب، وصاحب الأنين، وقد جاء في فضائلها من النصوص الكثير جدًا، ليؤكد رب العالمين على أهمية هذه الصلاة، وضرورتها للمسلم في الحياة.

أهمية الصلاة في الشريعة الإسلامية:

الصلاة هي الفريضة الوحيدة التي فرضها الله في السماء، وكلم بها نبيه محمدًا ﷺ دون واسطة رسول الوحي جبريل -عليه الصلاة والسلام - فاستدعى

(١) أسرار الصلاة: (٣٠-٣٢).

الله نبيه إلى السموات العلى، وعند سدرة المنتهى لهذه الفريضة العظيمة.

فعَنْ أَنَس بْن مَالك عَنْ مَالك بْن صَعْصَعَةَ -رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ نَبيَّ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَة أُسْريَ به فقال:« **... ثُمَّ فُرضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْم فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بمَا أُمرْتَ؟. قَالَ: أُمرْتُ بخَمْسينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْم. قَالَ: إنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطيعُ خَمْسينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْم، وَإنِّي وَالله قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَني إسْرَائيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَة، فَارْجعْ إلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفيفَ لأُمَّتكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إلَى مُوسَى. فَقَالَ مثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إلَى مُوسَى فَقَالَ مثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إلَى مُوسَى فَقَالَ مثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَأُمرْتُ بعَشْر صَلَوَات كُلَّ يَوْم فَرَجَعْتُ فَقَالَ مثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمرْتُ بخَمْس صَلَوَات كُلَّ يَوْم فَرَجَعْتُ إلَى مُوسَى فَقَالَ: بمَ أُمرْتَ ؟. قُلْتُ: أُمرْتُ بخَمْس صَلَوَات كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ إنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطيعُ خَمْسَ صَلَوَات كُلَّ يَوْم وَإنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَني إسْرَائيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَة، فَارْجعْ إلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفيفَ لأُمَّتكَ. قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ. قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ أَمْضَيْتُ فَريضَتي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عبَادي**»[1].

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى في هذا الحديث:«اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها»[2].

والصلاة عماد الدين، وركنه المتين، بنص حديث المصطفى الأمين حيث روي عَنْ مُعاذ بن جَبَل- رَضيَ اللهُ عَنْهُ - عن رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أنه قَالَ:«**رَأْسُ هَذَا الأَمْر: الإسْلَامُ، وَمَنْ أَسْلَمَ سَلمَ، وَعَمُودُهُ:**

(١) رواه البخاري: (٣٨٨٧)، ومسلم: (١٦٤).
(٢) تفسير القرآن العظيم: (٣/ ٢٥).



الصَّلاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ: الْجِهَادُ »[١].

ومعنى عمود الدين: أي أصله، وأسه فالصلاة تحقيق للعبودية، وأداء حق الربوبية فَمَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّين، وَمَنْ تَرَكَها فَقَدْ هَدَم الدِّينَ، فقوام الدين ليس إلا بها كما أن البيت لا يقوم إلا على عموده.

ومما يزيد الصلاة شرفًا، وأهمية وفضلًا أنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وصلاح أعمال المسلم مرهونة بصلاحها.

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ:« **إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ** »[٢].

و عن أنس بن مالك- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال:« **أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح له سائر عمله و إن فسدت فسد سائر عمله** »[٣].

فما يفيد الإنسان بعد ذلك أعماله وإن كثرت إذا كان حاله مع الصلاة مزري، لا يحافظ على أوقاتها، ولا يهتم بشروطها، وواجباتها، بعيد عن الخشوع، قليل التحقيق لمعانيها. وأعظم من هذا أن يكون في عداد التاركين لها، المفرطين في أدائها ولا حول ولا قوة إلا بالله، ونعوذ بالله من الخذلان.

---

(١) رواه الترمذي: (٢٦١٦)، وابن ماجهْ: (٣٩٧٣)، وصححه الألباني في الصحيحة: (٣٢٨٤)، وصحيح الترغيب والترهيب:(٢٨٦٦).

(٢) رواه الترمذي: (٤١٣)، والنسائي: (٤٦٥).

(٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (١٣٥٨) وقال رحمه الله :«رواه الطبراني في الأوسط » (١٣ / ٢ من زوائده) .

الصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ** »[١].

وعن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِي - ﷺ - فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -:«**الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ صَدَقْتَ** »[٢].

فضل الصلاة، والترغيب في الإكثار منها:

عَنْ أَبِى مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -:«**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ. وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ- أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا**»[٣].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَرَجَ زَمَنَ الشِّتَاءِ، وَالْوَرَقُ يَتَهَافَتُ، فَأَخَذَ بِغُصْنَيْنِ مِنْ شَجَرَةٍ قَالَ: فَجَعَلَ ذَلِكَ الْوَرَقُ يَتَهَافَتُ. قَالَ: فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ. قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ:«**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ**

---

(١) رواه البخاري: (٨)، ومسلم: (١٦).
(٢) رواه مسلم: (٨).
(٣) رواه مسلم: (٢٢٣).

لِيُصَلِّ الصَّلَاةَ يُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللهِ فَتَهَافَتُ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا يَتَهَافَتُ هَذَا الْوَرَقُ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ »[١].

وعن مَعْدَانُ بْنُ أَبِى طَلْحَةَ الْيَعْمَرِىُّ قَالَ لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُول الله - ﷺ - فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِى بعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِى اللهُ به الْجَنَّةَ. أَوْ قَالَ قُلْتُ: بأَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَى الله. فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ، فقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذلك رَسُولَ الله - ﷺ - فَقَالَ: «**عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُود لله فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لله سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً**». قَالَ مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ لِى مِثْلَ مَا قَالَ لِي ثَوْبَانُ[٢].

عَنْ عُبَادَةَ بْن الصَّامت رَضِي اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ، قَالَ: « **مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لله سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً فَأَكْثِرُوا مِنَ السُّجُودِ** »[٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**الصَّلاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ، فَمَن اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَكْثِرَ فَلْيَسْتَكْثِرْ**»[٤].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ- رَضِي اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ الله - ﷺ - قَالَ وَفِى حَدِيث بَكْرٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله - ﷺ - يَقُولُ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا ببَاب أَحَدكُمْ يَغْتَسلُ منْهُ كُلَّ يَوْم خَمْسَ مَرَّات هَلْ يَبْقَى منْ دَرَنه شَىْءٌ**». **قَالُوا: لاَ يَبْقَى منْ دَرَنه شَىْءٌ، قَالَ**: « **فَذَلكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا** »[٥].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ -رضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «**صَلاَةُ الرَّجُلِ**

---

(١) رواه أحمد: (٥/ ١٩٧).

(٢) رواه مسلم: (٤٨٨).

(٣) رواه ابن ماجه: (١٤٢٤). وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٣٨٢).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط: (١/ ٨٤). وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (٣٨٦).

(٥) أخرجه البخاري: (٥٢٨)، ومسلم: (٦٦٧). ودرنه: أي وسخه.

فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِه فِي بَيْتِه وَصَلاَتِه فِي سُوقِه بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لاَ يَنْهَزُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلاَةِ مَا كَانَتِ الصَّلاَةُ هِيَ تَحْبِسُهُ وَالْمَلاَئِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ »[١].

حال السلف مع الصلاة، وأنسهم بها:

عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ﴾

(المؤمنون: ٢).

قال: «كانوا إذا قاموا في الصلاة، أقبلوا على صلاتهم، وخفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم، وعلموا أن الله يُقبل عليهم، فلا يلتفتون يمينًا ولا شمالًا».

يقول العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى: «فاعلم أنه لا ريب أن الصلاة قرة عُيون المحبين، و لذة أرواح الموحدين، و بستان العابدين، و لذة نفوس الخاشعين، و محك أحوال الصادقين، و ميزان أحوال السالكين، و هي رحمةُ الله المهداة إلى عباده المؤمنين.

هداهم إليها، و عرَّفهم بها، و أهداها إليهم على يد رسوله الصادق الأمين، رحمة بهم، و إكرامًا لهم، لينالوا بها شرف كرامته، و الفوز بقربه لا لحاجة منه إليهم، بل منَّة منه، و تفضّلا عليهم، و تعبَّد بها قلوبهم و جوارحهم جميعًا، و جعل حظ القلب العارف منها أكمل الحظين و أعظمها ؛ و هو إقباله على ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفرحه و تلذذه بقربه، و تنعمه بحبه، و ابتهاجه بالقيام بين يديه، وانصرافه حال القيام له بالعبودية عن الالتفات إلى غير معبوده، وتكميله حقوق عبوديته ظاهرًا، و باطنًا حتى تقع على الوجه الذي يرضاه ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) رواه البخاري: (٤٧٧)، ومسلم: (٦٤٩).

ولما امتحن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عبده بالشهوة و أشباهها من داخل فيه و خارج عنه، اقتضت تمام رحمته به و إحسانه إليه أن هيأ له مأدبة قد جمعت من جميع الألوان، و التحف، و الخلع، و العطايا، و دعاه إليها كل يوم خمس مرَّات، و جعل في كل لون من ألوان تلك المأدبة، لذة و منفعة، و مصلحة و وقار لهذا العبد، الذي قد دعاه إلى تلك المأدبة ليست في اللون الآخر، لتكمل لذة عبده في كل من ألوان العبودية، و يُكرمه بكلِّ صنفٍ من أصناف الكرامة، و يكون كل فعل من أفعال تلك العبودية مُكفّرًا لمذمومٍ كان يكرهه بإزائه، و يثيبه عليه نورًا خاصًا، فإن الصلاة نور، و قوة في قلبه و جوارحه، و سعة في رزقه، و محبة في العباد له، و إن الملائكة لتفرح و كذلك بقاع الأرض، و جبالها و أشجارها، و أنهارها تكون له نورًا و ثوابًا خاصًا يوم لقائه.

فيصدر المدعو من هذه المأدبة و قد أشبعه و أرواه، وخلع عليه بخلع القبول، و أغناه، و ذلك أن قلبه كان قبل أن يأتي هذه المأدبة، قد ناله من الجوع، و القحط، و الجدب، و الظمأ، و العري، و السقم ما ناله، فصدر من عنده، و قد أغناه، و أعطاه من الطعام، و الشراب، و اللباس، و التحف ما يغنيه »[١].

حال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الصلاة:

عَنْ ثَابت عَنْ مُطَرِّف عَنْ أَبيه قَالَ:**«رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يُصَلِّى وَفِى صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –»**[٢].

وعن عطاء قال:«دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فقال عبد الله بن عمير: حدثنا بأعجب شيء رأيته من رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فبكت،

(١) أسرار الصلاة: (١-٢).

(٢) رواه أبوداود: (٩٠٤)، والنسائي: (١٢١٤). انظر صحيح أبي داود: (٨٤٠) للألباني«الأزيز» هو صوت القدر عند غليان الماء. و«المرجل» بوزن منبر قدر من نحاس، وقد يطلق على كل قدر يطبخ فيه. والمعنى أنه يجيش جوفه ويغلي من البكاء من خشية الله تعالى.

وقالت:«قام ليلة من الليالي فقال: يا عائشة ذريني أتعبد لربي، قالت: قلت: والله، إني لأحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بل حجره، ثم بكى.

فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، و جاء بلال يؤذن بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله تبكي و قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر؟ قال:«**أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟**، لقد نزلت علي الليلة آيات ويل لمن قرأها و لم يتفكر فيها: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ﴾ (آل عمران:١٩٠) [(١)].

وعن علي بن أبي طالب– رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قال:«ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، وقد رأيتنا وما فيناَ قائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح » [(٢)].

خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام وصلاته عند الشدائد:

عَنْ مُحَمَّد بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ– رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: لم يكذب إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَط إِلّا ثَلاثَ كَذَبَات ، ثنتين ذَات الله قَوْلُهُ:﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ٨٩ ﴾.وَقَوْلُهُ:﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ وَوَاحِدَةً فِي شَأْنِ سَارَةَ، فَإِنَّهُ قَدمَ أَرْضَ جَبَّار وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاس فقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّك امْرَأَتِي يَغْلبْنِي عَلَيْك، فَإِنْ سَأَلَك فَأَخْبرِيه أَنَّك أُخْتي، فَإِنَّك أُخْتي في الإِسْلاَم فَإِنِّي لاَ أَعْلَمُ في الأَرْض مُسْلماً غَيْرِي وَغَيْرَك، فَلَما دَخَلَ أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّار أَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لاَ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلاَّ لَكَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِىَ بِهَا فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ

(١) رواه أبو الشيخ ابن حبان في « أخلاق النبي ﷺ »: (٢٠٠ – ٢٠١)، و ابن حبان في «صحيحه»: (٥٢٣ – الموارد).

(٢) رواه ابن حبان: (٦/ ٣٢).وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.



عَلَيْه السَّلامُ إِلَى الصَّلاَة فَلَمَّا دَخلَتْ عَلَيْه لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسطَ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً فَقَالَ: لَهَا ادْعِ اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلاَ أَضُرُّك. فَفعَلَتْ فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ منَ الْقَبْضَة الأُولَى، فَقَالَ: لَهَا مثْلَ ذَلك فَفعَلَتْ، فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ منَ الْقَبْضَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ، فَقَالَ: ادْعِ اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي فَلَكِ اللهَ أَنْ لاَ أَضُرَّك. فَفَعَلَتْ وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا، فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي وَأَعْطِهَا هَاجَرَ. قَالَ: فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ انْصَرَفَ فَقَالَ لَهَا: مَهْيَمْ. قَالَتْ: خَيْرًا كَفَّ اللهُ يَدَ الْفَاجِرِ وَأَخْدَمَ خَادِمًا. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ » [(١)].

ومن أخبار السلف، وحبهم للصلاة، وأنسهم بها:

* كان أبو بكر- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يبكي في الصلاة حتى لا يسمع الناس قراءته، فعَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:« لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَجَعُهُ قِيلَ لَهُ فِي الصَّلاَةِ فَقَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَرَأَ غَلَبَهُ الْبُكَاءُ » [(٢)].

وعن محمد بن زيد:« أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان له مهراس فيه ماء، فيصلي فيه ما قدر له، ثم يصير إلى الفراش، فيغفي إغفاءة الطائر، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي، يفعل ذلك في اليوم أربع مرات، أو خمسة». [(٣)]

وعن سعيد بن المسيب:«أن أبا سفيان بن الحارث كان يصلي في الصيف نصف النهار، حتى تكره الصلاة، ثم يصلي من الظهر إلى العصر » [(٤)].

ولما أسلم سهل بن عمر خطيب قريش- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كان كثير الصلاة،

---

(١) رواه البخاري: (٣٣٥٨)، ومسلم: (٢٣٧١).
(٢) رواه البخاري: (٦٨٢).،ومسلم: (٤١٨).
(٣) سير أعلام النبلاء: (٣/ ٢١٥). والمهراس: صخرة منقورة تسع كثيرًا من الماء.
(٤) المصدر السابق: (١/ ٢٠٥).

والصوم، والصدقة، وخرج بجماعته إلى الشام مجاهدًا، ويقال: ظانه صام وتهجد حتى شحب لونه وتغير، وكان كثير البكاء إذا سمع القرآن [(١)].

وكان عامر بن عبد قيس يصلي من طلوع الشمس إلى العصر، فينصرف وقد انتفخت ساقاه فيقول: « يا أمارة السوء، إنما خلقت للعبادة » [(٢)].

وقيل له: أما تسهو في صلاتك ؟. قال: «أو حديث أحب إلي من القرآن حتى أشتغل به !! هيهات، مناجاة الحبيب تستغرق الإحساس »[(٣)].

ومن أخبار زين العابدين بن علي- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - مع الصلاة أنه كان إذا توضأ أصفر.

وعن أبي نوح الأنصاري قال: وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين وهو ساجد، فجعلوا يقولون: يابن رسول الله، النار، فما رفع رأسه حتى طفيت، فقيل له في ذلك، فقال: «ألهتني عنها النار الأخرى».

وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، فقيل له، فقال: تدرون بين يدي من أقوم، ومن أناجي.[(٤)]

وقال جعفر بن حيان: «ذكر لمسلم بن يسار قلة التفاته في صلاته، فقال: وما يدريكم أين قلبي ؟.

وعن ميمون بن حيان قال: ما رأيت مسلم بن حيان ملتفتًا في صلاته قط خفيفةً ولا طويلةً، ولقد انهدمت ناحية من المسجد، ففزع أهل السوق لهدمه، وإنه لفي المسجد في الصلاة، فما التفت » [(٥)].

---

(١) المصدر السابق: (١/ ١٩٤ـ ١٩٥).
(٢) المصدر السابق: (٤١٨).
(٣) المدهش: (ص: ٤٧٢).
(٤) سير أعلام النبلاء: (٤/ ٣٩١ـ ٣٩٢).
(٥) الحلية: (٢/ ٢٩٠ـ ٢٩١).



إذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهم ∴ جعلت اشتغالي فيك يا منتهى شغلي

فمن لي بأن ألقاك في ساعة الرضا ∴ ومن لي بأن ألقاك والكل لي من لي

ولما احتُضر عبد الرحمن بن الأسود النخعي: «بكى، فقيل له ؟، فقال: أسفًا على الصلاة، والصوم، ولم يزل يتلو حتى مات »[(١)].

وقال الأعمش: «كان إبراهيم التيمي إذا سجد كأنه جذم حائط ينزل على ظهره العصافير » [(٢)].

ومن حبهم للصلاة، وأنسهم بها تمنى ثابت البناني الصلاة في القبر. قال يوسف بن عطية سمعت ثابتًا يقول لحميد الطويل: «هل بلغك يا أبا عبيد أن أحدًا يصلي في قبره إلَّا الأنبياء ؟. قال: لا. قال ثابت: اللهم إن أذنت لأحد أن يصلي في قبره فائذن لثابت أن يصلي في قبره»[(٣)].

وهكذا إذا ذاق العبد حلاوة الصلاة، ومناجاة ربه، فأي نور بعد هذا؟! الصلاة نور في الدنيا، ونور في الآخرة، ويكفي أنها مما يعين العبد في دنياه، ويسعده في آخرته، ولقد كان ابن عباس في سفر له، فلما أتاه خبر أخيه قثم بن العباس، فقيل له: إن أخاك قد مات، فتنحى عن الركب وقام يصلي، فقيل له: لماذا تصلي وقد بلغك خبر موت أخيك؟ قال: إن الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ ﴾(البقرة:١٥٣)، وقال الله: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥ ﴾(البقرة:٤٥).

وما من مسلم تنزل به نازلة، فيتوضأ ويستقبل القبلة، ويصلي ركعتين إلا شرح الله صدره، وفرج عنه ما به من الهم.

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٥/ ١١ـ ١٢).
(٢) المصدر السابق: (٥/ ٨٤).
(٣) حلية الأولياء: (٢/ ٣١٨).

13 تسبيح المولى - عزَّ وجلَّ - والسجود له

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (الحجر: ٩٧ – ٩٩).

كان النبي ﷺ كلما آذاه الأعداء إذا دعاهم إلى الإسلام. رجع إلى مولاه فتسلى بعلمه، ونظره إليه، وقربه منه، واشتغل بمناجاته، وذكره، ودعائه، وخدمته، فنسي كل ما أصابه من الألم من أجله، وقد أمره الله بذلك في القرآن في مواضع كثيرة نحو قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الطور: ٤٧ – ٤٩).

وقوله: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ (طه: ١٣٠).

وفيما تقدم من الأسباب التي تنفرج بها الكرب ذكر الله تعالى، والتسبيح من ذكر الله تعالى، ولكن رب العزة أعلم نبيه بفضيلة خاصة للتسبيح في تفريج الكرب، وذهاب ضيق الصدر.

والتسبيح له شأن عظيم، فهو من أجلِّ الأذكار المقربة إلى الله، ومن أفضل العبادات الموصلة إليه، وقد جاء في بيان فضله، وشرفه، وعِظم قدره نصوصٌ كثيرة في الكتاب والسُّنَّة، بل إنَّ ما ورد في ذلك لا يُمكن حصرُه لكثرته وتعدّده، وقد ورد ذكر التسبيح في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرة، بصيغ مختلفة وأساليب متنوِّعة، فورد تارة بلفظ الأمر كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

(الأحزاب: ٤١- ٤٢).

وتارة بلفظ الماضي كما في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ (الحشر: ١).

وتارة بلفظ المضارع كما في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ (الجمعة: ١).

وتارة بلفظ المصدر كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

(الصافات: ١٨٠ -١٨٢).

وقد ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التسبيح في مُفتتح ثمان سُوَر من القرآن الكريم، فقال تعالى في أول سورة الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ (الإسراء: ١).

وقال تعالى في أول سورة النحل: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ (النحل: ١ ٢).

وقال تعالى في أوّل سورة الحديد: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ (الحديد: ١).

وقال تعالى في أوّل سورة الحشر: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ (الحشر: ١).

وقال تعالى في أول سورة الصف: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ (الصف: ١).

وقال تعالى في أول سورة الجمعة: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ (الجمعة: ١)، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أول سورة التغابن: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ (التغابن: ١).

وقال تعالى في أول سورة الأعلى: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ (الأعلى: ١-٥).

إنَّ هذه النصوص القرآنية الكريمة وما جاء في معناها في كتاب الله لتدل أوضح دلالة على جلالة قدر التسبيح، وعظيم شأنه من الدين، وأنَّه من أجَلِّ الأذكار المشروعة، ومن أنفع العبادات المقربة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

ولنعرف أكثر عن التسبيح علينا أن نقف على بعض النصوص النبويّة الواردة في فضل التسبيح، والدّالة على عظيم شأنه، ورفيع مكانته. إذ السُّنَّة مليئةٌ بالنصوص الدّالة على عظيم شأن التسبيح، وشريف قدره، وجزيل ثواب أهله، وبيان ما أعدّ الله لهم من أجورٍ كريمةٍ، وأفضالٍ عظيمةٍ، وعطايا جمَّةٍ:

ومن ذلك أنَّ النبيّ ﷺ أخبر أنَّ التسبيح أفضل الكلام وأحبُّه إلى الله، فعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ. لاَ يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ**»[1].

وهو أفضل الكلام فعَنْ أَبِى ذَرٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - سُئِلَ أي الْكَلَامِ أَفْضَلُ قَالَ: «**مَا اصْطَفَى اللهُ لِمَلاَئِكَتِهِ، أَوْ لِعِبَادِهِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»[2].

ومِن فضائل التسبيح ما أخبر به النبيُّ ﷺ أنَّ مَن قال: سبحان الله وبحمده

(١) أخرجه مسلم: (٢١٣٧).
(٢) أخرجه مسلم: (٢٧٣١).

في يومٍ مائة مرّة حُطَّت عنه ذنوبُه ولو كثُرت. ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**»(١).

وثبت عنه ﷺ أنَّ من قالها في الصّباح مائة مرّة وفي المساء مائة مرّة، لم يأتِ أحدٌ يومَ القيامة بأفضلَ مما جاء به، إلاّ مَن قال مثل ذلك وزاد عليه. عَنْ أبى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ. لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ**»(٢).

وثبت عنه ﷺ أنَّ من قالها في يوم مائة مرّة كُتبت له ألفُ حسنة، أو حُطَّت عنه ألفُ خطيئة، والحسنةُ بعشر أمثالها. فعَنْ سَعْد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - فَقَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ». فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ**»(٣).

ومما ورد في فضل التسبيح إخبار النبيِّ ﷺ عن ثِقل التسبيح في الميزان يوم القيامة مع خفّة ويسر العمل به في الدنيا. ففي الصحيحين عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**»(٤).

وقوله ﷺ في الحديث: «كلمتان» هي خبرٌ مقدَّمٌ مُبتَدَؤُه «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»، قال بعض أهل العلم: «والنكتة في تقديم الخبر تشويقُ السّامع إلى المبتدأ، وكلّما طال الكلام في وصف الخبر حسُن تقديمه؛

---

(١) أخرجه البخاري: (٦٤٠٥)، ومسلم: (٢٦٩١).
(٢) أخرجه مسلم: (٢٦٩٢).
(٣) أخرجه مسلم: (٢٦٩٨).
(٤) أخرجه البخاري: (٦٤٠٦)، و مسلم: (٢٦٩٤).

لأنَّ كثرةَ الأوصاف الجميلة تزيد السّامع شوقًا »[١].

وقد وُصفت الكلمتان في الحديث بثلاثة أوصاف جميلةٍ عظيمةٍ، وهي أنَّهما حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان.

وقد خُصَّ لفظ الرحمن بالذِّكر هنا؛ لأنَّ المقصود من الحديث بيانُ سِعة رحمة الله تعالى على عباده حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل، والأجر العظيم، فما أيسرَ النطق بهاتين الكلمتين على اللسان، وما أعظم أجر ذلك، وثوابه عند الكريم الرحمن، وقد وُصفت الكلمتان في الحديث بالخفّة والثقل، الخفّة على اللسان والثقل في الميزان، لبيان قلّة العمل وكثرة الثواب. فما أوسعَ فضلَ الله، وما أعظمَ عطَاءَه.

ومن فضائل هذه الكلمة العظيمة، ما رواه الترمذي، وابن حبّان، والحاكم، وغيرهم، من طريق أبي الزبير عن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**مَن قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غُرست له نخلةٌ في الجنَّةِ**»[٢].

ومن فضائلِ هذه الكلمة ما ثبت من حديث عَنْ نَافع بن جُبَيْر، عَنْ أَبيه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- : **مَنْ قَالَ: «سُبْحَانَ الله، وَبحَمْده، سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبحَمْدك، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا أَنْتَ، أَسْتَغْفرُكَ وَأَتُوبُ إلَيْكَ، فَقَالَهَا في مَجْلس ذكْرٍ كَانَ كالطَّابَعِ يُطْبَعُ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَالَهَا في مَجْلِسِ لَغْوٍ، كَانَتْ كَفَّارَةً لَهُ**»[٣].

وعَن أَبي هُرَيْرَةَ - رَضيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ**

---

(١) فتح الباري لابن حجر: (١٣/ ٥٤٠).
(٢) رواه الترمذي: (٣٤٦٤)، وابن حبان: (٨٢٦،٨٢٧)، و الحاكم: (١/ ٥٠١)، وصححه العلاّمة الألباني في السلسلة الصحيحة: (٦٤). ٢ المصنف:(٦/ ٥٦). ٣ المسند:(٣/ ٤٤٠).
(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير: (١٥٨٦)، والحاكم في المستدرك: (١/ ٥٣٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (٨١).



ذَلكَ: سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبحَمْدكَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ »(١).

فهذه جملةٌ من الأحاديث الواردة في التسبيح، والدّالة على عظيم فضله وثوابه عند الله، وفي أكثر هذه الأحاديث قُرن مع التسبيح حمدُ الله تعالى؛ وذلك لأنَّ التسبيح هو تنزيه الله عن النقائص والعيوب، والتحميدُ فيه إثباتُ المحامد كلّها لله عَزَّوَجَلَّ، والإثبات أكملُ مِنَ السّلب، ولهذا لم يَرد التسبيحُ مجرّدًا، لكن ورد مقرونًا بما يدلّ على إثبات الكمال، فتارةً يُقرنُ بالحمدَ كما في هذه النصوص، وتارةً يُقرنُ باسم من الأسماء الدّالة على العظمة والجلال، كقول: سبحان الله العظيم، وقول: سبحان ربّي الأعلى، ونحو ذلك.

التسبيح فيه قوة للبدن، ووقاية من المجاعة:

التسبيح فيه قوة للبدن والدليل على أن التسبيح يقوي البدن ما جاء في الحديث الصحيح عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى حَدَّثَنَا عَلِيٌّ: «**أَنَّ فَاطِمَةَ رضي الله عنها ـ أَتَتْ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنْ الرَّحَى، وَبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَقِيقٌ فَلَمْ تُصَادِفْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ قَالَ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا نَقُومُ فَقَالَ: عَلَى مَكَانِكُمَا، فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى بَطْنِي فَقَالَ: أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا، أَوْ أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**»(٢).

وقد جاء في الحديث أيضًا، أن التسبيح يقيت الناس، عندما لا يكون هناك طعام ولا شراب، وهذا ليس في الآخرة بل في الدنيا، يأتي على الناس وقت لا يجدون فيه طعامًا، ويعيشون مدة طويلة بدونه فما يقيتهم، وما يقويهم،

(١) رواه الترمذي: (٣٤٣٣)، وابن حبان: (٥٩٤)، والحاكم: (١/٥٣٦)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع: (٦١٩٢).
(٢) رواه البخاري: (٥٣٦١)، ومسلم: (٢٧٢٧).

وما يبقيهم على قيد الحياة؟، قال النبي ﷺ في حديث الدجال المشهور من حديث أبي أمامة- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن رسول الله ﷺ وفيه: «**وَإِنَّ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ ثَلَاثَ سَنَوَاتَ شِدَادٍ يُصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ يَأْمُرُ اللهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى أَنْ تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فِي الثَّانِيَةِ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ مَطَرِهَا وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ فَتَحْبِسُ مَطَرَهَا كُلَّهُ فَلَا تُقْطِرُ قَطْرَةً وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسُ نَبَاتَهَا كُلَّهُ فَلَا تُنْبِتُ خَضْرَاءَ فَلَا تَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ إِلَّا هَلَكَتْ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ. قِيلَ فَمَا يُعِيشُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ؟. قَالَ: التَّهْلِيلُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ وَيُجْرَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مُجْرَى الطَّعَامِ**»[1].

إذًا يقوم هذا بالنسبة لهم مقام الطعام، ويكفيهم عن الطعام! هذا التسبيح لعظمة أجره، وفائدته في الدنيا وفي الآخرة.

تسبيحُ جميع الكائنات لله تعالى:

إنَّ الله تعالى لكمال عظمته، ولتمام ملكه وعزَّته، تسبِّحُ له جميعُ الكائنات، من سماء، وأرض، وجبال، وأشجار، وشمس، وقمر، وحيوان، وطيرٍ، وإنْ مِن شيءٍ إلاّ يُسبِّح بحمده.

يقول الله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾(الإسراء: ٤٤).

ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾ (سبأ: ١٠).

ويقول تعالى: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (الأنبياء: ٧٩).

---

(١) رواه ابن ماجهْ: (٤٠٧٧). وانظر حديث رقم: (٧٨٧٥) في صحيح الجامع.



وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ (ص: ١٨).

فهذه النصوص العظيمة تدلُّ دلالة ظاهرة أنَّ جميعَ الكائنات تسبِّح الله عَزَّوَجَلَّ، فالحيوانات تسبِّح لله، والنباتات تسبِّح لله، والجمادات تسبِّح لله، وإنْ مِن شيءٍ خلقه الله إلاّ يسبِّح بحمد الله عَزَّوَجَلَّ، وإنْ كُنّا لا نفقه تسبيحه، وهو تسبيحٌ حقيقيٌّ يصدرِ من هذه الكائنات بلسان المقال، وليس بلسان الحال كما يدّعيه بعضهم، والله جَلَّوَعَلَا يجعل لهذه الكائنات إدراكات تسبِّح بها يعلمها هو جَلَّوَعَلَا ونحن لا نعلمها، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤).

تسبيح الملائكة لله تعالى:

الملائكة عباد الله المقربون، وأصفياؤه المكرمون، ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦)، ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (فصلت: ٣٨).

ويبيِّن الله تعالى في آيات أخرى تنزيه ملائكته له، وتسبيحهم بحمده، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا﴾ (غافر: ٧).

وقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ (الأنبياء: ١٩-٢٠)، وقوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

(الصافات ١٦٥- ١٦٦).

وعن عَليِّ بْنُ حُسَيْنٍ أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عَبَّاس- رَضِيَ الله عَنْهُ - قَالَ: أَخْبَرَني رَجُلٌ مِنْ أَصْحَاب النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الأنْصار أَنَّهُمْ بيْنَما هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رُمِىَ بِنَجمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَاذا

كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ - قَالَ - فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَوَاتِ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَيُرْمَوْنَ بِهِ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ**».

تسبيح الجمادات لله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤).

فكل شيءٍ حتى الجمادات تسبح بحمد الله تعالى، ومنها الجبال:

لما كان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ يقرأ في الزبور ما تملك الجبال إلا أن تسبح معه من جمال صوته عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولذلك قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ: ١٠). قال مجاهد: «سبحي معه».

وقال تعالى عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ (ص: ١٨).

قال النووي رحمه الله تعالى بعد أن أشار إلى ما قيل في المراد بالتسبيح، قال: « والصحيح أنَّه يسبِّح حقيقة، ويجعل الله تعالى فيه تمييزًا بحسبه » [(١)].

ومن الجمادات التي سبحت: الطعام بين يدي النبي ﷺ؛ كما جاء في الحديث

(١) شرح صحيح مسلم: (١٥/ ٢٦).

الصحيح عَنْ عَبْد الله بن مسعود- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: «**كُنَّا نَعُدُّ الْآيَات بَرَكَةً وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا كُنَّا مَعَ رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - فِي سَفَرٍ فَقَلَّ الْمَاءُ، فَقَالَ: اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاء فَجَاءُوا بِإِنَاء فِيه مَاءٌ قَلِيلٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاء ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَك وَالْبَرَكَةُ مِنْ الله، فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْن أَصَابِع رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ**» [(١)].

وسبحت الحصى بين يديه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - فعن أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قَالَ: «**إِنِّي لَشَاهِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - فِي حَلْقَة، وَفِي يَده حَصًى، فَسَبَّحْنَ فِي يَده، وَفِينَا أَبُو بَكْر، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، فَسَمِعَ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَة، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَسَبَّحْنَ مَعَ أَبِي بَكْر، سَمِعَ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَة، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -فَسَبَّحْنَ فِي يَدَه، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -إِلَى عُمَرَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَده، وَسَمِعَ تَسْبِيحَهُنَّ مَن فِي الْحَلْقَة، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِه، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيْنَا، فَلَمْ يُسَبِّحْنَ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا**» [(٢)].

ولا شكّ أنَّ تسبيح الحصى الصغار والطعام أعجبُ وأبلغُ من تسبيح الجبال، ولذا فإنَّ المعجزة لنبيِّنا محمد ﷺ في ذلك أبلغُ من المعجزة لنبيِّ الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ في تسبيح الجبال معه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: «وأمّا تسبيح الطّير مع داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فتسبيح الجبال الصمّ أعجبُ من ذلك، وقد تقدّم في الحديث أنّ الحصا سبّح في كفِّ رسول الله ﷺ،...ولا شكّ أنَّ صدور التسبيح من الحصا الصغار الصمّ التي لا تجاويف فيها أعجبُ مِن صدور ذلك من الجبال لما فيها

(١) رواه البخاري: (٣٥٧٩).
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط: (٢/ ٥٩).

من التجاويف، والكهوف، فإنَّها وما شاكلها تردّد صدى الأصوات العالية غالبًا كما قال عبد الله بن الزبير: كان إذا خطب وهو أمير المدينة بالحرم الشريف تجاوبه الجبال أبو قبيس وزَرُود، ولكن من غير تسبيح، فإنَّ ذلك من معجزات داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومع هذا كان تسبيح الحصا في كفِّ رسول الله ﷺ ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان أعجب». (١)

تسبيح الطير له تعالى:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ (سبأ: ١٠).

قال عبد الله بن عباس - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- : « كانت الطير تسبح معه إذا سبح وكان إذا قرأ لم تبق دابة إلا استمعت لقراءته، وبكت لبكائه».

إكرام الله لأهل الجنة بالتسبيح:

إن من كرامة الله تعالى لأهل الجنة، ومن النعيم الذي يرزقهم إياه في الجنة هو التسبيح، واللهج به .

ومن فضل الله عليهم أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس، فعَنْ جَابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمعْتُ النَّبي -ﷺ - يَقُولُ:«**إنَّ أَهْلَ الْجَنَّة يَأْكُلُون فيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلاَ يَتْفُلُونَ، وَلاَ يَبُولُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَمْتَخطُونَ**» . **قَالُوا فَمَا بَالُ الطَّعَام؟. قَالَ:«جُشَاءٌ، وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ، وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ** » (٢).



(١) البداية والنهاية: (٦/ ٢٨٦).
(٢) أخرجه مسلم: (٢٨٣٥).

14
العطف على اليتيم ورحمته

عن أبي الدرداء- رَضيَ اللهُ عَنْهُ - قال:«أتى النبي ﷺ رجل يشكو قسوة قلبه، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -:«**أَتُحبُّ أَنْ يَلينَ قَلْبُكَ؟**»، **فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ:«أَدْن الْيَتيمَ منْكَ، وَامْسَحْ رَأْسَهُ، وَأَطْعمْهُ منْ طَعَامكَ؛ فَإِنَّ ذَلكَ يُلينُ قَلْبَكَ، وَتَقْدرُ عَلَى حَاجَتكَ**». (١)

فهذا الرجل عرض على النبي ﷺ كربة من كرب الدنيا، بل أعظم الكرب على الإطلاق أن يضيق القلب، ويقسو الفؤاد، ومن كان كذلك يقول تعالى عنه: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ** ﴿١٢٤﴾ ﴾ (طه: ١٢٤).

فكثير من الناس لاينظر لمصيبة قلبه، وكرب فؤاده بقدر ما ينظر إلى دنياه، ولو علم هؤلاء لأدركوا أن من أعظم أسباب الكرب، هو قسوة القلب.

وقد أرشد النبي الكريم ﷺ هذا الرجل إلى علاج نافع، ودواء ناجع، تكشف به كربته، وتحل به قسوته، ويدرك حاجته، وينال بغيته.

هذا العلاج هو العطف والحنان، والرحمة والإحسان، والرفق والإطعام لليتيم الذي فقد عائله، ورحل عنه مؤنسه، ومات أبوه وهو عضده، وكافله.

فضل كفالة اليتيم، والإحسان إليه:

والنصوص في الشريعة كثيرة، ومتناثرة متواترة في بيان فضل كفالة اليتيم، وما اعد الله للمحسنين لهذه الفئة من الثواب الجزيل، والأجر العظيم.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في " الحلية ": (١ / ٢١٤). انظر السلسلة الصحيحة: (٨٥٤).



الإحسان إلى اليتامى نجاة من النار:

قال تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ (البلد:١١-١٦).

قال قتادة رحمه الله تعالى: «للنار عقبة دون الجنة فلا اقتحم العقبة، ثم أخبر عن اقتحامها فقال: فكُ رقبة، أو إطعام في يوم ذي مسغبة ».

قال القرطبي رحمه الله تعالى: (يعلمك أن الصدقة على القرابة أفضل منها على غير القرابة، كما أن الصدقة على اليتيم الذي لا كافل له أفضل من الصدقة على اليتيم الذي يجد من يكفله)[1].

الإحسان إليهم من صفات الأبرار:

قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ (الإنسان:٨).

قال ابن عباس ومجاهد: (على قلته وحبهم إياه، وشهوتهم له) [2].

رعاية اليتيم سبب لبقاء الأمم:

قال المستورد القرشي عند عمرو بن العاص- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -، يَقُولُ: « **تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ**»، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -، قَالَ: **لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ**»[3].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: (١٠/ ٤٦٣).
(٢) تفسير القرطبي: (١٠/ ٢٧٧).
(٣) أخرجه مسلم: (٢٨٩٨).

النهي عن الإساءة إلى اليتيم:

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ (الضحى:٩).

قال القرطبي رحمه الله تعالى:«ودلت الآية على اللطف باليتيم، وبره والإحسان إليه، حتى قال قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم »[١].

وقال:«وخص اليتيم لأنه لا ناصر له غير الله تعالى، فغلظ في أمره، بتغليظ العقوبة على ظالمه» أ.هـ.

الإساءة إلى اليتيم من صفات الكفار:

قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ ﴾ (الماعون:١-٣).

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى: ﴿ يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ أي: يدفعه بعنف، لأن الدع هو الدفع بعنف كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ ﴾ (الطور:١٣)، أي دفعًا شديدًا، فتجد اليتيم إذا جاء إليه يستجديه شيئًا أو يكلمه في شيء يحتقره ويدفعه بشدة فلا يرحمه»[٢].

كافل اليتيم جار النبي ﷺ في الجنة:

عن سهل بن سعد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا" وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى**، **وفي رواية:**«**كَهَاتَيْنِ، وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى** »[٣].

قال ابن بطال رحمه الله تعالى: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: (١٠/ ٤٨٨).
(٢) تفسير جزء عم: (ص٣٣١).
(٣) أخرجه البخاري: (٦٠٠٥)، والترمذي: (١٩١٨).

قال ابن حجر رحمه الله تعالى:«قلت قد تقدم الحديث في كتاب اللعان، وفيه (وفرج بينهما) أي بين السبابة والوسطى، وفيه إشارة إلى أن بين درجة النبي ﷺ وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى، وهو نظير الحديث الآخر: (**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَة كَهَاتَيْنِ**) الحديث». ا.هـ.[1]

وقال أيضًا:«ويكفي في ثبات قرب المنزلة من المنزلة أنه ليس بين الوسطى والسبابة إصبع أخرى».

وقال الحافظ رحمه الله تعالى:«وقال شيخنا - العراقي - في شرح الترمذي: (لعل الحكمة في كون كافل اليتيم يشبه في دخول الجنة أو شبهت منزلته في الجنة بالقرب من النبي ﷺ، أو منزلة النبي ﷺ لكون النبي شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم، فيكون كافلا لهم ومعلما، ومرشدًا، وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه، ويرشده ويعلمه ويحسن أدبه، فظهرت مناسبة ذلك. ا.هـ ملخصًا».

وقال رحمه الله تعالى :«(قوله: **وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةَ**) في رواية الكشميني (السباحة) بمهملة بدل الموحدة الثانية، والسباحة هي الأصبع التي تلي الإبهام، سميت بذلك لأنها يُسبح بها في الصلاة، فيشار بها في التشهد لذلك، وهي السبابة أيضًا لأنها يُسب بها الشيطان حينئذ" ا.هـ[2].

وعلى كلٍ فالإسلام قد أمر بالإحسان لهذه الثُلة من البشر، لضعفها ووحدتها في هذا المجتمع، ومن أجل ذلك رتب على كفالتها ورعايتها تلك الأجور العظيمة، فحري بالأمة أن تنهض بهذا الحق العظيم، تجاه الأيتام.

من هو اليتيم؟:

قال ابن السكيت:«اليتيم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم،

---

(١) الفتح:(١/ ٤٣٦) .
(٢) الفتح: (١٠/ ٤٣٧)



ولا يُقال لمن فقد الأم من الناس يتيم، ولكن منقطع »[(١)].

قال ابن قدامة رحمه الله تعالى:«واسم اليتيم يطلق عليه في العرف للرحمة» ، وقال:«فاليتامى هم الذين لا آباء لهم، ولم يبلغوا الحُلُم »[(٢)].

قلت: فتلخص لنا من هذا التعريف:

أولًا: أن اليتيم هو من فقد أباه. وأما من فقد أمه فليس بيتيم وإنما أسماه أهل اللغة: العجي، ومن مات أبواه يقال له: اللطيم.

ثانيًا: أن تظهر عليه علامات البلوغ كالإنبات واحتلام الغلام، وحيض الجارية، وبعضهم قال: إن سن البلوغ خمس عشرة سَنَة وهو قول أكثر أهل العلم.

وعن علي بن أبي طالب – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قال رسول الله ﷺ : « لا يُتم بعد احتلام»[(٣)].

قال في عون المعبود: (قال ابن رسلان: أي إذا بلغ اليتيم، أو اليتيمة زمن البلوغ الذي يحتلم غالب الناس زال عنهما اسم اليتيم حقيقة وجرى عليهما حكم البالغين سواء احتلما أم لم يحتلما، وقد يطلق عليهما مجازًا بعد البلوغ كما كانوا يسمون النبي ﷺ وهو كبير يتيم أبي طالب، لأنه رباه). أ.هـ[(٤)].

التبني لليتيم، الإحسان لليتيم، ورحمته لا تعني بالضرورة المخالفة للشرع، والبعد عن الهدي الرباني في كفالته والإحسان إليه، ومن ذلك التبني لليتيم، ونسبته للشخص الكافل له وهذا محرم تحريماً ظاهرًا ؛ لقوله تعالى:﴿ مَّا جَعَلَ

(١) لسان العرب: (١٢/ ٤٦/ ٦٤٥).
(٢) المغني: (٧/ ٣٠٦).
(٣) رواه أبو داود: (٢٨٧٣) وبوب عليه – باب ما جاء متى ينقطع اليتيم –، وصححه الألباني صحيح الجامع: (٧٦٠٩).
(٤) عون المعبود: (٨/ ٦١).

ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ﴾ (الأحزاب:٤ – ٥).

و حرم الله تعالى التبني لأن فيه تضييعًا للأنساب، وقد أُمرنا بحفظ أنسابنا.

فعَنْ أَبِي ذَرٍّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: **«لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ، وَمَنْ ادَّعَى قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ»**. [(١)]

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «فقيل فيه تأويلان: أحدهما أنه في حق المستحل، والثاني: أنه كفر النعمة، والإحسان، وحق الله تعالى، وحق أبيه وليس المراد الكفر الذي يخرجه من ملة الإسلام، وهذا كما قال ﷺ: «يكفرن» ثم فسره بكفرانهن الإحسان، وكفران العشير، ومعنى ادعى لغير أبيه أي انتسب إليه واتخذه أبًا» [(٢)].



(١) رواه البخاري: (٣٣١٧)، ومسلم: (٦١).
(٢) شرح مسلم: (٢/ ٥٠).

15
الاستعانة بالصبر على الشدائد

يقول رب العزة جل وعلا في كتابه الكريم، آمرًا عباده المؤمنين بالاستعانة بالصبر والصلاة عند حلول الكرب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٥٣).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

(البقرة: ٤٥).

أرشد تعالى المؤمنين، إثر الأمر بالشكر في الآية قبل، بالاستعانة بالصبر والصلاة ؛ لأن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكر، أو في نقمة فيصبر، ومصداق ذلك ماجاء في الحديث عَنْ صُهَيْب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: **«عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَد إلاَّ للْمُؤْمنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ »** (١).

وبيَّن تعالى أن أجود ما يستعان به على تحمل المصائب في سبيل الله: الصبر، والصلاة.

وفي آيات أخرى يأمر المولى عَزَّوَجَلَّ عباده بالصبر، ويحثهم على مواجهة الأذى، والشدائد بالتحلي بهذه المنزلة العظيمة فمن ذلك:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (آل عمران: ١٨٦).

---

(١) رواه مسلم: (٢٩٩٩).

وعن لقمان الحكيم: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ (لقمان: ١٧).

ولما ذكر المولى عَزَّوَجَلَّ تكبر فرعون وقومه، على نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومن معه أمرهم نبي الله بالاستعانة بالله والصبر:

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (الأعراف: ١٢٦ – ١٢٨).

وأمر الله خليله محمدًا ﷺ بالصبر على أذى الكفار، وأقوالهم المحزنة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ (طه: ١٣٠).

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (النحل: ١٢٧).

وفي سُنَّة رسول الله ﷺ ما يؤكد آيات الذكر لحكيم، ويعضد هذا المعنى وهي كثيرة، أقتطف من زهرها، وأختار من بستانها الآتي:

* عَن أَبِي هُرَيْرَة –رَضِيَ اللهُ عَنه– قَالَ: رَسُول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم–: «**يَقُول الله تَعَالَى: مَا لعَبدي المُؤمن عِنْدِي جَزَاء إِذا قبضت صَفيه من أهل الدُّنْيَا، ثمَّ احتسبه إِلَّا الْجنَّة**»[1].

* وَعَن أنس –رَضِيَ اللهُ عَنْه– قَالَ: سَمِعت رَسُول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم– يَقُول: «**إِن الله عزَّ وَجلَّ قَالَ: «إِذا ابْتليت عَبدِي بحبيبتيه فَصَبر،**

(١) رواه البخاري: (٦٤٢٤).



عوضته مِنْهُمَا الْجَنَّة». يُريد عَيْنَيْه[١].

* وَعنهُ، أَن النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- مر بامْرَأَة تبْكي عِنْد قبر فَقَالَ: «اتق الله، واصبري»، فَقَالَت: إلَيْك عني، فَإنَّك لم تصب بمصيبتي، وَلم تعرفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ. فَقيل لَهَا: إنَّه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ، فَأَتَت بَاب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ فَلم تَجِد عِنْده بوابين، فَقَالَت: لم أعرفك، فَقَالَ: «**إِنَّما الصَّبْر عِنْد الصدمة الأولَى** »[٢].

*وَعَن عَطاء، قَالَ: قَالَ لي ابْن عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهما -: أَلا أُريك امْرَأَة من أهل الْجنَّة ؟ فَقلت: بلَى. قَالَ: هَذه الْمَرْأَة السَّوْدَاء، أَتَت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ فَقَالَت: إِنِّي أصرع، وَإِنِّي أتكشف، فَادع الله لي. قَالَ: «**إِن شئْت صبرت وَلَك الْجنَّة، وَإِن شئْت دَعَوْت الله أَن يعافيك** » فَقَالَت: أَصْبِر. فَقَالَت: إِنِّي أتكشف، فَادع الله أَن لَا أتكشف، **فَدَعَا لَهَا**. [٣].

* وَعَن أَبي هُرَيْرَة- رَضيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم -: «**مَا يزَال الْبلَاء بِالْمؤمنِ والمؤمنة فِي نَفسه، وَولده، وَمَاله، حَتَّى يلقى الله تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَة** »[٤].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى الصبر: «هذه الكلمة هو المنع، والحبس فالصبر حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود، وشق الثياب ونحوهما »[٥].

وسئل الجنيد عن الصبر فقال: «تجرع المرارة من غير تعبس».

وقيل: «الصبر: هو الوقوف مع البلاء بحسن أدب». وقد ذُكر الصبر في

(١) رواه البخاري: (٥٦٥٣).
(٢) رواه البخاري: (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦).
(٣) رواه البخاري: (٥٦٥٢)، ومسلم: (٢٥٧٦).
(٤) رواه الترمذي: (٢٣٩٩)، وصححه الألباني في الصحيحة: (٢٢٨٠).
(٥) عدة الصابرين: (ص: ٧).

القرآن الكريم أكثر من تسعين مرة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :«والصبر واجب باتفاق العلماء وأعلى من ذلك الرضا بحكم الله تعالى، والرضا قد قيل إنه واجب وقيل هو مستحب وهو الصحيح » ا.هـ.

« إن الله تعالى جعل الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجندًا لا يُهزم، وحصنًا لا يُهدم، ولا يُثلم، فهو والنصر أخوان شقيقان فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، والعسر مع اليسر وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عدة، ولا عدد. ومحله من الظفر كمحل الرأس من الجسد، ولقد ضمن الوفي الصادق لأهله في محكم الكتاب أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب، واخبره أنه معهم بهدايته، ونصره العزيز، وفتحه المبين فقال تعالى:﴿ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأنفال:٤٦)، فظفر الصابرون بهذه المعية بخير الدنيا والآخرة، وفازوا بها بنعمه الباطنة والظاهرة، وجعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين فقال تعالى وبقوله اهتدى المهتدون:﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ ﴾ (السجدة: ٢٤).

وأخبر أن الصبر خير لأهله مؤكدا باليمين فقال تعالى:﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (النحل: ١٢٦).

وأخبر أن مع الصبر والتقوى لا يضر كيد العدو ولو كان ذا تسليط فقال تعالى:﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (آل عمران : ١٢٠).

وأخبر عن نبيه يوسف الصديق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن صبره وتقواه، وصلاه إلى محل العز، والتمكين فقال: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾(يوسف: ٩٠).



وعلق الفلاح بالصبر والتقوى فعقل ذلك عنه المؤمنون فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾ (آل عمران : ٢٠٠).

وأخبر عن محبته لأهله وفي ذلك أعظم ترغيب للراغبين فقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (آل عمران : ١٤٦).

ولقد بشر الصابرين بثلاث كل منها خير مما عليه أهل الدنيا يتحاسدون فقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾ (البقرة: ١٥٥-١٥٦).

وأوصى عباده بالاستعانة بالصبر، والصلاة على نوائب الدنيا،والدين فقال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾ (البقرة:٤٥).

وجعل الفوز بالجنة، والنجاة من النار لا يحظى به إلا الصابرون فقال تعالى: ﴿ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١ ﴾ (المؤمنون:١١١).

وأخبر أن الرغبة في ثوابه، والإعراض عن الدنيا وزينتها لا ينالها ألا أو لو الصبر المؤمنون فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ ﴾ (القصص:٨٠).

وأخبر تعالى أن دفع السيئة بالتي هي أحسن تجعل المسيء كأنه ولي حميم فقال: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ ﴾ (فصلت:٣٤).

وأن هذه الخصلة لا يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم

وأخبر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ مؤكدًا بالقسم: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ (العصر).

وقسم خلقه قسمين أصحاب ميمنة، وأصحاب مشأمة، وخص أهل الميمنة أهل التواصي بالصبر، والمرحمة. وخص بالانتفاع بآياته أهل الصبر، وأهل الشكر تمييز لهم بهذا الحظ الموفور، فقال في أربع آيات من كتابه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾ (إبراهيم:٣١).

وعلق المغفرة، والأجر بالعمل الصالح، والصبر وذلك على من يسره عليه يسير فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾ (هود:١١).

وأخبر أن الصبر، والمغفرة من العزائم التي تجارة أربابها لا تبور فقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ (الشورى:٤٣).

وأمر رسوله بالصبر لحكمه، وأخبر أن صبره إنما هو به وبذلك جميع المصائب تهون فقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ (الطور:٨٤).

وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ (النحل:١٢٨).

والصبر آخيّة المؤمن التي يجول ثم يرجع إليها، وساق إيمانه الذي لا اعتماد له إلا عليها، فلا إيمان لمن لا صبر له، وإن كان فإيمان قليل في غاية الضعف وصاحبه ممن يعبد الله على حرف، فان أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة. ولم يحظ منهما إلا بالصفقة الخاسرة، فخير عيش أدركه السعداء بصبرهم، وترقوا إلى أعلى المنازل بشكرهم، فساروا بين جناحي الصبر والشكر إلى جنات النعيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »[١].

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين للعلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى : (ص:١-٤).



وقد وصف الله بالصبر خاصة أوليائه وأحبابه وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ـ ، الأنبياء هم أكمل الناس صبرًا، وأكملهم هم أولو العزم من الرسل ولذا أمر الله رسوله ﷺ أن يصبر صبرهم فقال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

ونهاه أن يتشبه بصاحب الحوت، حيث لم يصبر صبر أولي العزم فقال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨ ﴾ (القلم: ٤٨).

صبر نبي الله نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في الدعوة على الله تعالى:

أخبر المولى عَزَّوَجَلَّ عن صبر نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في دعوة قومه إلى الحق فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤ ﴾ (العنكبوت: ١٤) وهو أطول صبر في تاريخ البشرية فصلى الله عليه وعلى نبينا وسلم تسليماً كثيرًا.

وعن صبر إسماعيل عليه الصلاة والسلام يخبرنا المولى عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١ ﴾ (الصافات: ١٠٢ – ١١١). فما أعجبه من رضا هادئ، وصبر جميل مُستبشر.

ويمتدح الله الصابر أيوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فيقول: ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ (ص: ٤٤).

وعن أبي سعيد الخدري –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –: أَنَّهُ دَخلَ عَلى رسول الله ﷺ وهُو مَوعُوكٌ عَليهِ قَطيفةٌ، فَوضعَ يَدَهُ عَليه فَوجدَ حَرارتَها فَوقَ القَطيفَةِ، فَقال أَبو

سَعيد: مَا أَشدَّ حُمَاكَ يَا رسولَ الله، قَال: «**إِنَّا كَذلك يَشتَدُّ عَلينَا البَلاءُ ويُضاعَفُ لَنا الأَجْرُ**»، **فَقال يا رسول الله أَي النَّاس أَشَدُّ بَلاءً ؟ قال: «الأنبياءُ ثُم الصَالِحُونَ وَقد كَان أَحَدُهم يُبتَلى بالفَقر حَتى مَا يَجدُ إلا العَباءَةَ يَجُوبُهاَ فَيلْبَسُها، ويُبتَلى بالقَمل حَتى يَقتلَهُ ولأَحَدُهم كَان أَشدَّ فَرحًا بِالبَلاءِ مِن أَحدِكُم بِالعَطاءِ**»[(١)].

من أحوال السلف رضوان الله عليهم في الصبر:

مرض أبو بكر- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فعادوه، فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟. فقال: «قد رآني الطبيب. قالوا: فأي شيء قال لك؟.قال: إني فعال لما أريد؟»،.

قال عمر بن الخطاب- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: «وجدنا خير عيشنا بالصبر». وقال أيضًا : «أفضل عيش أدركناه بالصبر،ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريمًا.

وقال علي بن أبى طالب- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم»، ثم رفع صوته فقال: «ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له».، وقال: «الصبر مطية لا تكبو».

وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل وقت ينظر فيها وفيها: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (الطور: ٤٨).

وقال عمر بن الخطاب- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أبال أيهما ركبت».

وكان محمد بن شبرمة إذا نزل به بلاء قال: «سحابة صيف ثم تنقشع».

وقال سفيان بن عيينة في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (السجدة: ٢٤). « لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رءوسًا » .

---

(١) أخرجه أحمد: (٣ / ٩٤). وابن ماجة: (٢ / ٤٩٠)، والبخاري في الأدب المفرد: (٥١٠). انظر حديث رقم: (٩٩٥) في صحيح الجامع.

وقيل للأحنف بن قيس ما الحلم ؟. قال:«أن تصبر على ما تكره قليلًا».

وقدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد وكان من أحسن الناس وجهًا، فدخل يومًا على الوليد في ثياب وشيء وله غديرتان وهو يضرب بيده، فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش فعانه، فخرج من عنده متوسنًا فوقع في إصطبل الدواب، فلم تزل الدواب تطأه بأرجلها حتى مات، ثم إن الآكلة وقعت في رجل عروة فبعث إليه الوليد الأطباء، فقالوا: إن لم تقطعها سرت إلى باقي الجسد فتهلك فعزم على قطعها فنشروها بالمنشار، فلما صار المنشار إلى القصبة وضع رأسه على الوسادة ساعة فغشي عليه، ثم أفاق والعرق يتحدر على وجهه وهو يهلل ويكبر فأخذها وجعل يقبلها في يده، ثم قال: أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أنى ما مشيت بك إلى حرام ولا إلى معصية، ولا إلى ما لا يرضى الله، ثم أمر بها فغسلت، وطيبت، وكفنت في قطيفة ثم بعث بها إلى مقابر المسلمين فلما قدم من عند الوليد المدينة تلقاه أهل بيته، وأصدقاؤه يعزونه فجعل يقول: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، ولم يزد عليه، ثم قال: لا أدخل المدينة إنما أنا بها بين شامت بنكبة، أو حاسد لنعمة، فمضى إلى قصر بالعقيق فأقام هنالك، فلما دخل قصره، قال له عيسى بن طلحة: لا أبا لشانئيك أرني هذه المصيبة التي نعزيك فيها فكشف له عن ركبته، فقال له عيسى: أما والله ما كنا نعدك للصراع قد أبقى الله أكثرك: عقلك، ولسانك، وبصرك، ويداك، وإحدى رجليك.

فقال له يا عيسى: ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني به، ولما أرادوا قطع رجله قالوا له: لو سقيناك شيئًا كيلا تشعر بالوجع، فقال: إنما ابتلاني ليرى صبري أفأ عارض أمره».

وسئل ابنه هشام كيف كان أبوك يصنع برجله التي قُطعت إذا توضأ قال:«كان يمسح عليها».

وقال حسان بن أبي جبلة في قوله تعالى: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ (يوسف: ١٨). قال: لا شكوى فيه.

وقال مجاهد: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ في غير جزع.

وقال عمرو بن قيس ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ قال: الرضا بالمصيبة والتسليم.

وقال همام:

صبرت فكان الصبر خير مغبة ∴ وهل جزع يجدي علي فأجزع

ملكت دموع العين حتى رددتها ∴ إلى ناظري فالعين في القلب تدمع[1]

بلال بن رباح وجلده في الصبر:

عن زر، عن عبد الله، أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وبلال، وصهيب، والمقداد.

فأما النبي ﷺ، وأبو بكر فمنعهما الله بقومهما، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم أحد إلا واتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد، أحد[2].

الإمام إبراهيم الحربي، وصبره على الجوع والفقر:

كَانَ يَقُوْلُ: قميصي أَنظفُ قَمِيْص، وَإِزَاري أَوسَخُ إِزَار، مَا حَدَّثْتُ نَفْسِي أَنَّهُمَا يَسْتَوِيَان قَطُّ، وَفرد عَقبِي صَحِيْح وَالآخَرُ مَقْطوع، وَلاَ أُحَدِّث نَفْسِي أَنِّي أُصْلحُهُمَا، وَلاَ شَكَوْتُ إِلَى أَهْلِي وَأَقَارِبِي حُمى أَجدُهَا، لاَ يغم الرَّجُلَ نَفْسه وَعيَالَه، وَلِي عَشْرُ سِنِيْنَ أَبْصرُ بِفَرْدِ عَيْنٍ، مَا أَخبرتُ بِهِ أَحَدًا، وَأَفنيتُ مِنْ

(١) انظر عدة الصابرين: (٧٦-٨٠).
(٢) سير أعلام النبلاء: (١/ ٣٤٧ - ٣٤٨).

عُمْرِي ثَلَاثِيْنَ سَنَةً بِرَغِيْفَيْنِ، إِنْ جَاءَتْنِي بِهِمَا أُمِّي أَوْ أُخْتِي، وَإِلاَّ بقيتُ جَائعًا إِلَى اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ، وَأَفنيتُ ثَلاَثِيْنَ سَنَةً برغيف في اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، إِن جَاءتْنِي امرأتِي أَوْ بَنَاتِي بِهِ، وَإِلاَّ بقيتُ جَائعًا، وَالآنَ آكُلُ نصْفَ رغِيْفٍ وَأَربعَ عَشْرَةَ تَمْرَةً، وَقَامَ إِفطَارِي فِي رَمَضَانَ هَذَا بِدِرْهَم وَدَانَقَيْنِ وَنِصْف.

قَالَ أَبُو القَاسِم بنُ بُكَيْرٍ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيْمَ الحَرْبِيّ يَقُوْلُ:مَا كُنَّا نَعْرِفُ مِنْ هَذِهِ الأَطْبِخَة شَيْئًا، كُنْتُ أَجِيْء مِنْ عَشي إِلَى عَشِي، وَقَدْ هَيَأَتْ لِي أُمِّي بَاذِنْجَانَة مَشْوِيَّةً، أَوْ لُعْقَة بِن، أَوْ بَاقَةَ فجْلٍ[1].

شيخ الإسلام ابن تيمية يلخص صبر الإمام أحمد بن حنبل -رحمهم الله- في الفتنة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «الإمام أحمد صار مثلًا سائرًا يُضرب به المثل في المحنة، والصبر على الحق، وأنه لم تكن تأخذه في الله لومة لائم، حتى صار اسم الإمام مقرونًا باسمه في لسان كل أحد، فيقال: قال الإمام أحمد، هذا مذهب الإمام أحمد ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (السجدة: ٢٤) ؛ فإنه أعطى من الصبر، واليقين ما يستحق به الإمامة في الدين.

وقد تداوله ثلاثة خلفاء مسلطون، من شرق الأرض إلى غربها، ومعهم من العلماء المتكلمين، والقضاة، والوزراء، والسعاة والأمراء، والولاة من لا يحصيهم إلا الله. فبعضهم بالحبس، وبعضهم بالتهديد الشديد بالقتل وبغيره، وبالترغيب في الرياسة والمال ما شاء الله، وبالضرب، وبعضهم بالتشريد والنفي، وقد خذله في ذلك عامة أهل الأرض، حتى أصحابه العلماء، والصالحون، والأبرار، وهو مع ذلك لم يعطهم كلمة واحدة مما طلبوه منه، وما رجع عما جاء به الكتاب والسُّنَّة، ولا كتم العلم، ولا استعمل التقية، بل قد

(١) سير أعلام النبلاء : (١٣/ ٣٦٧). والعقب: النعل، والبن: الطبقة من الشحم.

أظهر من سُنَّة رسول الله ﷺ وآثاره، ودفع من البدع المخالفة لذلك مالم يتأت مثله لعالم من نظرائه، وإخوانه المتقدمين والمتأخرين؛ ولهذا قال بعض شيوخ الشام: «لم يظهر أحد ما جاء به الرسول ﷺ كما أظهره أحمد بن حنبل ».[1]

أحمد بن نصر الخزاعي من الأئمة الصابرين في قول الحق:

قال الصولي: كان هو وسهل بن سلامة حين كان المأمون بخراسان بايعا الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قدم المأمون فبايعه سهل، ولزم ابن نصر بيته، ثم تحرك في آخر أيام الواثق، واجتمع إليه خلق يأمرون بالمعروف.

قال: إلى أن ملكوا بغداد، وتعدى رجلان موسران من أصحابه، فبذلا مالًا، وعزما على الوثوب في سُنَّة إحدى وثلاثين، فنم الخبر إلى نائب بغداد إسحاق بن إبراهيم، فأخذ أحمد وصاحبيه وجماعة، ووجد في منزل أحدهما أعلامًا، وضرب خادمًا لأحمد، فأقر بأن هؤلاء كانوا يأتون أحمد ليلًا، ويخبرونه بما عملوا. فحملوا إلى سامراء مقيدين، فجلس الواثق لهم، وقال لأحمد: دع ما أخذت له، ما تقول في القرآن ؟ قال: كلام الله. قال: أفمخلوق هو ؟ قال: كلام الله. قال: فترى ربك في القيامة ؟، قال: كذا جاءت الرواية.

قال: ويحك يرى كما يرى المحدود المتجسم، ويحويه مكان ويحصره ناظر؟ أنا كفرت بمن هذه صفته، ما تقولون فيه ؟ فقال قاضي الجانب الغربي: هو حلال الدم، ووافقه فقهاء، فأظهر أحمد بن أبي دؤاد أنه كاره لقتله. وقال: شيخ مختل، تغير عقله،يؤخر.

قال الواثق: ما أراه إلا مؤديًا لكفره قائمًا بما يعتقده، ودعا بالصمصامة، وقام.

وقال: أحتسب خطاي إلى هذا الكافر. فضرب عنقه. بعد أن مدوا له رأسه

(١) مجموع الفتاوى: (٢١١ / ١٢١).



بحبل وهو مقيد، ونصب رأسه بالجانب الشرقي، وتتبع أصحابه فسجنوا.

قال الحسن بن محمد الحربي: سمعت جعفر بن محمد الصائغ، يقول: رأيت أحمد بن نصر حين قتل قال رأسه: لا إله إلا الله.

قال المروذي: سمعت أحمد ذكر أحمد بن نصر، فقال: رحمه الله، لقد جاد بنفسه. وعلق في أذن أحمد بن نصر ورقة فيها: هذا رأس أحمد بن نصر، دعاه الإمام إلى القول بخلق القرآن، ونفي التشبيه، فأبى إلا المعاندة، فعجله الله إلى ناره.

وقيل: حنق (عليه) الواثق لأنه ذكر للواثق حديثًا، فقال: تكذب.فقال: بل أنت تكذب.

وقيل: إنه قال له: يا صبي، ويقول في خلوته عن الواثق: فعل هذا الخنزير.

ثم إن الواثق خاف من خروجه، فقتله في شعبان سُنَّة إحدى وثلاثين، وكان أبيض الرأس واللحية.

ونقل عن الموكل بالرأس أنه سمعه في الليل يقرأ: (يس) وصح أنهم أقعدوا رجلا بقصبة، فكانت الريح تدير الرأس إلى القبلة، فيديره الرجل.

قال السراج: سمعت خلف بن سالم، يقول بعدما قتل ابن نصر، وقيل له: ألا تسمع ما الناس فيه يقولون: إن رأس أحمد بن نصر يقرأ ؟!! فقال: كان رأس يحيى يقرأ.

وقيل: رئي في النوم، فقيل: ما فعل الله بك ؟ قال: ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله، فضحك إلي. وقيل: إن قال: غضبت له فأباحني النظر إلى وجهه.

بقي الرأس منصوبًا ببغداد، والبدن مصلوبًا بسامراء ست سنين إلى أن أنزل، وجمع في سُنَّة سبع وثلاثين، فدفن رحمة الله عليه» [١].

---

(١) سير أعلام النبلاء: (١١ / ١٦٧- ١٦٩).



16 الدعاء وأهميته في كشف الكرب، وتفريجها

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (النمل: ٦٢).

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: «أي: هل يجيب المضطر، الذي أقلقته الكروب، وتعسر عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه، إلا الله وحده؟. ومن يكشف السوء، أي البلاء، والشر، والنقمة، إلا الله وحده ؟. » [١].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى: «فقد ضمن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إجابة دعاء المضطر إذا دعاه وأخبر بذلك عن نفسه، والوجه في إجابة دعاء المضطر أن ذلك الاضطرار الحاصل له يتسبب عنه الإخلاص، وقطع النظر عما سوى الله، وقد أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأنه يجيب دعاء المخلصين له الدين، وإن كانوا كافرين فقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ (يونس: ٢٢).

وقال: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٥). فأجابهم عند ضرورتهم، وإخلاصهم مع علمه بأنهم سيعودون إلى شركهم» [٢].

وفي سُنَّة المصطفى ﷺ ما يدل المؤمن على أن الدعاء باب من أبواب الفرج فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ

(١) تيسير الكريم الرحمن: (ص:٦٠٨).
(٢) فتح القدير: (٤/ ٢١٠).

سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ، فَلْيُكْثِرْ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ».(١)

ففي هذا الحديث الكريم يعلمنا النبي ﷺ أدبًا من آداب الدعاء المهمة والتي غفل عنها كثير من الناس، ولم يراعوها في لجوؤهم إلى الله ربهم.

فينبغي أن لا يقتصرَ المسلم على دعائه ربَّه في حال الشدَّة فقط، بل الواجب أن يدعوَ ربَّه في سرَّائه وضرَّائه، وشدَّته ورخائه، وصحته وسقمه، وفي أحواله كلِّها، وملازمةُ المسلم للدعاء حال الرخاءِ، ومواظبتُه عليه في حال السرَّاء سببٌ عظيمٌ لإجابة دعائه عند الشدائد، والمصائب، والكُرَب.

وقد ذمَّ الله عَزَّوَجَلَّ المشركين في مواطن كثيرة من كتابه العزيز بأنَّهم لا يلجأون إلى الله ولا يُخلصون الدِّين إلاَّ في حال شدَّتهم، أمَّا في حال رخائهم، ويُسرهم، وسرَّائهم. فإنَّهم يشركون مع الله غيرَه، ويُقبلون على أوثان لا تملكُ لهم شيئًا ولا تنفعهم ولا تضرُّهم، فيَسْتَنْجدون بها، ويستغيثون بها، ويُنزلون بها حاجاتهم وطلباتهم، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ (الزمر: ٨).

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ (يونس:١٢).

ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (الزمر:٤٩).

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ (فصلت:٥١) .

---

(١) رواه الترمذي:(٣٣٨٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (٥٩٣).

والآياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ، وهي تدلُّ دلالة واضحة على ذمِّ مَن لا يعرف الله إلاَّ في حال ضرَّائه وشدَّته، أمَّا في حال رخائه فإنَّه يكون في صدود، وإعراض، ولهوٍ، وغفلة، وعدم إقبال على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

ولهذا فإنَّ الواجبَ على المسلم أن يُقبلَ على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في أحواله كلِّها في اليُسر والعُسر، والرخاءِ والشدِّة، والغنى والفقر، والصحةِ والمرض، ومَن تعرَّف على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الرخاء عرفه الله في الشدَّة، فكان له معينًا، وحافظًا، ومؤيِّدًا، وناصرًا. ولهذا قال النبي ﷺ كما في حديث عبد الله بن عباس – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا –: «**تعرَّف إلى الله في الرَّخاء يعرفك في الشدَّة**» [١].

قال ابن رجب رحمه الله تعالى في جزء له أفرده في شرح هذا الحديث:
«المعنى أنَّ العبدَ إذا اتقى الله وحفظ حدودَه، وراعى حقوقه في حال رخائه وصحته، فقد تعرَّف بذلك إلى الله، وكان بينه وبينه معرفة، فعرفه ربُّه في الشدَّة، وعرف له عملَه في الرخاء، فنجَّاه من الشدائد بتلك المعرفة... وهذا التعرُّفُ الخاص هو المشار إليه في الحديث الإلَهي « **ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه إلى أن قال ولئن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه** »[٢] » [٣].

ثمَّ أورد عن الضحاك بن قيس أنَّه قال: «اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدَّة، إنَّ يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يذكر اللهَ تعالى، فلمَّا وقع في بطن الحوت قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (الصافات: ١٤٣–١٤٤)، وإنَّ فرعونَ كان طاغيًا ناسيًا لذكر الله، فلمَّا أدركه الغرقُ قال: آمنتُ، فقال الله تعالى: ﴿ ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس: ٩١)، فمَن لَم يتعرَّف إلى الله في الرخاء فليس له أن يعرفه

---

(١) رواه أحمد في المسند: (١/ ٣٠٧)، وصححه العلاَّمة الألباني في صحيح الجامع: (٢٩٦١).
(٢) رواه البخاري: (٦٥٠٢).
(٣) نور الاقتباس لابن رجب: (ص: ٤٣).



في الشدَّة لا في الدنيا ولا في الآخرة».

قال رجل لأبي الدرداء:«أوصِني، فقال: اذكر الله في السرَّاء يذكرك الله -عَزَّوَجَلَّ- في الضرَّاء »[١].

وعنه- رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- أنَّه قال:«ادع الله في يوم سرَّائك لعلَّه أن يستجيب لك في يوم ضرَّائك»[٢].

وإنَّ من التعرُّف على الله في الرخاء أن يجتهد العبدُ في حال رخائه بالتقرُّب إلى الله وطلبِ مرضاته، والإكثار من الأعمال الصالحة المُقرِّبة إليه، كالبر والصلة، والصدقةَ والإحسان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من وجوه البرِّ وسُبل الخير « وحديث الثلاثة الذين دخلوا الغارَ وانطبقت عليهم الصخرةُ يشهد لهذا، فإنَّ الله فرج عنهم بدعائهم بما كان منهم من الأعمال الصالحة الخالِصة في حال الرخاء من بر الوالدين، وترك الفجور، والأمانة الخفية »[٣].

فكانت أعمالُ هؤلاء الثلاثة الصالحةُ سببًا لتفريج همِّهم، وكشف كربتهم، وإجابة دعوتهم، وتحقيق أملهم ورجائهم، فلمَّا تعرَّف هؤلاء إلى ربِّهم في حال رخائهم، تعرَّف إليهم ربُّهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في حال شدَّتهم، فأمدَّهم بعونه، وأحاطهم بحفظه، وكلأهم برعايته وعنايته، وهو وحده الموفِّق، والمعين لا شريك له[٤].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى :«قوله - ﷺ -:«تعرَّف إلى الله في الرَّخاء، يعرفكَ في الشِّدَّةِ » يعني: أنَّ العبدَ إذا اتَّقى الله، وحَفِظَ حدودَه،

(١)حلية الأولياء: (١/ ٢٠٩).
(٢) المصنف لعبد الرزاق: (١١/ ١٨٠)، وشعب الإيمان للبيهقي:(٢/ ٥٢)، وانظر: جامع العلوم والحكم: (١/ ٤٧٥ ٤٧٦).
(٣) نور الاقتباس لابن رجب: (ص:٤٦).
(٤) انظر فقه الأدعية والأذكار: (١/ ٢/ ٤٠٩- ٤١٣).

وراعى حقوقه في حال رخائه، فقد تعرَّف بذلك إلى الله، وصار بينه وبينَ ربه معرفةٌ خاصة، فعرفه ربَّه في الشدَّة، ورعى له تَعَرُّفَهُ إليه في الرَّخاء، فنجَّاه من الشدائد بهذه المعرفة، وهذه معرفة خاصة تقتضي قربَ العبدِ من ربِّه، ومحبته له، وإجابته لدعائه...ولما هرب الحسنُ من الحجاج دخلَ إلى بيت حبيب أبي محمد، فقال له حبيب: يا أبا سعيد، أليس بينك وبينَ ربِّك ما تدعوه به فيَسترك مِنْ هؤلاء ؟، ادخل البيتَ، فدخل، ودخل الشُّرَطُ على أثره، فلم يرَوْهُ، فذُكرَ ذلك للحجاج، فقال: بل كان في البيت، إلا أنَّ الله طَمَسَ أعينهم فلم يروه»[١].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «وكذلك الدعاء فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره، إما لضعفه في نفسه، بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه، فيكون بمنزله القوس الرخو جدًا، فإن السهم يخرج منه خروجًا ضعيفًا، وإما لحصول المانع من الإجابة، من أكل الحرام، ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة، والسهو، واللهو، وغلبتها عليها. والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه، أو يخففه إذا نزل.

وللدعاء مع البلاء ثلاثة مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

والثاني: أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه.

والثالث: أن يتقاوما، ويمنع كل واحد منهما صاحبه[٢]».

(١) جامع العلوم والحكم: (٢٥٣).
(٢) الجواب الكافي: (٤-٣).



افتقار العبد إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **، وحاجته إلى دعائه:**

إنَّ من فضائل الدعاء ودلائل عِظم شأنه أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُحبُّه من عباده مع كمالِ غِناه عنهم، ووعدَ الدَّاعين له من عباده بالإجابة، وذلك في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ (غافر: ٦٠).

وهذا من لُطف الله بعباده، وعظيم إكرامه لهم، وإحسانه بهم، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يُخيِّب عبدًا دعاه، ولا يرُدُّ مؤمنًا ناجاه، يقول الله تعالى كما في الحديث القدسي: «**يا عبادي كلُّكم ضالٌ إلاَّ مَن هديتُه، فاستهدوني أهدِكم، يا عبادي كلُّكم جائعٌ إلاَّ مَن أطعمته، فاستطعِموني أطعمكم، يا عبادي كلُّكم عارٍ إلاَّ من كسوتُه، فاستكسوني أكسُكم، يا عبادي إنَّكم تخطئون بالليل والنهار وأناَ أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم...**»، وقال فيه: «**يا عبادي لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجنَّكم قاموا على صعيدٍ واحد فسألوني فأعطيتُ كلَّ واحد مسألتَه ما نقصَ ذلك مِمَّا عندي إلاَّ كما ينقصُ المَخِيَطُ إذا أُدخل البحر**» رواه مسلم في سياق طويل من حديث أبي ذر- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -[1].

وفي الحديث دلالةٌ على أنَّ اللهَ يحبُّ أن يسأله العبادُ جميعَ مصالح دينهم ودنياهم من الطعام، والشراب، والكسوة وغير ذلك، كما يسألونه الهدايةَ، والمغفرةَ، والتوفيقَ، والإعانةَ على الطاعةِ ونحوَ ذلك، ووعدَهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على ذلك كلِّه بالإجابة.

وفيه أيضًا دلالةٌ على كمال قدرةِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكمال ملكِه، وأنَّ ملكَه وخزائنَه لا تنفدُ ولا تنقصُ بالعطاء، ولو أعطى الأوَّلين والآخرين من الجنِّ والإنس جميعَ ما سألوه في مقام واحد، وفي ذلك حثٌّ على الإكثار من سؤاله

(١) رواه مسلم: (٢٥٧٧).

وإنزال جميع الحوائج به، وفي الصحيحين عن أبي هريرة- رَضيَ اللهُ عَنْهُ -، عن النبي ﷺ قال: «**يدُ الله ملأى لا تغيضُها نفقة، سَحَّاءُ الليل وَالنهار، أفرأيتم ما أنفق ربُّكم منذ خلق السموات والأرض، فإنَّه لَم يَغِضْ ما في يمينه** »[1].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة- رَضِيَٱللَّهُعَنهُ -، عن النبي ﷺ قال: «إذا دعا أحدُكم فلا يقُلْ اللَّهمَّ اغفر لي إن شئتَ، ولكن ليعزم المسألةَ وليُعظم الرغبةَ، فإنَّ الله لا يتعاظمه شيءٌ »[2].

وتأمَّل قوله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في الحديث المتقدِّم: «لَم ينقص ذلك ممَّا عندي إلاَّ كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر»، فإنَّ فيه تحقيقًا بأنَّ ما عند الله لا ينقص ألبته، كما قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ ﴾ (النحل:٩٦).

فإنَّ البحرَ إذا غُمس فيه إبرة ثمَّ أُخرجت لَم تُنقص من البحر بذلك شيئًا، وكذلك لو فُرض أنَّ عصفورًا شرب منه فإنَّه لا يُنقص البحر ألبته، وهو سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ إذا أراد شيئًا من عطاء، أو عذاب، أو غير ذلك قال له: كن فيكون، كما قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ ﴾ (يس: ٨٢)، وقال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠ ﴾ (النحل: ٤٠)، فكيف يُتصوَّر فيمن هذا شأنُه أن ينقص ما عنده أو ينفد، ولقد أحسن مَن قال:

لا تخضعنَّ لمخلوق على طمع ∴ فإنَّ ذاك مُضرٌّ منك بالدِّين
واسترزق الله مِمَّا في خزائنه ∴ فإنَّما هي بين الكاف والنون

إنَّ العبدَ محتاجٌ إلى الله في كلِّ شؤونه، ومفتقرٌ إليه في جميع حاجاته، لا يستغني عن ربِّه ومولاه طرفة عين ولا أقلَّ من ذلك، وأما الربُّ سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فإنَّه غنيٌّ

---

(١) رواه البخاري: (٤٦٨٤)، و مسلم: (٩٩٣).
(٢) رواه مسلم: (٢٦٧٩).



حميدٌ، لا حاجة له بطاعات العباد ودعواتهم، ولا يعود نفعُها إليه، وإنَّما هم الذين ينتفعون بها، ولا يتضرَّرُ بمعاصيهم وإنَّما هم الذين يتضرَّرون بها، ولهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ ﴾ (فاطر: ١٥ ١٧).

وقال تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ﴾ (الإسراء: ١٥).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ (إبراهيم: ٧ ٨). والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ثمَّ إنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مع كمال غناه عن عباده، وعن طاعاتهم ودعواتهم، وتوباتهم، فإنَّه يُحبُّ سماعَ دعاء الدَّاعينَ المخبتين، ورؤيةَ عبادةِ العابدين المطيعين، ويفرحُ بتوبة التائبين المُنيبين، بل إنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يفرح بتوبة عبده أشدَّ من فرح مَن ضلَّت راحلتُه التي عليها طعامه وشرابه بفلاة من الأرض، وطلبها حتى أيِسَ منها، واستسلم للموت، ثمَّ غلبته عينُه فنام واستيقظ، وهي قائمةٌ عنده، وهذا أعلى ما يتصوَّرُه المخلوقُ من الفرَح، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَفرحُ بتوبة عبادِه أَشَدَّ مِن فرح هذا بلُقياه لراحلته، هذا مَع غِناه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الكامل عن طاعات عباده وتوبَاتهم إليه، وذلك كلُّه إنَّما يعود نفعُه إليهم دونَه، وهذا من كمال جُوده، وإحسانِه إلى عباده ومحبَّته لنفعهم ودفع الضر عنهم، فهو يُحبُّ من عباده أن يعرفوه، ويُحبُّوه، ويتَّقوه، ويخافوه، ويُطيعوه، ويتقرَّبوا إليه. ويُحبُّ أن يعلموا أنَّه يغفر الخطيئات، ويجيب الدعوات، ويُقيلَ العَثَرات، ويُكفِّر السيِّئات، ويرزق من يشاء بغير حساب.

فحريٌّ بعبد الله المؤمن إذا عرف كمالَ ربِّه وجلالَه، وكرمه وإحسانه، وفضلَه وجُودَه أن ينزل به جميع حاجاته، وأن يُكثِر من دعائه ومناجاته، وأن لا يَقْنَط مِن رحمة ربِّه ولا ييأس من رَوْحِه فإنَّه لا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ الله إلاَّ القومُ الكافرون.

فضل الدعاء من الكتاب الحكيم والسُّنَّة النبوية:

الدعاءُ شأنُه في الإسلام عظيمٌ، ومكانتُه فيه ساميةٌ، ومنزلتُه منه عالية؛ إذ هو أجلُّ العبادات، وأعظمُ الطاعات وأنفعُ القربات، ولهذا جاءت النصوصُ الكثيرةُ في كتاب الله تعالى، وسُنَّة رسوله ﷺ المبيِّنةُ لفضله، والمُنَوِّهةُ بمكانته وعظم شأنه، والمرغِّبةُ فيه والحاثَّةُ عليه، وقد تنوَّعت دلالاتُ هذه النصوص المبيِّنة لفضل الدعاء، فجاء في بعضها الأمرُ به والحثُّ عليه، وفي بعضها التحذير من تركه والاستكبار عنه، وفي بعضها ذكرُ عِظم ثوابه، وكبر أجره عند الله، وفي بعضها مدحُ المؤمنين لقيامهم به، والثناءُ عليهم بتكميله، وغيرُ ذلك من أنواع الدلالات في القرآن الكريم على عظم فضل الدعاء.

فضل الدعاء في القرآن الكريم:

إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد افتتح كتابه الكريم بالدعاء، واختتمه به، فسورة «الحمد» التي هي فاتحة القرآن الكريم مشتملةٌ على دعاء الله بأجلِّ المطالب وأكمل المقاصد، ألا وهو سؤال الله عَزَّوَجَلَّ الهدايةَ إلى الصراط المستقيم والإعانةَ على عبادته، والقيامَ بطاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وسورةُ « الناس » التي هي خاتمة القرآن الكريم مشتملةٌ على دعاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذلك بالاستعاذة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من شرِّ الوسواس الخنَّاس الذي يوسوسُ في صدور الناس من الجنَّة والناس، وما من ريب أنَّ افتتاحَ القرآن الكريم بالدعاء واختتامَه به دليلٌ على عِظم شأن الدعاءِ وأنَّه روحُ العبادات ولبُّها.

بل إنَّ الله جلَّ وعلا سمَّى الدعاءَ في القرآن عبادةً في أكثر من آية، مما يدلُّ على عِظم مكانته، كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾(غافر:٦٠)، وكقوله فيما حكاه عن نبيِّه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلْنَا نَبِيّٗا ٤٩﴾ (مريم:٤٨-٤٩)، ونحوها من الآيات، وسمَّى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الدعاءَ دِينًا كما في قوله: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ١٤﴾ (غافر:١٤)، ونحوها من الآيات.

وهذا كلُّه يُبيِّن لنا عِظمَ شأن الدعاء، وأنَّه أساسُ العبودية وروحُها، وعنوانُ التذلُّل والخضوع والانكسار بين يدي الربِّ، وإظهار الافتقار إليه، ولهذا حثَّ الله عبادَه عليه، ورغَّبهم فيه في آي كثيرة من القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعٗا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ٥٥ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٦﴾(الأعراف:٥٥-٥٦)، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٥﴾(غافر:٦٥).

وأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مرغِّبًا عبادَه في الدعاءِ بأنَّه قريبٌ منهم يُجيب دعاءَهم، ويُحقِّقُ رجاءَهم، ويعطيهم سؤلهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾(البقرة: ١٨٦).

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ (النمل:٦٢).

ولهذا فإنَّ العبدَ كلَّما عظُمت معرفتُه بالله وقويت صِلتُه به كان دعاؤُه له أعظمَ، وانكسارُه بين يديه أشدَّ، ولهذا كان أنبياءُ الله ورُسُله أعظمَ الناس تحقيقًا للدعاء، وقيامًا به في أحوالهم كلِّها وشؤونهم جميعِها، وقد أثنى الله عليهم بذلك في القرآن الكريم، وذَكَر جملةً من أدعيتهم في أحوال متعدِّدة، ومناسبات متنوِّعة. قال تعالى في وصفهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾(الأنبياء:٩٠).

ومن أدعية الأنبياء ما ذكره الله عن نبيِّه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾(إبراهيم:٣٩-٤١).

وذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دعاءَ نبيِّه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما سأل ربَّه أن ينصرَه على قومه الذين كذَّبوه وعادَوه، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾(القمر:٩-١٤).

وذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دعاء نبيِّه أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما مسَّه الضُّرُّ فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾(الأنبياء ٨٣-٨٤).

وذكر دعاءَ نبيِّه يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما التقمه الحوتُ فدعا ربَّه وهو في جوف الحوت في قعر البحر، واستجاب الله دعاءَه فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ



سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾(الأنبياء ٨٧-٨٨).

وهكذا مَن يتأمَّلُ القرآنَ الكريم يجد فيه من أدعية الأنبياء وسؤالهم ربّهم، واطِّراحهم بين يديه في جميع أحوالِهم عليهم صلوات الله وسلامه شيئًا كثيرًا.

وكما أنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصَفَ الأنبياء بالدعاء ونَعتهم به، وأثنى عليهم بتحقيقه، فقد وصف بذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المؤمنين الصادقين وعبادَ الله الصالحين، قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (السجدة:١٦-١٧)، وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ﴾ (الكهف:٢٨)، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في وصف أهل الجنَّة عندما يدخلونها بسلام آمنين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

(يونس:٩-١٠).

فالدعاء هو روحُ هذا الدِّين، وزادُ المؤمنين المتقين، وعنوانُ التذلُّل والخضوع لرب العالمين، جعلنا الله وإيَّاكم من أهله المحققين له، إنَّه سَميعٌ مجيبٌ.

فضل الدعاء في السُّنَّة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام:

تقدَّم معنا فضلُ الدعاء من خلال عرض جملة من نصوص القرآن الكريم الدَّالة على عِظم فضله وجلالة شأنه، وفي ما يلي ذِكرُ جملة من نصوص السُّنَّة الدالَّة على فضل الدعاء، وكثرة عوائده وثِمارِه وفوائده، والسُّنَّةُ مليئةٌ بالنصوص المشتملة على الحثِّ على الدعاء وبيانِ فضله، وعِظم ثوابه، وأجره عند الله.

فمن ذلك ما ثبت في السُنن عن النعمان بن بشير- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة، ثمَّ قرأ:** ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠) »[١]، فدلَّ ذلك على عِظم شأن الدعاء، وأنَّه أرفعُ أنواع العبادة وأفضلُها.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**أفضل العبادة الدعاء، وقرأ:** ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(غافر: ٦٠)». [٢]

وعن أبي هريرة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ليس شيء أكرم على الله من الدعاء** »[٣].

ففي هذه الأحاديث دلالةٌ على فضل الدعاء، وعظيم كرمه عند الله، ورفيع مكانته من العبادة، وأنَّه روحُها، ولبُّها، وأفضلُها، وإنَّما كان ذلك كذلك لأمور عديدة ذكرها أهل العلم:

منها: أنَّ الدعاءَ فيه التضرُّعُ إلى الله، وإظهارُ الضعف، والحاجة إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومنها: أنَّ العبادةَ كلَّما كان القلبُ فيها أخشعَ، والفكرُ فيها حاضرًا فهي أفضلُ وأكملُ، والدعاء أقربُ العبادات إلى حصول هذا المقصود، فإنَّ حاجة العبد تدفعه إلى الخشوع، وحضور القلب.

ومنها: أنَّ الدعاءَ ملازمٌ للتوكُّل، والاستعانةِ بالله، فإنَّ التوكُّلَ هو الاعتمادُ بالقلب على الله، والثقةُ به في حصول المحبوبات، واندفاع المكروهات، والدعاءُ يقويه، بل يعبر عنه ويصرح به، فإنَّ الداعي يعلم ضرورته التامة إلى الله، وأنَّ أمورَه جميعَها بيده، فيطلبها من ربِّه راجيًا له واثقًا به، وهذا هو روحُ العبادة.

---

(١) رواه الترمذي: (رقم:٣٢٤٧)، وأحمد: (٤/ ٢٦٧)، والبخاري في الأدب المفرد: (رقم:٧١٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الأدب المفرد: (٥٥٣).

(٢) أخرجه الحاكم : (١/ ٤٩١)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة: (رقم:١٥٧٩).

(٣) رواه الترمذي:(٣٣٧٠)، وابن ماجه:(٣٨٢٩)، و ابن حبان: (٨٧٠)، والحاكم:(١/ ٤٩٠)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الأدب المفرد: (٥٤٩).



وممَّا ورد في فضل الدعاء في السُّنَّة:

عن أبي هريرة– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن لَم يدعُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَضِبَ عليه**»[(١)]، وهذا فيه دليلٌ على حبِّ الله للدعاء، وحبِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لعبده الذي يدعوه، ولذا فإنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يغضب من عبده إذا ترك دعاءَه، ولا ريب أنَّ هذا فيه ، دليل على أنَّ الدعاءَ من العبد لربِّه من أهمِّ الواجبات وأعظم المفروضات؛ لأنَّ تجنُّبَ ما يغضب الله منه لا خلاف في وجوبه»، وقد سبقَ ذِكرُ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾(غافر:٦٠)، وهو يدلُّ على أنَّ تركَ العبدِ دعاءَ ربِّه يُعدُّ من الاستكبار، وتجنُّبُ ذلك لا شكَّ في وجوبه.

وممَّا ورد أيضًا في فضل الدعاء عن أبي هريرة– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– عن النبي ﷺ قال: «**أعجزُ الناس مَن عجز عن الدعاء، وأبْخلُ الناس مَن بخل بالسلام**»[(٢)]، فالدعاءُ أمرُه يسيرٌ جدًّا على كلِّ أحد، فهو لا يتطلَّب جهدًا عند القيام به، ولا يلحق الداعي بسببه تعبٌ ولا مشقَّةٌ، ولهذا فإنَّ العجزَ عنه، والتواني في أدائه هو أشدُّ العَجز، وحَريٌّ بمَن عجز عنه مع يُسره وسهولته أن يعجز عن غيره، ولا يَعجزُ عن الدعاءِ إلاَّ دنيُّ الهمَّةِ ضعيفُ الإيمان.

وعن ثوبان–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– : أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا يردُّ القدرَ إلاَّ الدعاءُ**»[(٣)]، فهذا فيه دليل على أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، وقد ورد في هذا المعنى أحاديثُ عديدة، وحاصل معناها أنَّ الدعاءَ مِن قَدَرِ

---

(١) رواه الترمذي: (٣٣٧٣)، وابن: (٣٨٢٧)، وأحمد: (٢/ ٤٤٣، ٤٧٧)، وحسَّنه الألبانيُّ في الصحيحة: (٢٦٥٤).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد: (١٠٤٢)، وابن حبان: (٤٤٩٨)، والطبراني في الأوسط: (٥٩١)، وصحح العلامة الألباني رحمه الله الموقوف والمرفوع. الصحيحة: (٦٠١).

(٣)رواه أحمد:(٥/ ٢٨٠)، وابن ماجه: (٩٠)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة: (١٥٤).

اللهِ عَزَّوَجَلَّ ؛ إذ إنَّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد يقضي بالأمر على عبدِه قضاءً مقيَّدًا بأن لا يدعوه، فإذا دعاه اندفع عنه، وفي هذا دلالةٌ على أنَّ الدعاءَ من أعظم الأسباب التي تُنال بها سعادة الدنيا والآخرة، خلافًا لبعض المتصوِّفة الذين يعتقدون أنَّ الدعاءَ لا تأثيرَ له في حصول مطلوب ولا دفع مرهوب، وإنَّما هو مجرَّدُ عبادةٍ محضةٍ، وأنَّ ما حصل به يحصل بدونه، ولا يقول هذا مَن عَرَفَ قدرَ الدعاءِ، « ولهذا أمر الناسُ بالدعاءِ والاستعانةِ وغيرِ ذلك من الأسبابِ، ومَن قال: أنا لا أدعو ولا أسألُ اتِّكالًا على القَدَرِ كان مخطئًا ؛ لأنَّ الله جعلَ الدعاءَ والسؤالَ من الأسباب التي ينال بها مغفرتُهُ، ورحمتُه، وهداه، ونصرُه، ورزقُه، وإذا قدَّر للعبد خيرًا يناله بالدعاءِ لم يَحصل بدون الدعاء، وما قدَّره اللهُ وعَلِمَه من أحوالِ العباد وعواقبهم فإنَّما قَدَّره الله بأسباب يسوقُ المقاديرَ إلى المواقيت، فليس في الدنيا والآخرة شيء إلاَّ بسبب، والله خالقُ الأسباب والمسبَّبَات »[1].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى :«أساسُ كلِّ خيرٍ أن تعلَم أنَّ ما شاء اللهُ كان وما لَم يشأ لَم يكن، فتيقَّن حينئذ أنَّ الحسناتِ مِن نعمه فتشكرَه عليها وتتضَرَّعَ إليه أن لا يقطعَها عنك، وأنَّ السيِّئاتِ مِن خذلانه وعقوبتِه، فتَبْتَهِلَ إليه أن يَحُولَ بينك وبينها، ولا يَكِلَكَ في فعلِ الحسنات وتركِ السيِّئات إلى نَفسك، وقد أَجْمع العارفون على أنَّ كلَّ خيرٍ فأصلُه بتوفيقِ الله للعبد، وكلَّ شرٍّ فأصلُه خذلانه لعبده، وأجمعوا أنَّ التوفيقَ أن لا يكلَكَ الله إلى نفسك، وأنَّ الخذلانَ هو أن يخلي بينَك وبين نفسك، فإذا كان كلُّ خيرٍ فأصلُه التوفيق وهو بيد الله لا بيد العبدِ؛ فمفتاحُه الدعاءُ، والافتقارُ، وصدقُ اللَّجَأ، والرغبةِ، والرهبةِ إليه، فمتى أعطى العبدَ هذا المفتاحَ فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضلَّه عن المفتاح بقي بابُ الخير مُرْتَجًا دونه... وما أُتي مَن أُتي إلاَّ مِن قِبَل إضاعة الشكرِ، وإهمالِ الافتقار والدعاء، ولا ظَفِرَ مَن ظَفِرَ بمشيئة الله وعونِه إلاَّ

(١) مجموع الفتاوى: (٨/ ٦٩ ٧٠).



بقيامه بالشكرِ، وصدقِ الافتقارِ، والدعاء » ا.هـ[١].

إنَّ حاجةَ المسلم إلى الدعاء ماسَّةٌ في أموره كلِّها، وضرورتَه إليه ملحَّةٌ في شؤونه جميعِها، وقد ضَرَبَ أحدُ أهل العلم لِحال المسلم مع الدعاء مَثلًا بديعًا تستبين به شدَّةُ حاجته إليه، ويظهرُ به عظمُ ضرورته إليه، روى الإمام أحمد في كتاب الزهد عن قتادة قال: قال مُورِّقٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ :«ما وجدتُ للمؤمن مثلًا إلاَّ رجلًا في البحر على خشبة، فهو يدعو يا ربِّ يا ربِّ، لعل الله –عَزَّوَجَلَّ– أن ينجيَه »[٢].

ومَن أقبل على الله بصدق، وألَحَّ عليه بالدعاء، وأَكثَرَ من سؤالِه أجاب الله دعاءَه، وحقَّق رجاءَه، وأعطَاه سُؤْلَه، وفتح له أبوابَ الخير، والسعادة في الدنيا والآخرة.

إجابة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للدَّاعين:

لا يزال الحديثُ ماضيًا بنا عن بيان مكانة الدعاء، وفضله، ورفعة شأنه عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ؛ فإنَّ من فضل الدعاء أنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وعدَ مَن دعاه أن يجيب دعاءَه، ويحقِّقَ رجاءَه، ويُعطيَه سُؤْلَه، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠ ﴾(غافر:٦٠)، وهذا من فضله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وكرمه أنَّه ندبَ عبادَه إلى دعائه وتكفَّلَ لهم بالإجابة، وأحبَّ منهم أن يُكثروا من دعائه وسؤاله، كما قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ :«يا مَن أحبُّ عباده إليه مَن سأله فأكثر سؤاله، ويا مَن أبغضُ عباده إليه مَن لَم يسأله، وليس كذلك غيرُك يا ربِّ »[٣].

لقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديثُ كثيرةٌ في الترغيب في الدعاء ببيان أنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

---

(١) الفوائد لابن القيم: (ص:١٢٧ ١٢٨).
(٢) الزهد: (٣٧١).
(٣)انظر تفسير ابن كثير: (٤/ ٨٥).

يُعطي السائلين ويُجيب الدَّاعين، ولا يُخيب رجاء المؤمنين، فهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حيٌّ كريم، أكرمُ مِن أن يردَّ مَن دعاه، أو يخيبَ من ناجاه، أو يمنع مَن سأله.

وعن سلمان الفارسي- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ حَيِيٌّ كريمٌ يستحيي مِن عبده إذا رَفع يديه إليه أن يردَّهما صِفْرًا**»[١]، أي: خالية.

وفي حديث النزول الإلهي يقول - ﷺ - : «**ينزل ربُّنا** تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ **كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثُلث الليل الآخر فيقول: مَن يدعوني فأستجيب له، مَن يسألني فأعطيَه، مَن يستغفرني فأغفرَ له**»[٢]، وهو حديث متواتر رواه عن النبيِّ ﷺ جمعٌ من الصحابة بلغ عددُهم ثمانية وعشرين صحابيًا.

وجاء في الحديث القدسي في بيان منزلة أولياء الله المتقين عند الله، قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»[٣].

إنَّ هذه الأحاديث وما جاء في معناها تدلُّ أبين دلالة على أنَّ الله -تبارك وتعالى- لا يردُّ مَن سأله من عباده المؤمنين، ولا يخيب مَن رجاه، لكن قد استُشكل هذا، كما ذكر الحافظ ابن حجر بأنَّ جماعةً من العُبَّاد والصُلحاء دَعوا وبالغوا ولَم يُجابوا، قال -رحمه الله تعالى - :«والجواب أنَّ الإجابةَ تتنوَّع، فتارة

(١) رواه أبو داود:(١٤٨٨)، والترمذي: (٣٥٥٦)، وابن حبان: (٨٧٦)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود: (١٣٣٧).
(٢) رواه البخاري: (١١٤٥)، وصحيح مسلم: (٧٥٨).
(٣) رواه البخاري: (٦٥٠٢).



يقع المطلوب بعينه على الفور، وتارة يقع ولكن يتأخَّر لحكمةٍ، وتارة قد تقع الإجابةُ ولكن بغير عين المطلوب حيث لا يكون في المطلوب مصلحةٌ ناجزةٌ، وفي الواقع مصلحةٌ ناجزةٌ، أو أصلحُ منها »[1].

وقال رحمه الله تعالى: «إنَّ كلَّ داعٍ يُستجاب له، لكن تتنوَّع الإجابةُ فتارة تقع بعين ما دعا به وتارة بعِوض »[2]، وقد ورد في هذا المعنى الذي ذكره رحمه الله تعالى أحاديث عديدة، منها:

عَنْ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامت -رَضيَ الله عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَا عَلَى الْأَرْض مُسْلمٌ يَدْعُو اللَّهَ بدَعْوَةٍ إلَّا آتَاهُ اللهُ إيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ منَ السُّوء مثْلَهَا ، مَا لَمْ يَدْعُ بإثْمٍ أَوْ قَطيعَة رَحمٍ**»[3].

عَنْ أَبي سَعيد الْخُدْريِّ - رَضيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -: «**مَا منْ مُسْلم يَدْعُو دَعْوَةً لَيْسَ فيهَا إثْمٌ، وَلَا قَطيعَةُ رَحمٍ إلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بهَا إحْدَى ثَلَاثٍ: إمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإمَّا أَنْ يُؤَخِّرَهَا لَهُ في الْآخرَة، وَإمَّا أَنْ يَكُفَّ عَنْهُ منَ الشَّرِّ مثْلَهَا، قَالُوا: إذًا نُكْثرُ، قَالَ: اللهُ أَكْثَرُ**»[4].

فقد أخبر الصادقُ المصدوق في هذه الأحاديث أنَّه لا بدَّ في الدعوة الخالية من العدوان من إعطاء السُّؤل معجَّلًا، أو مثله من الخير مؤجَّلًا، أو يصرفُ عنه من السوء مثله، وبهذا يتبيَّن أنَّ إجابةَ الداعي في سؤاله أعمُّ من إعطائه عينَ المسؤول.



---

(١) فتح الباري: (١١/ ٣٤٥).
(٢) فتح الباري: (١١/ ٩٥ ٦٩).
(٣) رواه الترمذي: (٣٥٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (١٦٣١).
(٤) رواه أحمد:(٣/ ١٨)، والبخاري في الأدب المفرد: (٧١٠)، والحاكم في المستدرك: (١/ ٤٩٣)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الأدب: (رقم:٥٤٧).



أدعية وأذكار عند الكرب

لقد ثبت في السُّنَّة النبوية أحاديثُ عديدة عن النَّبيِّ ﷺ في علاج ما قد يصيب الإنسانَ من الكَرْب، وهو الشدَّة والألَم الذي قد يجده الإنسانُ في نفسه بسبب ما يَحلُّ به من مصائب ونوازل، تدهو الإنسان فتغمه، وتحزنه، وتؤرقه.

ومن الأحاديث الواردة في علاج ذلك ما ثبت عن ابن عباس - رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا-: «**أَنَّ رَسُولَ الله - ﷺ - كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْب: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيم**»[1].

وعن أسماء بنت عُمَيس- رَضيَ اللهُ عَنْهَا- قالت قال لي رسول الله-ﷺ - : «**ألاَ أُعَلِّمُك كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الكَرْبِ، أَوْ فِي الكَرْبِ: اللهُ اللهُ رَبِّي، لاَ أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** »[2].

وعن أبي بكرة - رَضيَ اللهُ عَنْهُ - عن النَّبيِّ - ﷺ - أنَّه قال: «**دَعَوَاتُ المَكْرُوبِ: اللهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ**» [3].

وروى الترمذي عن سعد بن أبي وقاص- رَضيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله - ﷺ - : «**دَعْوَةُ ذي النُّون إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ**

---

(١) رواه البخاري:(٦٣٤٦)، و مسلم:(٢٧٠٣).

(٢) رواه أبو داود:(١٥٢٥)، وابن ماجه:(٣٨٨٢)، وصحَّحه الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب: (١٨٢٤).

(٣) رواه أبوداود: (٥٠٩٠)، وحسَّنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع: (٣٣٨٨).

قَطُّ إِلاَّ اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ»[١].

وجميعُ هذه الكلمات الواردة في هذه الأحاديث كلماتُ إيمان، وتوحيد، وإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ ، وبُعد عن الشِّرك كلِّه كبيره وصغيره، وفي هذا أبينُ دلالة على أنَّ أعظمَ علاجٍ للكرب هو تجديدُ الإيمان، وترديدُ كلمة التوحيد (لا إله إلاَّ الله)، فإنَّه ما زالَت عن العبد شدَّةٌ، ولا ارتفع عنه هَمٌّ وكَرْبٌ بمثل توحيد الله وإخلاص الدِّين له، وتحقيقِ العبادة التي خُلق العبدُ لأجلها وأُوجدَ لتحقيقها؛ فإنَّ القلبَ عندما يُعمَرُ بالتوحيد والإخلاص، ويُشغَل بهذا الأَمر العظيم الذي هو أعظم الأمور وأجلُّها على الإطلاق، تذهبُ عنه الكُرُبات، وتزولُ عنه الشدائدُ والغمومُ، ويَسعَدُ غايةَ السعادة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «التوحيدُ مفزَعُ أعدائه وأوليائه، فأمَّا أعداؤه فيُنجيهم من كُرَب الدنيا وشدائدها: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾(العنكبوت: ٦٥)، وأمَّا أولياؤه فيُنجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها، ولذلك فزع إليه يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ فنجّاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباعُ الرُّسل فنجوا به ممَّا عُذِّب به المشركون في الدنيا وما أُعدَّ لهم في الآخرة، ولمَّا فزع إليه فرعون عند مُعاينة الهلاك وإدراك الغرق لَم ينفعه؛ لأنَّ الإيمانَ عند المعاينة لا يُقبل، هذه سُنَّة الله في عباده، فما دُفعت شدائدُ الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاءُ الكرب بالتوحيد، ودعوةُ ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلاَّ فرَّجَ الله كُرَبَه بالتوحيد، فلا يُلقي في الكرب العظام إلاَّ الشِّركُ، ولا ينجي منها إلاَّ التوحيد، فهو مَفزَعُ الخليقة ومَلجَؤُها، وحِصنُها، وغايتُها، وبالله التوفيق» ا.هـ[٢].

وقد مر معنا أحاديثُ دالَّة على هذا المعنى، **أوَّلُها**: حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

---

(١) رواه الترمذي:(٣٥٠٥)، وصحَّحه الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الجامع:(٣٣٨٣).
(٢) الفوائد: (ص:٩٥ ٩٦).

وكلُّه توحيدٌ وتمجيدٌ لله عَزَّوَجَلَّ، وترديدٌ لكلمة التوحيد: لا إله إلاَّ الله، مقرونة بما يدلُّ على عظمة الله وجلاله، وكماله، وربوبيَّته للسَّموات والأرض وللعرش العظيم، فقد انتظمت هؤلاء الكلمات أنواعَ التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فإذا قالها المسلم مُتَأَمِّلًا لمعانيها متفكِّرًا في دلالاتها سكن قلبُه، واطمأنت نفسُه، وزال عنه كَرْبُه وشدَّتُه، وهُديَ إلى صراط مستقيم.

وثانيها: حديث أسماء بنت عُميس رَضِيَ الله عَنْهَا، حيث أرشدها النَّبيُّ ﷺ أن تَفزَع في الكَرْب، أو عند الكربَ إلى التوحيد، الذي ما دُفعت عن العبد الشدائد، ولا زالت عنه الكُرُبات بمثله، وقد شدَّ صلوات الله وسلامه عليه انتباهها لهذا الأمر وشَوَّقَّها إلى معرفته، وهيَّأ نفسَها لتَلَقِّيه؛ بأن طَرَح عليها استفهامًا مُشَوِّقًا :«**ألاَ أعلِّمُك كلمات تقولينَهنَّ عند الكَرب، أو في الكرب**»، وما من ريبٍ أنَّ نفسَها قد تاقت لمعرفة هؤلاء الكلمات، فأرشدها ﷺ أن تقول:«**الله الله ربِّي لا أُشرك به شيئًا**»، وهي كلمةُ إخلاص وتوحيد.

وقوله:«اللهُ اللهُ» هو بالرَّفع فيهما، على أنَّ الأوَّلَ: مبتدأ، والثاني: تأكيد لفظي له، إشارةً إلى عِظَم المقام وأهمية الأمر، وخبر المبتدأ هو قوله:«ربِّي»، والمعنى أنَّ إلَهي الذي أعبدُه وأخصُّه بجميع أنواع العبادة من خوف، ورجاء، وذلٍّ، وخضوع، وخشوع،وانكسار وغير ذلك، هو ربِّي الذي ربَّاني بنعمته، وأوجدني من العدَم، وتفضَّل علي بصنوف العطايا، والمنَن.

وقوله:«**لا أشركُ به شيئًا** » أي لا أتَّخذ معه شريكًا في العبادة كائنًا مَن كان، فقوله:«شيئًا » نكرَةٌ في سياق النفي تفيدُ العموم.

وعلى كلٍّ فهذه الكلمة العظيمة اشتملت على تحقيق التوحيد برُكنَيْه النفي والإثبات؛ نفيُ العبودية عن كلِّ مَن سوى الله، وإثباتها له وحده، وفي الحديث

دليلٌ على أنَّ التوحيدَ هو المفزَع في الكرب، وأعظمُ أسباب زوال الهموم، وذهاب الغُمُوم.

وثالثها: حديث أبي بَكرة عن النَّبيّ ﷺ ـ: «**دعواتُ المكروب اللَّهمَّ رحمتَك أرجو، فلا تَكلْنِي إلى نفسي طَرْفَة عَين، وأصلح لي شأني كلَّه لا إله إلاَّ أنت**» وهو كلُّه توحيد لله، والتجاءٌ إليه واعتصامٌ به.

وقوله: «**اللَّهمَّ رحمَتك أرجو**» في تأخير الفعل دَلالةٌ على الاختصاص، أي: نخصُّك برجاء الرحمة منك، فلا نرجوها من أحد سواك.

وقوله: «**فلا تَكلْنِي إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلَّه**» فيه شدَّةُ افتقار العبد إلى الله، وأنَّه لا غنى له عن ربِّه ومولاه طرفة عين في كلِّ شأن من شؤونه، ولهذا قال: «**وأصلح لي شأني كلَّه**» أي: في كلِّ جزئية من جزئياته، وكلِّ جانب من جوانبه، ثم ختم هذ الدعاءَ المبارك بكلمة التوحيد لا إله إلاَّ الله.

ورابعها: حديث سَعْد بن أبي وقاص، وفيه ذكرُ دعوة ذي النُّون عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وعن هذه الدعوة يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «فإنَّ فيها من كمال التوحيد والتَّنْزيه للرَّبِّ تعالى، واعتراف العبد بظلمه، وذنبه ما هو من أبلغ أدوية الكرب، والهمِّ، والغمِّ، وأبلغ الوسائل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قضاء الحوائج، فإنَّ التوحيدَ، والتَّنْزيهَ يتضمَّنان إثباتَ كلِّ كمال لله، وسَلبَ كلِّ نقص وعَيب وتمثيل عنه، والاعترافَ بالظلم يتضمَّن إيمانَ العبد بالشَّرع، والثوابً، والعقاب، ويوجب انكسارَه ورجوعه إلى الله، واستقالته عثرته، والاعتراف بعبوديته، وافتقاره إلى ربِّه، فها هنا أربعةُ أمور قد وقع التوسُّل بها: التوحيد، والتَّنْزيه، والعبوديةُ، والاعتراف» ا.هـ[1].

(١) زاد المعاد: (٢/ ٢٠٨).

دعاءُ الغَمِّ، وَالهَمِّ، وَالحُزْنِ:

إنَّ العبدَ في هذه الحياة قد يُصاب بآلام متنوِّعَة، وقد يَرِدُ على قلبه وارِدَاتٌ متَعدِّدةٌ تؤْرق قلبَه وتُؤْلِمُ نفسَه، وتَجلبُ له الكدَرَ والضِّيقَ، فإن كان هذا الألَمُ الذي يُصيبُ القلبَ متَعلِّقًا بأمور ماضية فهو حُزنٌ، وإن كان متعلِّقًا بأمور مستقبَلَة فهو هَمٌّ، وإن كان متعلِّقًا بواقع الإنسان وحاضره فهو غَمٌّ، وهذه الأمور الثلاثة: الحزنُ، والهمُّ، والغَمُّ إنَّما تزول عن القلب وتَنْجَلي عن الفؤاد بالعودة الصادقة إلى الله، وتَمام الانكسار بين يديه، والتَّذَلُّل له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والخضوع له، والاستسلام لأمره، والإيمان بقضائه وقدره ومعرفته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومعرفةِ أسمائه وصفاته، والإيمانِ بكتابه، والعناية بقراءته، وتدبره والعمل بما فيه، فبذلك لا بغيره تزولُ هذه الأمور، وينشرح الصَّدرُ، وتتحقَّق السَّعادة.

جاء في المسند للإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النَّبيّ ﷺ قال: «**مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إذا أَصَابَهُ هَمٌّ، أَوْ حُزْنٌ: اللهُمَّ إنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدُكَ وابْنُ أَمَتكَ، نَاصيَتِي بيَدك، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بكُلِّ اسْم هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ به نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كتَابكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا منْ خَلْقكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ به فِي علْم الغَيْب عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبي، وَنُورَ صَدْري، وَجَلاَءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إلاَّ أَذْهَبَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنه فَرَحًا. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتعَلَّمَ هَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ. قَالَ: أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ**»[1].

فهذه كلماتٌ عظيمةٌ ينبغي على المسلم أن يتعلَّمها، وأن يحرصَ على قولها عندما يُصاب بالحزن، أو الهمِّ، أو الغمِّ. وليعلم كذلك أنَّ هؤلاء الكلمات

---

(١) رواه أحمد: (١/ ٣٩١)، وصحَّحه الألباني رحمه الله تعالى في السلسلة الصحيحة:(١٩٩)، وانظر في شرح هذا الحديث الفوائد لابن القيم: (ص:٤٤).



إنَّما تكون نافعةً له إذا فَهم مدلولَها وحقَّق مقصودَها وعمل بما دلَّت عليه، أمَّا الإتيانُ بالأدعية المأثورة، والأذكار المشروعية دون فهم لمعانيها ودون تحقيق لمقاصدها، فإنَّ هذا قليلُ التأثير عديمُ الفائدة.

وإذا تأمَّلنا هذا الدعاءَ نجدُ أنَّه يتضمن أربعة أصول عظيمة، لا سبيل للعبد إلى نيل السعادة وزوال الهم، والغم، والحزن إلاَّ بالإتيان بها وتحقيقها.

أمَّا الأصل الأول: فهو تحقيقُ العبادة لله وتَمام الانكسار بين يديه، والخضوع له واعترافه بأنَّه مخلوق لله مَملوكٌ له هو وآباؤه وأمهاتُه، ابتداء من أبويه القريبين وانتهاء إلى آدم وحواء، ولهذا قال: «**اللَّهمَّ إنِّي عبدُك وابنُ عبدك وابنُ أَمَتِك**» فالكلُّ مماليك لله، وهو خالقُهم، وربُّهم، وسيِّدُهم، ومدَبِّر شؤونهم، الذي لا غنى لهم عنه طرفة عين، وليس لهم من يعوذون به، ويلوذون به سواه. ومن تحقيق ذلك التزام العبد عبوديته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الذُّلِّ، والخضوع، والانكسار، والإنابة، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، ودوام الافتقار إليه، واللَّجأ إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، والاستعاذة به. وأن لا يتعلَّق القلبُ بغيره محبَّةً وخوفًا ورجاءً.

وأمَّا الأصل الثاني: فهو أن يؤمن العبدُ بقضاء الله وقَدَره، وأنَّ ما شاء الله كان وما لَم يشأ لَم يكن، وأنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا مُعقِّبَ لحُكمه، ولا رادَّ لقضائه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ (فاطر: ٢).

ولهذا قال في هذا الدعاء « **ناصيَتي بيدك، ماض فيَّ حُكمُك ، عَدلٌ فيَّ قضاؤك**»، فناصيةُ العبد وهي مُقدَّمَةُ رأسه بيد اللهً، يتصَرَّف فيه كيف يشاَء ويَحكم فيه بما يريد، لا مُعَقِّبَ لحُكمه ولا رادَّ لقضائه، فحياةُ العبد وموتُه، وسعادتُه وشقاوتُه، وعافيتُه وبلاؤه.

كلُّ ذلك إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس إلى العبد منه شيء، وإذا آمن العبدُ بأنَّ ناصيتَه ونواصي العباد كلَّها بيد الله وحده يصرفهم كيف شاء، لم يخف بعد ذلك منهم، ولم يَرجُهم، ولَم يُنْزِلْهم مَنْزِلَة المالكين، ولم يعلِّق أملَه ورجاءَه بهم، وحينئذ يستقيمُ له توحيدُه، وتوكُّله، وعبوديتُه.

ولهذا قال هود عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ ﴾ (هود: ٥٦).

وقوله: «**مَاضٍ فيَّ حُكْمُكَ**» يتناول الحكمين: الحكم الديني الشرعي، والحكم القدريّ الكوني، فكلاهما ماضيان في العبد شاء أم أبَى، لكن الحكم الكوني القدري لا يمكن مخالفتُه، وأمَّا الحكمَ الدينيَّ الشرعي فقد يخالفُه العبدُ، ويكون متعرِّضًا للعقوبة بحسب ما وقع فيه من مخالفة.

وقوله: «**عَدلٌ فيَّ قضاؤك**» يتناول جميعَ أقضيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في عبده من كلِّ الوجوه، من صحة وسُقم، وغنًى وفقر، ولَذَّة وألَم، وحياة وموت، وعقوبة وتجاوز وغير ذلك، فكلُّ ما يقضي على العبد فهو عَدلٌ فيه ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ (فصلت: ٤٦).

والأصلُ الثالث: أن يؤمنَ العبدُ بأسماء الله الحسنى، وصفاته العظيمة الواردة في الكتاب والسُّنَّة، ويتوسَّلَ إلى الله بها، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ (الأعراف: ١٨٠)، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ (الإسراء: ١١٠).

والعبدُ كلَّما كان عظيمَ المعرفة بالله وأسمائه وصفاته زادت خشيتُه له، وعَظُمت مراقبتُه له، وازدادَ بُعْدًا عن معصيته والوقوع فيما يسخطه، كما قال بعض السلفُ: «من كان بالله أعرفَ كان منه أخوف»، ولهذا فإنَّ أعظَمَ ما يَطرُدُ



الهمَّ، والحزنَ، والغمَّ أن يعرفَ العبدُ ربَّه، وأن يَعمُرَ قلبَه بمعرفته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن يتوسَّلَ إليه بأسمائه وصفاته، ولهذا قال: «أسألُك بكلِّ اسم هو لكَ سَمَّيت به نفسَك، أو أنزلتَه في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك»، فهذا توسُّلٌ إلى الله بأسمائه كلِّها ما عَلَمَ العبدُ منها وما لم يعلم، وهذا أحبُّ الوسائل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والأصلُ الرابع: هو العنايةُ بالقرآن الكريم، كلام الله عَزَّوَجَلَّ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، المشتمل على الهداية، والشفاء، والكفاية، والعافية، والعبدُ كلَّما كان عظيمَ العناية بالقرآن تلاوةً، وحفظًا، ومذاكرةً، وتدبُّرًا، وعملًا، وتطبيقًا نال من السعادة، والطمأنينة، وراحةِ الصَّدر، وزوال الهمِّ، والغَمِّ، والحزن بحسب ذلك، ولهذا قال في هذا الدعاء: «**أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلاَءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي**».

فهذه أربعةُ أصول عظيمة مستفادة من هذا الدعاء المبارك، ينبغي علينا أن نتأمَّلَها ونَسعَى في تحقيقها؛ لننالَ هذا الموعودَ الكريمَ والفضلَ العظيم وهو قوله – ﷺ –: «**إلاَّ أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا**» وفي رواية «**فَرَجًا**»، ومنَ الله وحده نطلب العونَ والتوفيق.[1]



(١) هذا الباب غالبة مادته منقولة من الكتاب القيم، والكنز الثمين « فقه الأدعية والأذكار » لشيخنا العلامة عبد الرزاق بن العلامة عبد المحسن العباد حفظهما الله جميعًا انظر الجزء الأول القسم الثاني أبواب الدعاء المعنون لها هنا، نقلتها بتصرف.



17
ومن علاج الهموم ما يكون بالأطعمة

عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ، فَطُبِخَتْ ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتْ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: كُلْنَ مِنْهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «**التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ**»[(١)].

وعَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -: أَنَّهَا كَانَتْ تَأْمُرُ بِالتَّلْبِينِ لِلْمَرِيضِ، وَلِلْمَحْزُونِ عَلَى الْهَالِكِ وَكَانَتْ تَقُولُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «**إِنَّ التَّلْبِينَةَ تُجِمُّ فُؤَادَ الْمَرِيضِ، وَتَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ**»[(٢)].

إنه كلام من لا ينطق عن الهوى، وما هو إلا وحي يوحي، فلا ينطق إلا بالحق، وهو الهادي إلى الحق ﷺ -.

وهذه التلبينة نوع من الطعام يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى :

« وأما التلبينة: فبفتح التاء وهي حساء من دقيق، أو نخالة قالوا وربما جعل فيها عسل. قال الهروي وغيره: سميت تلبينة تشبيها باللبن لبياضها ورقتها »[(٣)].

وأرشد عليه الصلاة والسلام إلى دورها في تسلية المحزون، وتفريج هم المكروب بقوله: «**تُجِمُّ فُؤَادَ الْمَرِيضِ، وَتَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ**».

---

(١) رواه البخاري: (٥٤١٧)، ومسلم: (٢٢١٦).
(٢) رواه البخاري: (٥٦٨٩).
(٣) شرح النووي على مسلم: (١٤ / ٢٠٣).



ومعنى: تجم الفؤاد « أى تريح فؤاده وتزيل عنه الهمّ وتنشطه، والجمام المستريح كأهل النشاط» [(١)].

وقال الإمام النووي: وفيه استحباب التلبينة للمحزون »[(٢)].

وقد ذكر أهل العلم رحمهم اللّه تعالى أمورًا في سبب تفريجها للحزن:

فيقول القاضي عياض :«وقوله:«يذهب بعض الحزن » لأن الجوع، وحرارة المعدة منه، والأحشاء يزيد في حرارة القلب، فيزيد الغم، والحزن » [(٣)].

وقال القرطبي رحمه اللّه تعالى :«وذلك: أنها غذاء فيه لطافةٌ، سهل التناول على المريض ؛ فإذا استعمله المريض اندفع عنه الحرارة الجوعيَّة، وحصلت له القوة الغذائية من غير مشقَّة تلحقه، فسيزيل عنه بعض ما كان فيه، ونشط، وذهب عنه الضيق، والحزن الذي كان يجده بسبب المرض، وإنما كانت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا تصنعها لأهل الميت، وتثرد فيها لأن أهل الميت شغلهم الحزن عن الغذاء، فاشتدَّت حرارة أحشائهم من الجوع والحزن، فلما أطعمتهم التلبينة انكسرت عنهم حرارة الجوع، فخف عنهم بعض ما كانوا فيه.

ولا يلزم من فعلها ذلك لهؤلاء أن يفعل بالمريض كذلك، فيثرد له فيها، وإنَّما ذلك بحسب الحال، فإنَّ احتاج المريض إلى تقوية غذاء التلبينة بلباب يضاف إليها فحسن. وعلى الجملة: فالتلبينة غذاء لطيف لا ضرر فيه غالبًا، فلذلك نبَّه عليه النبي – صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ – »[(٤)].

---

(١) المصدر السابق:(١٤ / ٢٠٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم: (٧/ ٦٣).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: (٨/ ١٠٨).

وقال العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى :«التلبين: هو الحساء الرقيق الذي هو في قوام اللبن ومنه اشتق اسمه.قال الهروي: سميت تلبينة لشبهها باللبن لبياضها ورقتها وهذا الغذاء هو النافع للعليل، وهو الرقيق النضيج لا الغليظ النيئ، وإذا شئت أن تعرف فضل التلبينة فاعرف فضل ماء الشعير، بل هي ماء الشعير لهم فإنها حساء متخذ من دقيق الشعير بنخالته، والفرق بينها وبين ماء الشعير أنه يطبخ صحاحًا، والتلبينة تطبخ منه مطحونًا وهي أنفع منه لخروج خاصية الشعير بالطحن، وقد تقدم أن للعادات تأثيرًا في الانتفاع بالأدوية، والأغذية وكانت عادة القوم أن يتخذوا ماء الشعير منه مطحونًا لا صحاحًا وهو أكثر تغذية وأقوى فعلًا، وأعظم جلاءً، وإنما اتخذه أطباء المدن منه صحاحًا ليكون أرق، وألطف فلا يثقل على طبيعة المريض وهذا بحسب طبائع أهل المدن، ورخاوتها، وثقل ماء الشعير المطحون عليها والمقصود: أن ماء الشعير مطبوخًا صحاحًا ينفذ سريعًا ويجلو جلاءً ظاهرًا، ويغذي غذاءً لطيفًا وإذا شرب حارًا كان جلاؤه أقوى، ونفوذه أسرع، وإنماؤه للحرارة الغريزية أكثر، وتلميسه لسطوح المعدة أوفق».

ثم ذكر رحمه الله تعالى عِلَّةُ ذَهَاب التَّلْبِينَةِ بِبَعْضِ الْحُزْنِ فقال:«وقوله ﷺ فيها: (**التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ**) يروى بوجهين بفتح الميم والجيم، وبضم الميم وكسر الجيم.

والأول: أشهر. ومعناه: أنها مريحة له أي: تريحه وتسكنه من الإجمام وهو الراحة وقوله: (**تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ**) هذا - والله أعلم - لأن الغم ، والحزن يبردان المزاج، ويضعفان الحرارة الغريزية لميل الروح الحامل لها إلى جهة القلب الذي هو منشؤها، وهذا الحساء يقوي الحرارة الغريزية بزيادته في مادتها، فتزيل أكثر ما عرض له من الغم، والحزن.

وقد يقال – وهو أقرب –:إنها تذهب ببعض الحزن بخاصية فيها من جنس خواص الأغذية المفرحة، فإن من الأغذية ما يفرح بالخاصية والله أعلم [(١)]

وقد يقال: إن قوى الحزين تضعف باستيلاء اليبس على أعضائه وعلى معدته خاصة لتقليل الغذاء وهذا الحساء يرطبها، ويقويها، ويغذيها، ويفعل مثل ذلك بفؤاد المريض لكن المريض كثيرًا ما يجتمع في معدته خلط مراري، أو بلغمي، أو صديدي، وهذا الحساء يجلو ذلك عن المعدة ويسروه، ويحدره، ويميعه، ويعدل كيفيته، ويكسر سورته فيريحها ولا سيما لمن عادته الإغتذاء بخبز الشعير وهي عادة أهل المدينة إذ ذاك وكان هو غالب قوتهم وكانت الحنطة عزيزة عندهم والله أعلم » [(٢)].

ويقول فضيلة الشيخ محمد المنجد حفظه الله تعالى :«ومما لا شك فيه أن للشعير فوائد متعددة، وقد أظهرت الدراسات الحديثة بعضها، منها: تخفيض الكولسترول، ومعالجة القلب، وعلاج الاكتئاب، وعلاج ارتفاع السكر والضغط، وكونه مليِّنًا ومهدِّئًا للقولون، كما أظهرت نتائج البحوث أهمية الشعير في تقليل الإصابة بسرطان القولون.

قالت الدكتورة صهباء بندق - وقد ذكرت العلاجات السابقة وفصَّلتها -:
«وعلى هذا النحو يسهم العلاج بـ « التلبينة » في الوقاية من أمراض القلب والدورة الدموية ؛ إذ تحمي الشرايين من التصلب – خاصة شرايين القلب التاجية – فتقي من التعرض لآلام الذبحة الصدرية وأعراض نقص التروية، واحتشاء عضلة القلب.

أما المصابون فعليًّا بهذه العلل الوعائية والقلبية: فتساهم « التلبينة » بما

(١) ولعل ما يؤيد هذا القول تخصيص النبي ﷺ هذا النوع من الطعام دون غيره، ولو كانت بقية الأطعمة تقوم مقامه ما كان هناك فائدة لتخصيصه بالذكر والله أعلم.
(٢) زاد المعاد: (٤/ ١١٠، ١٠٩).

تحمله من خيرات صحية فائقة الأهمية في الإقلال من تفاقم حالتهم المرضية، وهذا يُظهر الإعجاز في قول النبي ﷺ: «**التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ،...** » أي: مريحة لقلب المريض » والله أعلم[1].

الفرج مع الكرب واليسر مع العسر:

بشّر الليل بصبح صادق سوف يطارده على رؤوس الجبال ومسارب الأودية، بشّر المهموم بفرجٍ مفاجئ يصل في سرعة الضوء ولمح البصر، بشّر المنكوب بلطف خفيّ، وكفّ حانية وادعة.

إذا رأيت الصحراء تمتد وتمتد، فاعلم أن وراءها رياضًا خضراء وارفة الظلال ، وإذا رأيت الحبل يشتد ويشتد، فاعلم أنه سوف ينقطع ، مع الدمعة بسمة، ومع الخوف أمن، ومع الفزع سكينة.

فلا تضق ذرعًا، فمن المحال دوام الحال، وأفضل العبادة انتظار الفرج، والأيام دول، والدهر قُلّب، والليالي حبالى، والغيب مستور، والحكيم كل يوم هو في شأن، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا، وإن مع العسر يسرًا، إن مع العسر يسرًا.

وفي محكم التنزيل، وآيات الذكر الحكيم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ (الشرح: ١ - ٨).

قال القاضي التنوخي رحمه الله تعالى: «فهذه كلها مفصحة بإذكار الله عَزَّوَجَلَّ رسوله ﷺ منته عليه في شرح صدره بعد الغم، والضيق ووضع وزره عنه، وهو الإثم بعد إنقاض الظهر، وهو الثقل الذي أثقله لنقض العظام، كما ينتقض البيت إذا صوت للوقوع، ورفع جل جلاله ذكره بعد أن لم يكن بحيث جعله مذكورًا معه، والبشارة له في نفسه عليه الصلاة والسلام وفي أمته بأن

(١) من موقع الإسلام سؤال وجواب.

مع العسر الواحد يسرين إذا رغبوا إلى الله تعالى ربهم، وأخلصوا له طاعاتهم ونياتهم وقال الله تعالى:﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾(الطلاق:٧)"[١].

ويقول العلامة السعدي رحمه الله تعالى: «وقوله: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ (الشرح: ٥ - ٦). بشارة عظيمة أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر »[٢].

يقول علماء البيان: النكرة إذا تكررت فهي متعددة، والمعرفة إذا تكررت فليست متعددة، قال الله:﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ فاليسر هنا متكرر، وهو نكرة، والعسر معرف بأل، فيكون تكراره لا يستوجب تعدده، ولكن اليسر لما كان منكرًا كان تكراره يقتضي تعدده. وكان هذا معروفًا عند العرب.

يقول القرطبي رحمه الله تعالى :«وقال قوم: إن من عادة العرب إذا ذكروا اسماً معرفًا ثم كرروه، فهو هو. وإذا نكروه ثم كرروه فهو غيره، وهما اثنان، ليكون أقوى للأمل، وأبعث على الصبر قاله ثعلب »[٣].

ويذكر القاضي التنوخي قصة له مع هذه السورة المباركة، ودورها في كشف كربة من كربه.

قال رحمه الله تعالى : « فوقعت أنا بعد ذلك في شدة لحقتني من عدو خفته، فاستترت منه، فجعلت دأبي قراءة هذه السورة في الركعة الثانية من صلاة الفجر كل يوم، وأقرأ في الأولى منها:﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾، إلى آخر السورة، لخبر كان بلغني فيها، فلما كان بعد شهور كفاني الله أمر ذلك العدو، وأهلكه من غير سعي لي في ذلك ولا حول ولا قوة »[٤].

---

(١) الفرج بعد الشدة: (ص:١١).
(٢) تيسير الكريم الرحمن: (ص: ٩٢٩).
(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم: (١٠/ ٤٩٤).
(٤) الفرج بعد الشدة: (ص:٢٤).

وصية النبي ﷺ لابن عباس، وتعليمه إياه مهمات العقيدة:

يقول ابْن عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: **كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: « يَا غُلَامُ أَوْ يَا غُلَيِّمُ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: أَحْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ أحفظ الله تَجِدْهُ أَمَامَكَ تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّة، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا »** [(١)].

إذا اشتد الأمر وزاد الكرب، وانغلقت جميع الأبواب، كان هذا بإذن الله دليلاً على الفرج. وهذا الحديث يربي في النفوس عدم اليأس من روح الله، وفرجه، وحسن الظن به حتى لو اشتد الأمر لأن الفرج لا يأتي إلّا بعد الكرب.

قوله: « **وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ** » عام في جميع شؤون الحياة، ففيه بشارة لمن أصابه هم، وغم، وتراكمت عليه الأحزان أن فرج الله قريب.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: «ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب، واليسر بالعسر أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى وحصل للعبد اليأس من كشفه من جهة المخلوقين وتعلق قلبه بالله وحده وهذا هو حقيقة التوكل " أ.هـ.

والحديث يدل على أن حال الدنيا يدور بين عسر يتبعه يسر، وكرب يتبعه فرج حيث خلق الله الدنيا على نكد وعدم صفو، فمن عرف حالها لم يطمئن لها.

قال الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى: «وهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة، وقواعد كلية من أهمِّ أمور الدين، حتى قال بعض العلماء: تدبرتُ

---

(١) رواه أحمد: (١/ ٣٠٧)، وصححه الألباني في الصحيحة: (٢٣٨٢).

هذا الحديثَ، فأدهشني وكِدتُ أطيشُ، فوا أسفى من الجهل بهذا الحديث، وقِلَّةِ التفهم لمعناه.

قلت: وقد أفردت لشرحه جزءًا كبيرًا [١] ونحن نذكر هاهنا مقاصِدَهُ على وجه الاختصار إنْ شاء الله تعالى » [٢].

وقال رحمه الله تعالى: «قوله - ﷺ -: «وإنَّ الفرج مع الكرب» وهذا يشهد له قوله - عَزَّوَجَلَّ -: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الشورى:٢٨).

وقول النَّبيِّ - ﷺ -: « **ضَحكَ ربنا من قُنوط عباده وقُربِ غيرِه** » [٣] خرَّجه الإمام أحمد، وخرَّجه ابنُه عبدُ الله في حديث طويل، وفيه: «علم الله يوم الغيث أنَّه ليشرف عليكم أزلينَ قَنِطينَ، فيظلُّ يضحك قد علم أنَّ غيرَكُم إلى قُرب»، والمعنى: أنَّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يعجب من قنوط عباده عندَ احتباس القطر عنهم وقنوطهم ويأسهم من الرحمة، وقد اقترب وقتُ فرجه ورحمته لعباده، بإنزالِ الغيث عليهم، وتغيره لحالهم وهم لا يشعرون. وقال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الروم:٩٤)، وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ﴾ (يوسف:١١١)، وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة:٢١٤)، وقال حاكيًا عن يعقوب أنَّه قال لبنيه: ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (يوسف: ٨٧)، ثم قصَّ قصة اجتماعهم عَقيبَ ذلك.

---

(١) وهو كتاب مطبوع اسمه « نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي - ﷺ - لابن عباس».
(٢) جامع العلوم والحكم: (ص:٢٤٧).
(٣) وأورده في "الصحيحة" برقم:(٢٨١٠).

كم قصَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من قصص تفريج كُرُباتِ أنبيائه عند تناهي الكَرْب كإنجاء نوح ومَنْ معه في الفلك، وإنجاء إبَراهيم من النار، وفدائه لولده الذي أمر بذبحه، وإنجاء موسى وقومه من اليمِّ، وإغراق عدوِّهم، وقصة أيوب ويونس، وقصص محمَّدٍ - ﷺ - مع أعدائه، وإنجائه منهم، كقصته في الغار، ويوم بدر، ويوم أحد، ويوم الأحزاب، ويوم حنين، وغير ذلك.

وقوله - ﷺ -: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ ﴾ هو منتزع من قوله تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (الطلاق:٧)، وقوله - عَزَّوَجَلَّ -: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ (الشرح: ٥ - ٦).

وخرَّج البزار في « مسنده»، وابن أبي حاتم - واللفظ له - من حديث أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النَّبيِّ - ﷺ -، قال: «**لو جاء العُسْرُ، فدخل هذا الجُحر، لجاءَ اليسر حتّى يدخل عليه فيخرجه**»، **فأنزل الله** - عَزَّوَجَلَّ - ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾[1].

وروى ابنُ جرير وغيره من حديث الحسن مرسلًا نحوه، وفي حديثه: فقال النَّبيُّ - ﷺ -: «**لن يَغْلِبَ عُسرٌ يُسرين** »[2].

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن ابن مسعود قال: «لو أنَّ العسر دخل في جُحر لجاء اليسر حتى يدخل معه، ثُمَّ قال: قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ (الشرح: ٥ - ٦) ».

وبإسناده أنَّ أبا عبيدة حُصرَ فكتب إليه عمرُ يقول: «مهما ينْزل بامرئ شدَّةٌ يجعل الله بعدها فرجًا، وإنَّه لن يَغلبَ عسرٌ يُسرين، وإنَّه يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠ ﴾» (آل عمران: ٢٠٠).

(١) ضعيف انظر حديث رقم: (٤٨٢٠) في ضعيف الجامع.
(٢) ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: (٤٣٤٢).

ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب، واليُسر بالعسر: أنَّ الكربَ إذا اشتدَّ وعَظُمَ وتناهى، وحصل للعبد الإياسُ من كَشفه من جهة المخلوقين، وتعلق قلبُه بالله وحده، وهذا هو حقيقةُ التوكُّل على الله، وهو من أعظم الأسباب التي تُطلَبُ بها الحوائجُ، فإنَّ الله يكفي من توكَّل عليه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾.

وروى آدمُ بن أبي إياس في « تفسيره » بإسناده عن محمد بن إسحاق قال: جاء مالكٌ الأشجعي إلى النَّبيِّ -ﷺ-، فقال: أُسرَ ابني عوفٌ، فقال له: أرسل إليه أنَّ رسول الله - ﷺ - يأمُرُكَ أنْ تُكثِرَ من قَول: لا حول ولا قوَّةَ إلا بالله، فأتاه الرسول فأخبره، فأكبَّ عوفٌ يقول: لا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله، وكانوا قد شدُّوه بالقِدِّ فسقط القِدُّ عنه، فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها، فأقبل فإذا هو بسَرحِ القوم الذين كانوا شدُّوه، فصاح بهم، فاتبع آخرُها أوَّلها، فلم يفاجأ أبويه إلاّ وهو ينادي بالباب، فقال أبوه: عوفٌ وربِّ الكعبة، فقالت أمه: واسوأتاه، وعوف كئيب يألم ما فيه مِنَ القِدِّ، فاستبقَ الأبُ والخادمُ إليه، فإذا عوفٌ قد ملأ الفناء إبلاً، فقصَّ على أبيه أمرَه وأمرَ الإبل، فأتى أبوهُ رسولَ الله -ﷺ-، فأخبره بخبرِ عوفٍ وخبرِ الإبل، فقال له رسول الله - ﷺ -:«اصنع بها ما أحببتَ، وما كنت صانعًا بإبلك»، ونزل: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (الطلاق: ٢-٣) [١].

قال الفضيل: والله لو يئستَ مِنَ الخلق حتَّى لا تريد منهم شيئًا، لأعطاك مولاك كُلَّ ما تُريد.

وذكر إبراهيمُ بنِ أدهم عن بعضهم قال: ما سأل السائلون مسألةً هي ألحفُ مِنْ أنْ يقولَ العبدُ: ما شاء الله، قال: يعني بذلك التَّفويض إلى الله - عَزَّوَجَلَّ -. وقال سعيدُ بن سالم القداح: بلغني أنَّ موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كانت له

(١) ضعيف انظر ضعيف الترغيب والترهيب: (٩٧٢).

إلى الله حاجةٌ، فطلبها، فأبطأت عليه، فقال: ما شاء الله، فإذا حاجتُه بَيْنَ يديه، فعجب، فأوحى الله إليه: أما علمتَ أنَّ قولَك: ما شاء الله أنجحُ ما طُلِبَتْ به الحوائج.

وأيضًا فإنَّ المؤمن إذا استبطأ الفرج، وأيس منه بعدَ كثرة دعائه وتضرُّعه، ولم يظهر عليه أثرُ الإجابة يرجع إلى نفسه باللائمة، وقال لها: إنَّما أُتيتُ من قِبَلِكَ، ولو كان فيك خيرٌ لأُجبْتُ، وهذا اللومُ أحبُّ إلى الله من كثير من الطَّاعاتِ، فإنَّه يُوجبُ انكسار العَبد لمولاه واعترافه له بأنَّه أهلٌ لما نزلَ به من البلاء، وأنَّه ليس بأهلٍ لإجابة الدعاء، فلذلك تُسرِعُ إليه حينئذٍ إجابةُ الدعاء وتفريجُ الكرب، فإنَّه تعالى عندَ المنكسرةِ قلوبهم من أجله.

قال وهب: تعبَّدَ رجل زمانًا، ثم بدت له إلى الله حاجةٌ، فصام سبعين سبتًا، يأكلُ في كُلِّ سبت إحدى عشرة تمرة، ثم سأل الله حاجته فلم يُعطَها، فرجع إلى نفسه فقال: منك أُتيتُ، لو كان فيك خيرٌ، أعطيت حاجتك، فنَزل إليه عند ذلك مَلَكٌ، فقال: يا ابنَ آدم ساعتُك هذه خيرٌ من عبادتك التي مضت، وقد قضى الله حاجتك. خرَّجه ابن أبي الدنيا.

ولبعضِ المتقدمينَ في هذا المعنى شعرٌ:

عسى ما ترى أنْ لا يَدومَ وأنْ تَرَى ∴ عَسى فَرَجٌ يأتي به الله إنَّه
إذا لاح عسرٌ فارجُ يُسرًا فإنَّه ∴ لهُ فَرجًا مِمَّا أَلَحَّ به الدَّهرُ
لَهُ كُلَّ يَومٍ في خَليقتهِ أَمْرُ ∴ قَضَى الله أنَّ العُسرَ يَتبَعُهُ اليُسر[1]

ويقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى في شرح حديث ابن عباس:

«ومن فوائده: البشارة العظيمة أيضًا بأن تفريج الكربات، وإزالة الشدائد

---

(١) جامع العلوم والحكم: (ص:٢٦٣ـ٢٥٦).

مقرون بالكرب فكلما كرب الإنسان الأمر فرج الله عنه »[١].

وفي القواعد الحسان للعلامة السعدي: «بل من ألطف من ذلك أنه يجعل الشدائد مبشرة بالفرج، والعسر مؤذنًا باليسر، وإذا تأملت ما قصه عن أنبيائه وأصفيائه، وكيف لما اشتدت بهم الحال، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة: ٢١٤)، رأيت من ذلك العجب العجاب. قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾

(الشرح: ٥ – ٦).

وقال- ﷺ -: «**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا** » وأمثلة ذلك كثيرة، والله أعلم [٢].

وعليه فلايجوز للمسلم أن يقنط من رحمة الله تعالى، أو ييأس من فرجه فمن وصايا الأنبياء وصية نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام لبنيه بعدم اليأس، والقنوط قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧ ﴾(يوسف: ٨٧).

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى :«أي: لا تيئسوا من الفرج بعد الشدة، فإنه لا ييأس من روح الله وفرجه وما يقدره من المخرج في المضايق إلا القوم الكافرون »[٣].

فلا ينبغي لعبد أن يستبعد فرج ربه فقد أخبر تعالى أن الذي مر على قرية، استبعد أن يكشف الله تعالى عنها، وعن أهلها، البلاء قال تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ

(١) شرح الأربعين النووية: (ص:٢٠٥).
(٢) القواعد الحسان في تفسير القرآن " القاعدة الخامسة عشر».
(٣) البداية والنهاية: (١ / ٢١٥).

مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

قال قتادة: ذكر لنا أنه عزير، وقال عكرمة: القرية: بيت المقدس مر بها عزير بعد إذ خربّها بختنصر.

قال القاضي التنوخي:«فلا شدة أشد من الموت والخراب، ولا فرج أفرج من الحياة والعمارة، فأعلمه الله تعالى بما فعله به . أنه لا يجب أن يستبعد فرجًا من الله وصنعًا، كما عمل به، وأنه قادر على أن يحيي القرية وأهلها، كما أحياه، فأراه بذلك، آياته، ومواقع صنعه » [٤].

ومما قيل من الأشعار في ذلك:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ∴ ذرعًا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها ∴ فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقال آخر:

وكم لله من لطف خفي ∴ يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر أتى من بعد عسر ∴ وفرج لوعة القلب الشدي
وكم هم تساء به صباحًا ∴ فتعقبه المسرة بالعشي
إذا ضاقت بك الأسباب يومًا ∴ فثق بالواحد الأحد العلي

(٤) الفرج بعد الشدة: (ص: ١١).



وقال ابن دريد أنشدني أبو حاتم السجستاني:

إذا اشتملت على اليأس القلوب ∴ وضـاق لما به الصدر الرحيب
وأوطـأت المكـاره واطمأنت ∴ وأرسـت في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهًا ∴ ولا أغـنـى بحيلته الأريـب
أتـاك عـلى قنوط منك غوث ∴ يمن بـه اللطيف المستجيب
وكـل الحـادثـات إذا تناهت ∴ فـمـوصـول بهـا فـرج قريب

وقال الشافعي رحمه الله تعالى:

صـــبرًا مــا أقـــرب الـفـرجـا ∴ من راقـب الله في الأمــور نجا
مـن صـدق الله لم ينله أذى ∴ ومـن رجـاه يكون حيث رجا





قصص وروايات في الفرج بعد الشدة

من تمام الفائدة، وتكملة للموضوع كان من المناسب، والمناسب جدًا ختم الكتاب بأخبار قوم فرج عنهم بعد شدة، ورفع عنهم الكرب وفي هذا من القصص في القرآن الكريم، وسُنَّة المصطفى ﷺ، وأخبار السلف ما لا يحويه باب، أو يحصيه كتاب.

فاقتصرت على بعضها، وأهمها تاركًا الكثير مما ذكره أهل العلم لا سيما: القاضي ابن أبي الفهم التنوخي، والإمام ابن أبي الدنيا في كتابيهما «الفرج بعد الشدة».

قصة آدم عليه الصلاة والسلام:

فأول ممتحن منهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبو البشر، فإن الله جل جلاله خلقه في الجنة وعلمه الأسماء كلها، وأسجد الملائكة له، ونهاه عن أكل الشجرة. فوسوس له الشيطان، فكان منه ما قاله الرحمن في محكم القرآن: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ (طه: ١٢١ - ١٢٢).

هذا بعد أن أهبطه من الجنة إلى الأرض، وأفقده لذيذ ذلك الخفض، فانتقضت عادته، وغلظت محنته، وقتل أحد ابنيه الآخر، وكانا أول أولاده. فلما طال حزنه وبكاؤه، واتصل استغفاره، ودعاؤه، رحم الله تذللـه وخشوعه، واستكانته ودموعه،فتاب عليه وهداه،وكشف مابه ونجاه، فكان آدم - أول من دعا فأجيب، وأمتحن فأثيب، وخرج من ضيق وكرب إلى سعة ورحب، وسكن همومه، ونسى غمومه، وأيقن بتجديد الله تعالى له النعم، وإزالته عنه النقم، وأنه تعالى إذا استرحم رحم، فأبدله الله تعالى هذا بتلك الشدائد،



وعوضه بدل الابن المفقود، والابن العاق الموجود نبي الله شيثًا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وهو أول أولاده البررة بالوالدين، ووالد النبيين والصالحين، وأبو الملوك الجبارين، وجعل ذريته هم الباقين، وخصهم من النعم بما لا يحيط به وصف الواصفين، وقد جاء في القرآن من الشرح لهذه الجملة والبيان ما لا يحتمل ذكره المكان، وقد روي من الأخبار ما لا وجه للإطالة به والإكثار.

قصة نوح عليه الصلاة والسلام:

ثم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه امتحن بخلاف قومه عليه، وعصيان ابنه له، والطوفان العام، وركوب السفينة وهي تجري بهم في موج كالجبال، واعتصام ابنه بالجبل، وتأخره عن الركوب معه.

فقاسى نوح بذلك الشدائد، فأعقبه الله تعالى الخلاص من تلك الأهوال بالتمكين له في الأرض وبغيض الطوفان، وجعله شبه آدم - عَلَيْهِ السَّلَامُ-، لأنه انشأ منه ثانيًا جميع البشر كما أنشاهم أولًا من آدم إلا من نوح عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الصافات: ٧٥ - ٧٨).

وقال تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ (الأنبياء: ٧٦).

قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

ثم إبراهيم ﷺ ، وما دفع إليه من كسر الأصنام، وما لحقه من قومه، من محاولة إحراقه، فجعل الله تعالى عليه النار بردًا وسلامًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (الأنبياء: ٥١).

ثم اقتص قصه إلى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ (الأنبياء: ٦٨ - ٧٣).

ثم ما كلفه الله تعالى إياه، من مفارقة وطنه بالشام، لما غارت عليه سارة، من أم ولده هاجر، فهاجر بها وبابنه منها إسماعيل الذبيح عليهما الصلاة والسلام، فأسكنهما بواد غير ذي زرع، نازحين عنه، بعيدين منه، حتى أنبع الله تعالى لهما الماء، وتابع عليهما الآلاء، وأحسن لإبراهيم فيهما الصنع، والفائدة والنفع، وجعل لإسماعيل النسل والعدد، والنبوة والملك، هذا بعد أن كلف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إبراهيم أن يجعل ابنه إسماعيل بسبيل الذبح، قال الله تعالى فيما اقتصه من ذكره في سورة الصافات: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (الصافات: ١٠١ - ١٠٩).

فلا بلاء أعظم من بلاء يشهد الله تعالى أنه بلاء مبين، وهو تكليف الإنسان، أن يجعل بسبيل الذبح ابنه، وتكليفه، وتكليف المذبوح، أن يؤمنا ويصبرا، ويسلما ويحتسبا، فلما أديا ما كلفا من ذلك، وعلم الله عَزَّوَجَلَّ منهما صدق الإيمان، والصبر، والتسليم، والإذعان، فدى الابن بذبح عظيم، وجازى الأب بابن آخر على صبره، ورضاه بذبح ابنه الذي لم يكن له غيره، قال الله عَزَّوَجَلَّ -: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (الصافات: ١١٢) إلى قوله:



﴿لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣﴾(الصافات: ١١٣). وخلصهما بصبرهما، وتسليمهما من تلك الشدائد الهائلة.

وقد ذهب قوم إلى أن إبراهيم إنما كلف ذبح ابنه في الحقيقة، لا على ما ذهب إليه من ذلك أن الذي كلفه أن يجعل ابنه بسبيل الذبح، لا أن يذبحه في الحقيقة، واستدل الحسن البصري على أن إسماعيل هو الذبيح، لا إسحاق، وأن المأمور به كان الذبح في الحقيقة، بقوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ (هود: ٧١)، فحصلت لإبراهيم البشرى، بأنه سيرزق إسحاق، وأن إسحاق سيرزق يعقوب، ولا يجوز للنبي أن يشك في بشارة الله تعالى، فلو كان إسحاق هو الذبيح، ما صح أن يأمره بذبحه قبل خروج يعقوب من ظهره، لأنه كان إذا أمر بذلك، علم أن البشرى الأولى، تمنع من ذبح إسحاق قبل ولادة يعقوب، وكان لا يصح تكليفه ذبح من يعلم أنه لا يموت، أو يخرج من ظهره من لم يخرج بعد، ومتى وقع التكليف على هذا، لم يكن فيه ثواب، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾. دليل على عظم ثواب إبراهيم، وصحة الأمر بالذبح يبين ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾، أي استسلما لأمر الله، وهما لا يشكان في وقوع الذبح على الحقيقة حتى فداه الله تبارك وتعالى، فهذا دليل على أن الذبيح غير إسحاق، ولم يكن لإبراهيم ولد غير إسحاق، إلا إسماعيل صلى الله عليهم أجمعين ـ.

قصة يونس - عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ -:

ويونس – عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ–، وما اقتص الله تعالى من قصته في غير موضع من كتابه، ذكر فيها التقام الحوت له، وتسبيحه في بطنه، وكيف نجاه الله عَزَّوَجَلَّ، فأعقبه بالرسالة والصنع.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٣٨ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩ إِذۡ أَبَقَ إِلَى

ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ (الصافات: ١٣٨ – ١٤٧).

قال صاحب الكتاب القاضي التوخي: أو ها هنا ظاهرها الشك، وقد ذهب إلى ذلك قوم، وهو خطأ، لأن الشك، لا يجوز على الله تعالى، العالم لنفسه، العارف بكل شيء قبل كونه، وقد روي عن ابن عباس، وهو الوجه، أنه قال: أو يزيدون، بل يزيدون، وقال: كانت الزيادة ثلاثين ألفًا، وروي عن ابن جبير، ونوف الشامي أنهما قالا: كانت الزيادة سبعين ألفًا، فقد ثبت أن « أو » هنا، بمعنى بل وقد ذهب إلى هذا الفراء، وأبو عبيدة، وقال آخرون: إن «أو» ها هنا، بمعنى ويزيدون.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

(الأنبياء: ٨٧ – ٩٩).

قال بعض المفسرين: معنى ﴿ لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ لن نضيق عليه.

وهذا مثل قوله: ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ ﴾ (الطلاق: ٧)، أي ضيق عليه، ومثل قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (سبأ: ٣٩).

وقد جاء قدر بمعنى ضيق في القرآن، في مواضع كثيرة، ومن هذا قيل للفرس الضيق الخطو: فرس أقدر، لأنه لا يجوز أن يهرب من الله تعالى نبي



من أنبيائه، والأنبياء لا يكفرون، ومن ظن أن الله تعالى لا يقدر عليه أي لا يدركه، أو أنه يعجز الله هربًا، فقد كفر، والأنبياء- عليهم السلام،أعلم بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، من أن يظنوا فيه هذا الظن الذي هو كفر.

وقد وري: أن من أدام قراءة قوله -عَزَّوَجَلَّ- : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا ﴾ «الآية»... إلى قوله: ﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، في الصلاة، وغيرها، في أوقات شدائده، عجل الله له منها فرجًا ومخرجًا.

يقول القاضي: وأنا أحد من واصلها في نكبة عظيمة لحقتني، يطول شرحها وذكرها عن هذا الموضع، وكنت قد حبست، وهددت بالقتل، ففرج الله عني، وأطلقت في اليوم التاسع من يوم قبض علي فيه.

قصة موسى بن عمران - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- :

وموسى بن عمران عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقد نطق القرآن بقصته في غير موضع، منها قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (القصص: ٧ – ١٣).

فلا شدة أعظم من أن يبتلى الناس بملك يذبح أبناءهم، حتى ألقت

أم موسى ابنها في البحر مع طفوليته، ولا شدة أعظم من حصول طفل في البحر، فكشف الله تبارك اسمه ذلك عنه، بالتقاط آل فرعون له، وما ألقاه في قلوبهم من الرقة عليه، حتى استحيوه، وتحريم المراضع عليه حتى ردوه إلى أمه، وكشف عنها الشدة من فراقه، وعنه الشدة في حصوله في البحر. ومعنى قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾، أي يصير عاقبة أمره معهم إلى عداوة لهم، وهذه لام العاقبة، كما قال الشاعر:

لدوا للموت وابنوا للخراب ∴ وكلكم يصير إلى ذهاب

وقد علم أن الولادة لا يقصد بها الموت، والبناء لا يقصد به الخراب، وإنما عاقبة الأمر فيهما تصير إلى ذلك.

وعلى الوجه الأول، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ (الأعراف: ١٧٩).

أي إن عاقبة أمرهم، وفعلهم، واختيارهم لنفوسهم، يصيرهم إلى جهنم، فيصيرون لها، لأن الله عَزَّوَجَلَّ، لم يخلقهم ليقصد تعذيبهم بالنار في جهنم، عز الله عن هذا الظلم.

وجعل الله عاقبة أمر موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، من تلك الشدائد، وشدائد بعدها، إذ أرسله إلى فرعون، لتخليص بني إسرائيل، وقصصه التي قبلها، وحديثه إذ خرج خائفًا يترقب، فهذه شدة أخرى كشفها الله تعالى عنه من تلك الشدائد، وشدائد بعدها، نالته، يأتي ذكرها، أن بعثه نبيًا، وأنقذ به بني إسرائيل من الشدائد التي كانوا فيها مع فرعون، فقال عَزَّوَجَلَّ، في تمام هذه القصة: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ

إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ (القصص: ٢٠ – ٢١) فهذه شدة أخرى كشفها الله –عَزَّوَجَلَّ–.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ (القصص: ٢٢ – ٢٤).

فهذه شدة أخرى، لحقته بالاغتراب، والحاجة إلى الاضطراب في المعيشة والاكتساب، فوفق الله تعالى له شعيبًا [١]، قال الله عَزَّوَجَلَّ، في تمام هذه القصة: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ (القصص: ٢٤ – ٢٥).

(١) **قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى** : جامع الرسائل لابن تيمية – رشاد سالم (١ / ٦١):«وَلم يذكر عَن هَذَا الشَّيْخ أَنه كَانَ شعيبًا وَلَا أَنه كَانَ نَبيًا وَلَا عند أهل الْكتابَيْن أَنه كَانَ نَبيًا وَلَا نقل عَن أحد من الصَّحَابَة أَن هَذَا الشَّيْخ الَّذِي صاهر مُوسَى كَانَ شعيبًا النَّبِي لَا عَن ابْن عَبَّاس وَلَا غَيره بل الْمَنْقُول عَن الصَّحَابَة أَنه لم يكن هُوَ شُعَيْب... وَقَالَ الْحسن: يَقُولُونَ هُوَ شُعَيْب النَّبِي لَا وَلكنه سيد أهل المَاء يَوْمئِذ، قَالَ ابْن جرير: وَهَذَا لَا يدْرك علمه إِلَّا بِخَبَر عَن مَعْصُوم وَلَا خبر فِي ذَلِك وَقيل اسْمه أثرون، فَهَذِهِ كتب التَّفْسِير الَّتِي تروي بالأسانيد الْمَعْرُوفَة عَن النَّبِي –صلى الله عَلَيْهِ وَسلم– وَالتَّابِعين لم يذكر فِيهَا عَن أحد أَنه شُعَيْب النَّبِي –صلى الله عَلَيْهِ وَسلم– وَلَكِن نقلوا بالأسانيد الثَّابِتَة عَن الْحسن الْبَصْرِيّ أَنه قَالَ: يَقُولُونَ إِنَّه شُعَيْب وَلَيْسَ بِشُعَيْب وَلكنه سيد المَاء يَوْمئِذٍ، فَالْحسن يذكر أَنه شُعَيْب عَمَّن لَا يعرف وَيرد عَلَيْهِم ذَلِك وَيَقُول لَيْسَ هُوَ شُعَيْب
وَإِن كَانَ الثَّعْلَبِيّ قد ذكر أَنه شُعَيْب فَلَا يلْتَفت إِلَى قَوْله فَإِنَّهُ ينْقل الغث والسمين فَمن جزم بِأَنَّهُ شُعَيْب النَّبِي فقد قَالَ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ علم وَمَا لم ينْقل عَن النَّبِي –صلى الله عَلَيْهِ وَسلم– وَلَا عَن الصَّحَابَة وَلَا عَمَّن يحْتَج بقوله من عُلَمَاء الْمُسلمين وَخَالف فِي ذَلِك مَا ثَبت عَن ابْن عَبَّاس وَالْحسن الْبَصْرِيّ مَعَ مُخَالفَته أَيْضا لأهل الْكتابَيْن فَإِنَّهُم متفقون على أَنه لَيْسَ هُوَ شُعَيْب النَّبِي فَإِن مَا فِي التَّوْرَاة الَّتِي عِنْد الْيَهُود وَالْإِنْجِيل الَّذِي عِنْد النَّصَارَى أَن اسْمه يثرون وَلَيْسَ لشعيب النَّبِي عِنْدهم ذكر فِي التَّوْرَاة».

ثم أخبر الله تعالى في هذه القصة، كيف زوجه شعيب ابنته، بعد أن استأجره ثماني حجج، وأنه خرج بأهله من عند شعيب، فرأى النار، فمضى يقتبس منها، فكلمه الله تعالى، وجعله نبيًا، وأرسله إلى فرعون، فسأله أن يرسل معه أخاه هارون، فشد الله تعالى عضده به، وجعله نبيًا معه، فأي فرج أحسن من فرج أتى رجلًا خائفًا، هاربًا، فقيرًا، قد آجر نفسه ثماني حجج، بالنبوة والملك ؟.

قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (الأعراف: ١٢٧)، فهذه شدة لحقت بني إسرائيل، فكشفها الله عنهم، قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (الأعراف: ١٢٨ - ١٢٩).

وقال تعالى في تمام هذه القصة في هذه السورة، بعد آيات: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (الأعراف: ١٣٧).

فأخبر تعالى عن صنعه لهم، وفلقه البحر حتى عبروه يبسًا، وإغراقه فرعون لمّا اتبعهم.

وكل هذه أخبار عن محن عظيمة انجلت بمنح جليلة، لا يؤدى شكر الله عليها، ويجب على العاقل تأملها، ليعرف كنه تفضل الله عَزَّوَجَلَّ بكشف شدائده وإغاثته، بإصلاح كل فاسد لمن تمسك بطاعته، وأخلص في خشيته، وأصلح



من نيته، فسلك هذه السبيل، فإنها إلى النجاة من المكاره، أوضح طريق، وأهدى دليل.(١)

قصة يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام:

ويعقوب ويوسف عليهما السلام، فقد أفرد الله تعالى بذكر شأنهما، وعظيم بلواهما وامتحانهما، سورةً محكمةً، بين فيها كيف حسد إخوة يوسف يوسف، على المنام الذي بشره الله تعالى فيه بغاية الإكرام، حتى طرحوه في الجب، فخلصه الله تعالى منه بمن أدلى الدلو،ثم استعبد، فألقى لله تعالى في قلب من صار إليه إكرامه، واتخاذه ولدًا، ثم مراودة امرأة العزيز إياه عن نفسه، وعصمة الله له منها، وكيف جعل عاقبته بعد الحبس، إلى ملك مصر، وما لحق يعقوب من العمى لفرط البكاء، وما لحق إخوة يوسف من التسرق، وحبس أحدهم نفسه، حتى يأذن له أبوه، أو يحكم الله له، وكيف أنفذ يوسف إلى أبيه قميصه، فرد الله به بصيرًا وجمع بينهم، وجعل كل واحد منهم بالباقين،وبالنعمة مسرورًا.

قصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾(الأنبياء: ٨٣-٨٤).

وقال تعالى في سورة ص: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ (ص: ٤١-٤٤).

---

(١) القصص المتقدمة من كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي: (ص:١٣ـ١٧).

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم:«كان أيوب رجلًا كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه، من الأنعام، والعبيد، والمواشي، والأراضي المتسعة بأرض البثينة من أرض حوران».

وحكى ابن عساكر أنها كلها كانت له، وكان له أولاد وأهلون كثير، فسلب من ذلك جميعه، وابتلي في جسده بأنواع البلاء، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه، ولسانه يذكر الله عَزَّوَجَلَّ بها، وهو في ذلك كله صابر محتسب ذاكر لله عَزَّوَجَلَّ في ليله ونهاره، وصباحه ومسائه. وطال مرضه حتى عافه الجليس، وأوحش منه الأنيس، وأخرج من بلده، وألقي على مزبلة خارجها، وانقطع عنه الناس، ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته، كانت ترعى له حقه، وتعرف قديم إحسانه إليها، وشفقته عليها، فكانت تتردد إليه، فتصلح من شأنه، وتعينه على قضاء حاجته، وتقوم بمصلحته.مع ضُعف حالها، وقل ما لها، حتى كانت تخدم الناس بالأجر، لتطعمه وتقود بأوده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وأرضاها، وهي صابرة معه على ما حل بهما من فراق المال والولد، وما يختص بها من المصيبة بالزوج، وضيق ذات اليد، وخدمة الناس بعد السعادة، والنعمة، والخدمة، والحرمة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولم يزد هذا كله أيوب ـ إلا صبرًا، واحتسابًا، وحمدًا، وشكرًا، حتى أن المثل ليضرب بصبره ـ، ويضرب المثل أيضًا بما حصل له من أنواع البلايا.

وقد روي عن وهب بن منبه وغيره من علماء بني إسرائيل، في قصة أيوب، خبر طويل في كيفية ذهاب ماله، وولده، وبلائه في جسده، والله أعلم بصحته. وعن مجاهد أنه قال: كان أيوب ـ أول من أصابه الجدري، وقد اختلفوا في مدة بلواه على أقوال؛ فزعم وهب أنه ابتلي ثلاث سنين لا تزيد ولا تنقص.

وقال أنس: ابتلي سبع سنين وأشهرًا، وألقى على مزبلة لبني إسرائيل تختلف



الدواب في جسده، حتى فرَّج الله عنه، وعظم له الأجر، وأحسن الثناء عليه.

وقال حميد: مكث في بلواه ثمانية عشرة سنة. وقال السدي: تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم والعصب، فكانت امرأته تأتيه بالرماد تفرشه تحته، فلما طال عليها قالت: يا أيوب لو دعوت ربك لفرج عنك، فقال: قد عشت سبعين سَنَة صحيحًا، فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة، فجزعت من هذا الكلام، وكانت تخدم الناس بالأجر، وتطعم أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ.

ثم إن الناس لم يكونوا يستخدمونها لعلمهم أنها امرأة أيوب، خوفًا أن ينالهم من بلائه، أو تعديهم بمخالطته، فلما لم تجد أحدًا يستخدمها عمدت فباعت لبعض بنات الأشراف إحدى ضفيرتيها، بطعام طيب كثير، فأتت به أيوب، فقال: من أين لك هذا؟ وأنكره.

فقالت: خدمت به أناسًا فلما كان الغد لم تجد أحدًا، فباعت الضفيرة الأخرى بطعام فأتته به فأنكره أيضًا، وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام، فكشفت عن رأسها خمارها، فلما رأى رأسها محلوقًا قال في دعائه﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ ﴾(الأنبياء: ٨٣).

وقال ابن أبي حاتم وابن جرير جميعًا: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أنبئنا ابن وهب، أخبرني نافع بن يزيد عن عقيل، عن الزهري، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال:«إن نبي الله أيوب ﷺ لبث به بلاؤه ثمان عشرة سَنَة فرفضه القريب و البعيد إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه و يروحان، فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه: و ما ذاك ؟ قال: منذ ثمان عشرة سُنَّة لم يرحمه الله، فيكشف ما به فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقولان غير أن الله تعالى يعلم أني كنت أمر بالرجلين يتنازعان، فيذكران

الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق، قال: وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكته امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها و أوحي إلى أيوب أن ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ (ص: ٤٢)، فاستبطأته فتلقته تنظر و قد أقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، والله على ذلك ما رأيت أشبه منك إذ كان صحيحًا، فقال: فإني أنا هو، وكان له أندران (أي بيدران): أندر للقمح و أندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض و أفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض»[(١)].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، ثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، أنبأنا علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: وألبسه الله حلة من الجنة فتنحى أيوب وجلس في ناحية، وجاءت امرأته فلم تعرفه.

فقالت: يا عبد الله هذا المبتلى الذي كان ههنا لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب، وجعلت تكلمه ساعة. قال: ولعل أنا أيوب. قالت: أتسخر مني يا عبد الله؟، فقال: ويحك أنا أيوب، قد رد الله عليّ جسدي. قال ابن عباس: ورد الله عليه ماله، وولده بأعيانهم ومثلهم معهم.

وقال ابن أبي حاتم: ثنا أبو زرعة، حدثنا عمرو بن مرزوق، حدثنا همام، عن قتادة، عن النضر بن أنس، عن بشير بن نهيك، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:«لما عافى الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أمطر عليه جرادًا من ذهب، فجعل يأخذ بيده ويجعل في ثوبه قال: فقيل له يا أيوب أما تشبع؟ قال: يا رب ومن يشبع من رحمتك [(٢)]».

---

(١) رواه أبو يعلى في " مسنده ": (١٧٦ / ١ – ١٧٧ / ١)، و أبو نعيم في" الحلية ": (٣ / ٣٧٤ – ٣٧٥) . انظر السلسلة الصحيحة: (١٧).

(٢) صححه العلامة الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الجامع: (٢٨٦٣).



وهكذا رواه الإمام أحمد، عن أبي داود الطيالسي، وعبد الصمد عن همام عن قتادة به.

ورواه ابن حبان في (صحيحه)، عن عبد الله بن محمد الأزدي، عن إسحاق بن راهويه، عن عبد الصمد به. ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب، وهو على شرط الصحيح، فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد: ثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أرسل على أيوب رجل من جراد من ذهب فجعل يقبضها في ثوبه، فقيل: يا أيوب ألم يكفك ما أعطيناك؟ قال: أي رب ومن يستغني عن فضلك.

هذا موقوف وقد روي عن أبي هريرة من وجه أخر مرفوعًا.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **بينما أيوب يغتسل عريانًا خرّ عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحثي في ثوبه فناداه ربه عَزَّوَجَلَّ: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى. قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك** ». رواه البخاري من حديث عبد الرزاق به.[1]

وقوله: ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ ﴾ (ص: ٤٢)،أي: اضرب الأرض برجلك فامتثل ما أمر به، فأنبع الله له عينًا باردة الماء، وأمر أن يغتسل فيها ويشرب منها، فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم، والأذى، والسقم، والمرض، الذي كان في جسده ظاهرًا وباطنًا، وأبدله الله بعد ذلك كله صحة ظاهرة وباطنة، وجمالًا تامًا، ومالًا كثيرًا حتى صب له من المال صبًا مطرًا عظيمًا جرادًا من ذهب.

وأخلف الله له أهله كما قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ ﴾ (الأنبياء: ٨٤)، فقيل: أحياهم الله بأعيانهم، وقيل: آجره فيمن سلف، وعوضه

(١) رواه البخاري: (٢٧٩،٣٣٩١).

عنهم في الدنيا بدلهم، وجمع له شمله بكلهم في الدار الآخرة.

وقوله: ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ ﴾(الأنبياء: ٨٤) أي: رفعنا عنه شدته، وكشفنا ما به من ضر رحمة منا به، ورأفة وإحسانًا.

﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾(الأنبياء: ٨٤) أي: تذكرة لمن ابتلي في جسده، أو ماله، أو ولده، فله أسوة بنبي الله أيوب حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب، حتى فرج الله عنه.

ومن فهم من هذا اسم امرأته فقال: هي رحمة من هذه الآية، فقد أبعد النجعة، وأغرق النزع.

وقال الضحاك عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رد الله إليها شبابها، وزادها حتى ولدت له ستة وعشرون ولدًا ذكرًا. وعاش أيوب بعد ذلك سبعين سَنَة بأرض الروم على دين الحنيفية، ثم غيروا بعده دين إبراهيم.

وقوله: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾(ص: ٤٤). هذه رخصة من الله تعالى لعبده ورسوله أيوب -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ، فيما كان من حلفه ليضربن امرأته مائة سوط فقيل: حلفه ذلك لبيعها ضفائرها. وقيل: لأنه عرضها الشيطان في صورة طبيب يصف لها دواء لأيوب، فأتته فأخبرته فعرف أنه الشيطان، فحلف ليضربها مائة سوط.

فلما عافاه الله عَزَّوَجَلَّ أفتاه أن يأخذ ضغثًا، وهو كالعثكال الذي يجمع الشماريخ فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة، ويكون هذا منزلا منزلة الضرب بمائة سوط، ويبر ولا يحنث، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه، ولا سيما في حق امرأته الصابرة و المحتسبة، المكابدة، الصديقة، البارة الراشدة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ.



ولهذا عقب الله هذه الرخصة وعللها بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾(ص: ٤٤)، وقد استعمل كثير من الفقهاء هذه الرخصة في باب الإيمان والنذور، وتوسع آخرون فيها حتى وضعوا كتاب الحيل في الخلاص من الإيمان، وصدوره بهذه الآية الكريمة وأتوا فيه بأشياء من العجائب والغرائب، وسنذكر طرفًا من ذلك في كتاب الأحكام عند الوصول إليه إن شاء الله تعالى.

وقد ذكر ابن جرير وغيره من علماء التاريخ: أن أيوب - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- لما توفي كان عمره ثلاثًا وتسعين سنة، وقيل: إنه عاش أكثر من ذلك، وقد روى ليث عن مجاهد ما معناه: أن الله يحتج يوم القيامة بسليمان - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- على الأغنياء، وبيوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- على الأرقاء، وبأيوب - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- على أهل البلاء، رواه ابن عساكر بمعناه.[1]

الشدائد التي جرت على نبينا محمد ﷺ :

وقد ذكر الله تعالى في محكم كتابه، الشدة التي جرت على محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم الأخيار، فيما اقتصه من قصة الغار، فقال سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ (التوبة: ٤٠).

وروى أصحاب الحديث، ما يطول إعادته بألفاظه وأسانيده،أن النبي ـ لما خاف أن يلحقه المشركون، حين سار عن مكة مهاجرًا، دخل الغار هو وأبو

(١) انظر البداية والنهاية: (١/ ٢٠٣/ ٢٠٧).

بكر الصديق، فاستخفى فيه، فأرسل الله عنكبوتًا فنسج في الحال على باب الغار، وحمامة عششت، وباضت، وفرخت للوقت، فلما انتهى المشركون إلى الغار رأوا ذلك، فلم يشكوا أنه غار لم يدخله حيوان منذ حين، وإن رسول الله ﷺ ، وأبا بكر، ليريان أقدامهم، ويسمعان كلامهم، فلما انصرفوا، وأبعدوا، وجاء الليل، خرجا، فسارا نحو المدينة، فورداها سالمين[١].

وروى أصحاب الحديث أيضًا، من شرح حال النبي ﷺ ، في المحن التي لحقته من شق الفرث عليه، ومحاولة أبي جهل، وشيبة وعتبة ابني ربيعة، وأبي سفيان صخر بن حرب والعاص بن وائل، وعقبة بن أبي معيط، وغيرهم، قتله، وما كانوا يكاشفونه به، من السب والتكذيب، والاستهزاء والتأنيب، ورميهم إياه بالجنون، وقصدهم إياه غير دفعة بأنواع الأذى والفضيحة، والافتراء، وحصرهم إياه ﷺ ، وجميع بني هاشم في الشعب، وتخويفهم إياه، وتدبيرهم أن يقتلوه، حتى بعد، وبيت عليًا على فراشه، ما يطول اقتصاصه، ويكثر شرحه، ثم أعقبه الله تعالى، من ذلك، بالنصر والتمكين، وإعزاز الدين، وإظهاره على كل دين، وقمع الجاحدين والمشركين، وقتل أولئك الكفرة المارقين والمعاندين، وغيرهم من المكذبين الكاذبين، الذين كانوا عن الحق ناكثين، وبالدين مستهزئين، وللمؤمنين مناصبين متوعدين، وللنبي ﷺ مكاشفين محاربين، وأذل من بقي بعز الإسلام بعد أن عاد بإظهاره، وأضمر الكفر في إسراره، فصار من المنافقين الملعونين، والحمد لله رب العالمين[٢].



(١) ضعفها العلامة الألباني رحمه الله تعالى في الضعيفة: (١١٢٩).
(٢) الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي: (١٨-١٩).



تفريج الله تعالى عن أم المؤمنين عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - في حادثة الإفك

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا، أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ فَأَيُّهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا، خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنْزَلُ فِيهِ فَسِرْنَا، حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ، وَقَفَلَ دَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ، حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي، أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي، مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ، قَدِ انْقَطَعَ فَرَجَعْتُ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ قَالَتْ: وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْهِ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ وَكَانَ النِّسَاءُ، إِذْ ذَاكَ، خِفَافًا لَمْ يَهْبُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ خِفَّةَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَمَلَ فَسَارُوا وَوَجَدْتُ عِقْدِي، بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي، فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي، غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ، ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الْحِجَابِ فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ، حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي وَوَاللهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ وَهَوَى حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَرَكِبْتُهَا فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي

الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ، مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، وَهُمْ نُزُولٌ قَالَتْ: فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَ الإِفْكِ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ بْنَ سَلُولَ.

قَالَ عُرْوَةُ (أَحَدُ رُوَاةِ الْحَدِيثِ): أُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَانَ يُشَاعُ وَيُتَحَدَّثُ بِهِ عِنْدَهُ، فَيُقِرُّهُ، وَيَسْتَمِعُهُ، وَيَسْتَوْشِيهِ

وَقَالَ عُرْوَةُ أَيْضًا: لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الإِفْكِ أَيْضًا إِلاَّ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَمِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، فِي نَاسٍ آخَرِينَ، لاَ عِلْمَ لِي بِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى وَإِنَّ كُبْرَ ذَلِكَ يُقَالُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ بْنُ سَلُولَ.

قَالَ عُرْوَةُ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانُ وَتَقُولُ: إِنَّه الَّذِي قَالَ:

فَـإِنَّ أَبِي وَوَالِـــدَهُ وَعِـرْضِي ∴ لِـعِـرْضِ مُحَمَّـدٍ مِنْكُمْ وِقَـاءُ

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لاَ أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: كَيْفَ تِيكُمْ ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَذَلِكَ يَرِيبُنِي وَلاَ أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ حِينَ نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ وَكَانَ مُتَبَرَّزَنَا وَكُنَّا لاَ نَخْرُجُ إِلاَّ لَيْلاً إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا. قَالَتْ: وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ فِي الْبَرِّيَّةِ قِبَلَ الْغَائِطِ وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ، وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ بَيْتِي، حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ أَتَسُبِّينَ رَجُلاً شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ

وَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ قَالَتْ: وَقُلْتُ: مَا قَالَ فَأَخْبَرَتْنِي بقَوْل أَهْل الإفْك قَالَتْ: فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ تِيكُمْ ؟ فَقُلْتُ لَهُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ قَالَتْ: وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا قَالَتْ: فَأَذِنَ لِي رَسُولُ الله ﷺ فَقُلْتُ لأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ قَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْك فَوَالله لَقَلَّمَا كَانَت امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، لَهَا ضَرَائِرُ، إلاَّ كَثَّرْنَ عَلَيْهَا قَالَتْ: فَقُلْتُ سُبْحَانَ الله أَوَ لَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهذَا قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ، لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي

قَالَتْ: وَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِب، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْد، حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ، يَسْأَلُهُمَا، وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَى رَسُول الله ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِه، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِه، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلَك وَلاَ نَعْلَمُ إِلاَّ خَيْرًا وَأَمَّا عَلِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله لَمْ يُضَيِّقِ الله عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُك قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَك بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ، غَيْرَ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ.

قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ يَوْمِه، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ الله بْن أُبَيٍّ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَر، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي وَالله مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ خَيْرًا وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْه إِلاَّ خَيْرًا وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ مَعِي قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ الله أَعْذِرُكَ فَإِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ. قَالَتْ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتَ عَمِّهِ، مِنْ فَخِذِهِ وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ قَالَتْ:

وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِن احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْد: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لاَ تَقْتُلُهُ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْر، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْد، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ. قَالَتْ: فَثَارَ الْحَيَّانِ، الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَر. قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ. قَالَتْ: فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ كُلَّهُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْم.

قَالَتْ: وَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا لاَ يَرْقَا لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْم حَتَّى إِنِّي لأَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي فَبَيْنَا أَبَوَايَ جَالِسَانِ عِنْدِي، وَأَنَا أَبْكِي، فَاسْتَأْذَنَت عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِن الأَنْصَار، فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ، دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي، مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ، قَبْلَهَا وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لاَ يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْء قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْك كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْت بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ وَإِنْ كُنْت أَلْمَمْتِ بِذَنْب فَاسْتَغْفِرِي اللهَ، وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ، إِذَا اعْتَرَفَ، ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ.

قَالَتْ: فَلَمَّا قَضى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَالَتَهُ، قَلَصَ دَمْعِي، حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً فَقُلْتُ لأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِّي فِيمَا قَالَ، فَقَالَ أَبِي: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ لأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا قَالَ قَالَتْ أُمِّي: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، لاَ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَثِيرًا: إِنِّي، وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي وَلَئِن اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْر، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ، لَتُصَدِّقُنِّي فَوَاللهِ لاَ أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلاَّ أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف:١٨).

ثُمَّ تَحَوَّلْتُ وَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي وَلكِنْ وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ وَلكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا فَوَاللهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِنَ الْعَرَقِ مِثْلُ الْجُمَانِ وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ.

قَالَتْ: فَسُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ.

قَالَتْ: فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ. فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، فَإِنِّي لَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَتْ: وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ

يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ (النور: ١١-٢٦).

ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ هذَا فِي بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ، لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا، بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (النور: ٢٢).

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: بَلَى وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ: وَاللهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ لِزَيْنَبَ: مَاذَا عَلِمْتِ أَوْ رَأَيْتِ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِلاَّ خَيْرًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَعَصَمَهَا اللهُ بِالْوَرَعِ قَالَتْ: وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ تُحَارِبُ لَهَا فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ، لَيَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ مِنْ كَنَفِ أُنْثَى قَطُّ قَالَتْ: ثُمَّ قُتِلَ، بَعْدَ ذَلِكَ، فِي سَبِيلِ اللهِ [1].

(١) أخرجه البخاري: (٣٩١٠). ومسلم: (٧١٩٦).



الوليدة السوداء ويوم الوشاح:

عَنْ عَائِشَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: أَنَّ وَلِيدَةً كَانَتْ سَوْدَاءَ لِحَيٍّ مِنْ الْعَرَبِ فَأَعْتَقُوهَا فَكَانَتْ مَعَهُمْ. قَالَتْ: فَخَرَجَتْ صَبِيَّةٌ لَهُمْ عَلَيْهَا وِشَاحٌ أَحْمَرُ مِنْ سُيُورٍ. قَالَتْ: فَوَضَعَتْهُ، أَوْ وَقَعَ مِنْهَا فَمَرَّتْ بِهِ حُدَيَّاةٌ وَهُوَ مُلْقًى فَحَسِبَتْهُ لَحْمًا، فَخَطِفَتْهُ، قَالَتْ: فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ قَالَتْ فَاتَّهَمُونِي بِهِ. قَالَتْ: فَطَفِقُوا يُفَتِّشُونَ حَتَّى فَتَّشُوا قُبُلَهَا. قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنِّي لَقَائِمَةٌ مَعَهُمْ إِذْ مَرَّتْ الْحُدَيَّاةُ، فَأَلْقَتْهُ. قَالَتْ: فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ.قَالَتْ فَقُلْتُ: هَذَا الَّذِي اتَّهَمْتُمُونِي بِهِ زَعَمْتُمْ وَأَنَا مِنْهُ بَرِيئَةٌ وَهُوَ ذَا هُوَ. قَالَتْ: فَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَسْلَمَتْ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَانَ لَهَا خِبَاءٌ فِي الْمَسْجِدِ، أَوْ حِفْشٌ.

قَالَتْ: فَكَانَتْ تَأْتِينِي فَتَحَدَّثُ عِنْدِي. قَالَتْ: فَلَا تَجْلِسُ عِنْدِي مَجْلِسًا إِلَّا قَالَتْ: وَيَوْمَ الْوِشَاحِ مِنْ أَعَاجِيبِ رَبِّنَا أَلَا إِنَّهُ مِنْ بَلْدَةِ الْكُفْرِ أَنْجَانِي.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لَهَا مَا شَأْنُكِ لَا تَقْعُدِينَ مَعِي مَقْعَدًا إِلَّا قُلْتِ هَذَا قَالَتْ: فَحَدَّثَتْنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ [(١)].

رجل دخلت الحصى في عينه:

وقال القاضي التنوخي: أخبرني محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب، قال: أنبأنا محمد بن عبد الواحد، أبو عمر، قال:حدثنا بشر بن موسى الأسدي، قال: حدثنا أبو بكر الأسدي، قال: حدثنا أبو حاتم الرازي، قال: حدثنا محمد ابن عبد الكريم، قال: سمعت سعيد بن عنبسة يقول: بينما رجل جالس وهو يعبث بالحصى ويحذف بها، إذ رجعت حصاة منها فصارت في أذنه، فجهد بكل حيلة، فلم يقدر على إخراجها، فبقيت الحصاة في أذنه دهرًا تؤلمه، فبينما هو ذات يوم جالس، إذ سمع قارئًا يقرأ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ (النمل:٦٢)، فقال الرجل: يا رب

(١) أخرجه البخاري: (٤٢٨).

أنت المجيب، وأنا المضطر، فاكشف ضر ما أنا فيه، فنزلت الحصاة من أذنه.

من يتوكل على الله فهو حسبه:

ووجدت في كتاب أبي الفرج المخزومي عبد الواحد بن نصر، عن أبي القاسم عبد الرحمن بن العباس، قال: حدثني أبو ساعدة بن أبي الوليد بن أحمد ابن أبي داؤد، قال: حدثني أبي، قال:حدثنا إبراهيم بن رباح، قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد، قال: حدثنا الواثق، قال: حدثنا المعتصم: أن قومًا ركبوا البحر، فسمعوا هاتفًا يهتف بهم، من يعطيني عشرة آلاف دينار حتى أعلمه كلمة، إذا أصابه غم، أو أشرف على هلاك، فقالها، انكشف ذلك عنه.

فقام رجل من أهل المركب، معه عشرة آلاف دينار، فصاح: أيها الهاتف أنا أعطيك عشرة آلاف دينار، وعلمني.

فقال: ارم بالمال في البحر، فرمى به، وهو بدرتان فيهما عشرة آلاف دينار. فسمع الهاتف يقول: إذا أصابك غم، أو أشرفت على هلكة، فاقرأ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣ ﴾ (الطلاق:٢-٣).

فقال جميع من في المركب للرجل: لقد ضيعت مالك.

فقال: كلا، إن هذه لعظة ما أشك في نفعها.

قال: فلما كان بعد أيام، كسر بهم المركب، فلم ينج منهم أحد غير ذلك الرجل، فإنه وقع على لوح.

فحدث بعد ذلك، قال: طرحني البحر على جزيرة، فصعدت أمشي فيها، فإذا بقصر منيف، فدخلته، فإذا فيه كل ما يكون في البحر من الجواهر وغيرها، وإذا بامرأة لم أر قط أحسن منها. فقلت لها: من أنت وأي شيء تعملين ها هنا؟.

قال: أنا بنت فلان بن فلان التاجر بالبصرة، وكان أبي عظيم التجارة، وكان لا يصبر عني، فسافر بي معه في البحر، فانكسر مركبنا، فاختطفت، حتى حصلت في هذه الجزيرة، فخرج إلي شيطان من البحر، يتلاعب بي سبعة أيام، من غير أن يطأني، إلا أنه يلامسني، ويؤذيني، ويتلاعب بي، ثم ينظر إلي، ثم ينزل إلى البحر سبعة أيام، وهذا يوم موافاته، فاتق الله في نفسك، واخرج قبل موافاته، وإلا أتى عليك. ما انقضى كلامها حتى رأيت ظلمة هائلة، فقالت: قد والله جاء، وسيهلكك.

فلما قرب مني، وكاد يغشاني، قرأت الآية، فإذا هو قد خر كقطعة جبل، إلا أنه رماد محترق.

فقالت المرأة: هلك والله، وكفيت أمره، من أنت يا هذا الذي من الله علي بك ؟ فقمت أنا وهي، فانتخبنا ذلك الجوهر، حتى حملنا كل ما فيه من نفيس وفاخر، ولزمنا الساحل نهارنا أجمع، فإذا كان الليل، رجعنا إلى القصر. قال: وكان فيه ما يؤكل، فقلت لها: من أين لك هذا ؟ فقالت: وجدته ها هنا. فلما كان بعد أيام رأينا مركبًا بعيدًا، فلوحنا إليه، فدخل، فحملنا، فسلمنا الله تعالى إلى البصرة، فوصفت لي منزل أهلها، فأتيتهم، فقالوا: من هذا ؟ فقلت: رسول فلانة بنت فلان.

فارتفعت الواعية، وقالوا: يا هذا لقد جددت علينا مصابنا. فقلت: اخرجوا، فخرجوا. فأخذتهم حتى جئت بهم إلى ابنتهم، فكادوا يموتون فرحًا، وسألوها عن خبرها، فقصته عليهم، وسألتهم أن يزوجوني بها، ففعلوا، وحصلنا ذلك الجوهر رأس مال بيني وبينها. وأنا اليوم أيسر أهل البصرة، وهؤلاء أولادي منها.





محنة تحولت إلى منحة
الإمام أحمد وفتنة القول بخلق القرآن

الإمام أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله تعالى عاش في زمن استقرت فيه الأمور للدولة العباسية، ولكن ما لبث أن ظهر اعتماد المأمون على الجيش الفارسي لكي يستطيع التغلب على أخيه الأمين، وتم له ذلك فعلاً، ومنذ ذلك الحين بدأ تسرب الأعاجم إلى دار الخلافة، حتى جاء المعتصم من بعده فاعتمد على الترك الذين قوي نفوذهم بمرور الزمن، حتى جاء اليوم الذي اعتدوا فيه على الخلفاء، وعاثوا في الأرض الفساد.

وانقسمت الدولة الأم بعد ذلك انقسامات عديدة، كل ذلك بسبب الجهل الشديد بمبدأ من أعظم المبادئ الإسلامية، هو: «مبدأ الولاء والبراء».

وصدق الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حينما قال في محكم التنزيل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وفي عصر المأمون، استطاع المعتزلة التسلل إلى قلب المأمون، وأقنعوه بمسلكهم الفلسفيّ في التفكير الذي نتج عنه: إنكار صفات الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتعالى، ومن بينها صفة الكلام، ومن ثم دعوة المأمون العلماء إلى القول بخلق القرآن.

وأراد المأمون أن يحمل النَّاس على ذلك، إلا أنَّ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أبى واستعصم وثبت على الحق، في الوقت الذي تراجع فيه كثير من أهل العلم عن قول الحق.



ثبت الإمام أحمد رحمه الله تعالى في الساحة وحده، وآثر الباقية على الفانية، وظل صابرًا محتسبًا، وأصبح بحق رجلًا بأُمَّة. فأمر المأمون بضربه وحبسه، وحتى مات المأمون، فأوصى المعتصم من بعده بأن يقول مقالته بخلق القرآن، ومن ثم بدأ المعتصم ينفذ هذه الوصية، فضُرب الإمام أحمد بالسِّياط حتى أغمي عليه، وأهانه أشد الإهانة، واستمر حبسه نحوا من ثمانية وعشرين شهرًا، وقيل: بضعة وثلاثين شهرًا . وكان يُصلي وينام والقيد في رجله.

وفي كل يوم يرسل إليه الخليفة المعتصم من يُناظره، وكان كلام الإمام أحمد واحدًا لا يتغيَّر. حتى غضب عليه المعتصم وهدده وشتمه، وأمر بالشدة في جلده، وزاد في قيده. والإمام أحمد صابر محتسب ثابت ثبوت الجبال الرواسي. ثم أطلق سراح الإمام أحمد، فعاد رحمه الله تعالى إلى التدريس بالمسجد بعد أن شفاه الله من جراحاته إلى أن مات المعتصم.

ثم تولى الخلافة من بعده ابنه الواثق الذي أظهر ما أظهر من المحنة، والميل إلى ابن أبي دؤاد - رأس المعتزلة - وأصحابه. واشتد الأمر على أهل بغداد، فمُنع الإمام أحمد من الخروج للدرس والاجتماع للنَّاس، فانقطع الإمام أحمد عن التدريس مدة تزيد على خمس سنوات، حتى توفي الواثق (٢٣٢هـ).

ثم تولى الخلافة المتوكل رحمه الله تعالى ، الذي أعاد الحق إلى نصابه، ونصر الله على يديه السُّنَّة وأعزَّ الله به أهلها، حتى قيل: «أبو بكر في الردة، وعمر بن عبد العزيز في رده المظالم،والمتوكل في إحياء السُّنَّة، وإماتة التجهم».

هذا ملخص المحنة التي مر بها الإمام أحمد بن حنبل. وكما نرى فإنَّ الإمام أحمد وقف موقفًا عظيمًا لا يناله إلا أهل العزم من الرجال المخلصين.

يقول الشيخ أحمد شاكر في موقف الإمام أحمد: «أما أولو العزم من الأئمة الهداة، فإنهم يأخذون بالعزيمة،ويحتملون الأذى ويثبتون،وفي سبيل الله ما يلقون.

ولو أنهم أخذوا بالتقية، واستساغوا الرخصة لضل النَّاس من ورائهم يقتدون بهم ولا يعلمون أنَّ هذه تقية، وقد أتي المسلمون من ضعف علمائهم في مواقف الحق.. لا يُجاملون الملوك والحكام فقط! بل يُجاملون كل من طلبوا منه نفعًا، أو خافوا ضرًا في الحقير والجليل من أمر الدنيا.

ولقد قال رجل من أئمة هذا العصر المهتدين: كأن المسلمين لم يبلغهم من هداية كتابهم فيما يغشاهم من ظلمات الحوادث غير قوله تعالى: ﴿**إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً**﴾ (آل عمران:٢٨) ثم أصيبوا بجنون التأويل فيما سوى ذلك...».

وقف الإمام أحمد هذا الموقف في الوقت الذي أحجَم فيه عامَّة العلماء عن الحق، وصدق رسول الله ﷺ حينما قال في حديث حديث الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «**لَا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ**». وفي لفظ: عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «**لَا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ ؛ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**».

وبعد أن ثبَّت الله الإمام أحمد على الحق، نُسب إليه مذهب أهل السُّنَّة؛ لأنَّه صبر على الذب عنها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأحمد بن حنبل وإن كان قد اشتهر بإمامة السُّنَّة والصبر في المحنة، فليس ذلك لأنَّه انفرد بقول، أو ابتدع قولًا، بل لأنَّ السُّنَّة التي كانت موجودة معروفة قبله، علمها ودعا إليها، وصبر على من امتحنه ليفارقها، وكان الأئمة قبله قد ماتوا قبل المحنة، فلما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات في أوائل المائة الثالثة - على عهد المأمون وأخيه المعتصم ثم الواثق - ودعوا النَّاس إلى التجهم، وإبطال صفات الله تعالى، وهو المذهب الذي ذهب إليه متأخرو الرافضة، وكانوا قد أدخلوا معهم من أدخلوه من ولاة الأمور، فلم يوافقهم أهل السُّنَّة حتى تهددوا بعضهم بالقتل، وقيدوا بعضهم، وعاقبوهم وأخذوهم بالرهبة والرغبة. وثبت الإمام



أحمد على ذلك الأمر حتى حبسوه مرة، ثم طلبوا أصحابهم لمناظرته، فانقطعوا معه في المناظرة يوما بعد يوم... (وذكر خبر المحنة).

إلى أن قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «...ثم صارت هذه الأمور سببًا في البحث عن مسائل الصفات وما فيها من النصوص، والأدلة والشبهات من جانبي المثبتة والنفاة. وصنَّف النَّاس في ذلك مصنفات. وأحمد وغيره من علماء السُّنَّة والحديث، ما زالوا يعرفون فساد مذهب الروافض، والخوارج، والقدرية، والجهمية، والمرجئة. ولكن بسبب المحنة كثر الكلام، ورفع الله قدر هذا الإمام، فصار إمامًا من أئمة السُّنَّة وعلمًا من أعلامها، لقيامه بإعلامها وإظهارها، واطلاعه على نصوصها وآثارها، وبيانه لخفيّ أسرارها، لا لأنَّه أحدث مقالةً أو ابتدع رأيًا .

ولهذا قال بعض شيوخ المغرب: المذهب لمالك والشافعيّ، والظهور لأحمد. يعني أنَّ مذهب الأئمة في الأصول مذهب واحد، وهو كما قال».

وقال شيخ الإسلام في موضع آخر: «... وأحمد إنّما اشتهر أنه إمام أهل السُّنَّة، والصابر على المحنة، لما ظهرت محن الجهمية الذين ينفون صفات الله تعالى، ويقولون: إن الله لا يرى في الآخرة، وإنَّ القرآن ليس هو كلام الله، بل هو مخلوق من المخلوقات، وإنَّه تعالى ليس فوق السماوات، وإنَّ محمدًا لم يعرج إلى الله، وأضلوا بعض ولاة الأمر، فامتحنوا الناس بالرغبة والرهبة، فمن الناس من أجابهم رغبة، ومن الناس من أجابهم رهبة، ومنهم من اختفى فلم يظهر لهم. وصار من لم يُجبهم قطعوا رزقه وعزلوه عن ولايته، وإن كان أسيرًا لم يفكوه ولم يقبلوا شهادته، وربما قتلوه أو حبسوه.

والمحنة مشهورة معروفة، كانت في إمارة المأمون، والمعتصم، والواثق. ثم رفعها المتوكل، فثبَّت الله الإمام أحمد فلم يوافقهم على تعطيل صفات الله

تعالى، وناظرهم في العلم فقطعهم، وعذَّبوه فصبر على عذابهم، فجعله الله من الأئمة الذين يهدون بأمره. كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (السجدة: ٢٤).

فمن أُعطي الصبر واليقين جعله الله إمامًا في الدين، وما تكلم به من السُّنَّة فإنما أضيف له لكونه أظهره وأبداه لا لكونه أنشأه وابتدأه، وإلا فالسُّنَّة سُنَّة النبي ﷺ، فأصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله ﷺ، وما قاله الإمام أحمد هو قول الأئمة قبله، كمالك والثوري، والأوزاعي، وحماد بن زيد، وحمَّاد بن سلمة، وقول التابعين قبل هؤلاء، وقول الصحابة الذين أخذوه عن النبي ﷺ، وأحاديث السُّنَّة معروفة في الصحيحين وغيرهما من كتب الإسلام.

والنقل عن أحمد وغيره من أئمة السُّنَّة متواتر بإثبات صفات الله تعالى، وهؤلاء متبعون في ذلك ما تواتر عن النبي ﷺ، فأما أنَّ المسلمين يثبتون عقيدتهم في أصول الدين بقوله - أي: بقول الإمام أحمد - أو بقول غيره من العلماء، فهذا لا يقوله إلا جاهل».

هذا الثبات العظيم الذي ثبته الإمام أحمد رحمه الله تعالى، جعل علماء عصره يثنون عليه ثناء كثيرًا لشدة إعجابهم به ولاعترافهم بشجاعته وقُدرته.

وإليك ثناء بعض منهم: قال إسحاق بن راهويه: «لولا أحمد وبَذْل نفسه لما بذلها لذهب الإسلام».

وحينما عُوتب يحيى بن معين في المحنة، قال: « أراد النَّاس منَّا أن نكون مثل أحمد بن حنبل، لا والله لا نقدر على أحمد ولا على طريق أحمد».

وعندما قيل لبشر بن الحارث يوم ضُرب الإمام أحمد: «قد وجب عليك أن تتكلم! قال: تريدون منّي مقام الأنبياء؟! ليس هذا عندي. حفظ الله أحمد من



بين يديه ومن خلفه». وقال -رحمه الله تعالى- بعدما ضرب أحمد: «لقد أُدْخل الكير فخرج ذهبة حمراء».

وما أجمل ما قاله الإمام عليّ بن المدينيّ واصفًا ثبات أحمد: «أيَّد الله هذا الدين برجلين لا ثالث لهما: أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة».

فتأمل أخي الكريم كيف أعلى الله شأن هذا الإمام، وفرج كربه، وأبدله في دينه ودنياه خيرًا، وصار بحق إمام في الدين، يذكر بالخير والثناء الجميل، فرحمه الله تعالى، وغفر له، وجزاه عن الإسلام وأهله خيرًا .

وفي الختام وقبل الوداع والسلام :

هذا ما تيسر جمعه، وسهل طرحه من أسباب التفريج للكروب، وأبواب الإزالة للهموم للغموم.

سائلًا المولى عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بها كاتبها، وقارئها، وكل من أعان في نشرها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.





فهرس

المقدمة ٣
أسباب وقوع الكرب بالإنسان والحكمة من ذلك ٧
فضيلة الزُّهد في الدُّنيا:.. ١٩
(١) أسباب تفريج الكروب : تحقيق التوحيد لله عَزَّوَجَلَّ ٢٦
من مظاهر خرم التوحيد، وتخريــب العقيـدة ٣٩
الحلف والإقسام بغير الله تعالى:................................ ٤١
(٢) التيسير عن المُعسر والسعي في تفريج كربات الآخرين ٤٨
فضل التيسير على المعسر، وفضيلة تفريج كربه من كتاب الله: ٤٩
عاقبة الاحتجاب عن قضاء حوائج الناس: ٦٠
(٣) ذكر الله تعالى.. ٦٦
ذكر الله تعالى أزكى الأعمال، وخير الخصال، وأحبَّها إلى الله ذي الجلال: . ٧٠
إنَّ مجالسَ الذِّكر وحلقه هي رياضُ الجنّة في الدنيا:..................... ٧١
(٤) تقوى الله تعالى ٩٣
من صفات المتقين:.. ٩٨
بر الوالدين، والعفة عن المحارم وأداء الحقوق ١٠١

(٥) فضل بر الوالدين ١٠٣
ذكر الإحسان إلى الوالدين بعد توحيده - عَزَّوَجَلَّ - لبيان قدرهما:....... ١٠٤
التحذير من عقوق الوالدين، وخطورة ذلك:.................... ١٠٧
(٦) العفـة عن الحـرام والبعد عن فتنة النساء ١١٠
أولاً: معنى العفة: ١١١
ثانيًا: مظاهر العفة: و للعفة مظاهر و صور كثيرة: ١١٢
(أ) البعد عن الزنا: ١١٢
(ب) غض البصر: ١١٤
(جـ) اجتناب مصافحة النساء الأجانب:...................... ١١٥
(د) اجتناب الخلوة بالأجنبية: ١١٦
(هـ) البُعد عن مواطن الفتنة: ١١٨
عفة نبي الله يوسف عليه الصلاة و السلام ـ: ١١٩
عفة موسى عليه الصلاة والسلام في قصة المرأتين:................ ١٢٣
عفة الربيع بن خثيم:.................................. ١٢٧
(٧) حفظ الأمانـة وأداء الحقوق لأهلها........................ ١٢٩
(٨) الصلاة على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ١٤٢
المواطن التي يشرع فيها الصلاة على النبي ﷺ : ١٤٨
الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير من الصلاة : ١٤٨
الصلاة على النبي ﷺ في صلاة الجنازة : ١٤٩

الصلاة على النبي ﷺ بعد إجابة المؤذن :.................... ١٥٠
الصلاة على النبي ﷺ عند الدعاء : ١٥٠
الصلاة على النبي ﷺ عند دخول المسجد والخروج منه: ١٥١
الصلاة على النبي ﷺ عند اجتماع القوم وقبل تفرقهم : ١٥٢
استحباب كثرة الصلاة على النبي ﷺ في يوم الجمعة ، وفي ليلته: ١٥٣
الصلاة على النبي ﷺ من أذكار الصباح والمساء : ١٥٤
الصلاة على النبي ﷺ على الصفا والمروة:......................... ١٥٤
مخالفات في صلاة البعض ، وسلامه على النبي ﷺ : ١٥٤
الاقتصار على السلام دون الصلاة ، أو الصلاة دون السلام : ١٥٦
الصلاة على النبي ﷺ عند إقامة الصلاة : ١٥٦
حكم قول: -سيدنا- في الصلاة على النبي ﷺ : ١٥٨
الصلاة على غير رسول الله ﷺ استقلالاً : ١٦٠
صلوات مبتدعة: ١٦٢
ومما ورد في فضل الجهاد، والمجاهدين من الكتاب المبين:............... ١٦٣
(٩) الجهاد من خصائص هذه الأمة:.................................. ١٦٦
في هديه ﷺ في الجهاد ١٦٧
(١٠) الاستغفار ١٧٥
من فضائل الاستغفار:... ١٧٦
مكانة الاستغفار وحال المستغفرين:.................................. ١٧٩

مُلازمة النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم للاستغفار: ١٨٣

(١١) ذكر الموت (هاذم اللذات) ١٨٨

أمره ﷺ بتذكر الموت:.......... ١٩٢

موت الْفُجَاءَةِ: ١٩٨

والأولى أن يدعو الإنسان بما كان النبي ﷺ يدعو به: ٢٠٢

(١٢) الصَّــلاة ٢٠٣

لماذا الراحة بالصلاة ؟: ٢٠٤

أهمية الصلاة في الشريعة الإسلامية:.......... ٢٠٥

الصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين:.......... ٢٠٨

فضل الصلاة، والترغيب في الإكثار منها: ٢٠٨

حال السلف مع الصلاة، وأنسهم بها:.......... ٢١٠

حال الرسول ﷺ مع الصلاة: ٢١١

خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام وصلاته عند الشدائد: ٢١٢

ومن أخبار السلف، وحبهم للصلاة، وأنسهم بها: ٢١٣

(١٣) تسبيح المولى عَزَّوَجَلَّ والسجود له ٢١٦

التسبيح فيه قوة للبدن، ووقاية من المجاعة: ٢٢١

تسبيحُ جميع الكائنات لله تعالى: ٢٢٢

تسبيح الملائكة لله تعالى: ٢٢٣

تسبيح الجمادات لله تعالى: ٢٢٤

تسبيح الطير له تعالى إكرام الله لأهل الجنة بالتسبيح: ٢٢٦

(١٤) العطف على اليتيم ورحمته ٢٢٧

فضل كفالة اليتيم، والإحسان إليه: ٢٢٧

الإحسان إلى اليتامى نجاة من النار: ٢٢٨

الإحسان إليهم من صفات الأبرار: ٢٢٨

رعاية اليتيم سبب لبقاء الأمم: ٢٢٨

النهي عن الإساءة إلى اليتيم: ٢٢٩

الإساءة إلى اليتيم من صفات الكفار: ٢٢٩

كافل اليتيم جار النبي ﷺ في الجنة: ٢٢٩

من هو اليتيم؟: ٢٣٠

(١٥) الاستعانة بالصبر على الشدائد ٢٣٣

صبر نبي الله نوح ؛ في الدعوة على الله تعالى: ٢٣٩

من أحوال السلف رضوان الله عليهم في الصبر: ٢٤٠

الإمام إبراهيم الحربي، وصبره على الجوع والفقر: ٢٤٢

شيخ الإسلام ابن تيمية يلخص صبر الإمام أحمد بن حنبل في الفتنة: .. ٢٤٣

أحمد بن نصر الخزاعي من الأئمة الصابرين في قول الحق: ٢٤٤

(١٦) الدعاء وأهميته في كشف الكرب، وتفريجها ٢٤٦

وللدعاء مع البلاء ثلاثة مقامات: ٢٥٠

افتقار العبد إلى الله تبارك وتعالى، وحاجته إلى دعائه: ٢٥١

فضل الدعاء من الكتاب الحكيم والسُّنَّة النبوية: ٢٥٤
فضل الدعاء في القرآن الكريم: ٢٥٤
فضل الدعاء في السُّنَّة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ـ: ٢٥٧
ومِمَّا ورد في فضل الدعاء في السُّنَّة: ٢٥٩
إجابة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للدَّاعين: ٢٦١
أدعية وأذكـار ٢٦٤
عـنــد الـكـــرب ٢٦٤
دعاءُ الغَمِّ، وَالهَمِّ، وَالحُزْنِ: ٢٦٨
(١٧) ومن علاج الهموم ما يكون بالأطعمة ٢٧٢
وقد ذكر أهل العلم رحمهم الله تعالى أمورًا في سبب تفريجها للحزن: ... ٢٧٣
الفرج مع الكرب واليسر مع العسر: ٢٧٦
وصية النبي ﷺ لابن عباس، وتعليمه إياه مهمات العقيدة: ٢٧٨
قـصص وروايات في الفرج بعد الشدة........................ ٢٨٦
قصة آدم عليه الصلاة والسلام ـ: ٢٨٦
قصة نوح عليه الصلاة والسلام ـ:........................ ٢٨٧
قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ـ: ٢٨٧
قصة يونس –عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ–: ٢٨٩
قصة موسى بن عمران –عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ–: ٢٩١
قصة يعقوب ويوسف عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ : ٢٩٥

قصة أيوب –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: ٢٩٥
الشدائد التي جرت على نبينا محمد – ﷺ –: ٣٠١
تفريـــج الله تعالى عن أم المؤمنين عائشة– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– ٣٠٤
الوليدة السوداء ويوم الوشاح:.. ٣٠٨
رجل دخلت الحصى في عينه: ٣٠٩
من يتوكل على الله فهو حسبه:.. ٣١٠
محنة تحولت إلى منحة : الإمــام أحمــد وفتنة القول بخلق القرآن ٣١٢
الفهرس.. ٣١٨

